شِـعْر المرأة الأندلسيّة
إلى نهاية القرن السادس الهجري/
دراسة تحليلية

الأستاذ الدكتورة
هاشمية حميد جعفر الحمداني

الطبعة الأولى / ٢٠٢٥

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع .. نشر .. توزيع

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	٧
التمهيد: مكانة المرأة الأندلسيّة وأنشطتها	١٣
الفصل الأوّل: المرأة الأندلسيّة والشعر(مواكبة تاريخيّة)	٣٣
الفصل الثاني: تراجم شواعر الأندلس	٦٥
الفصل الثالث: أغراض وفنون شعر المرأة الأندلسيّة الأغراض التقليديّة: الغزل ــ المدح ــ الفخر ــ الهجاء والسخرية ــ الشكوى ــ العتاب ــ الرثاء ــ الإعتذار ــ الشكر والتهنئة ــ الحكمة الفنون الموسّعة: وصف الطبيعة ــ الحنين إلى الوطن ــ المساجلات الشعريّة الفنون المحدّثة: الموشحات ــ الظرف والدعابة.	١٧١
الفصل الرابع: الدراسة الفنيّة لشعر المرأة الأندلسيّة المبحث الأوّل: اللغة المبحث الثاني: بناء القصيدة المبحث الثالث: الصورة الشعرية المبحث الرابع: الخصائص الفنيّة العامة	٢٢٩
الخاتمة ونتائج البحث	٢٩٧
المصادر والمراجع	٣٠٧

مقدمــة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصلاةُ والسلامُ على معلّمِ الناس الأوّل ومخرجِهم من الضلالةِ إلى الهدى، محمّدٍ المصطفى الخاتم، الذي جعله ربُّ العزّةِ رحمةً للعالم، وأدبّهُ بالخُلقِ العظيمِ الدائم، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار إلى ظهور القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

أما بعد:

فكانت المرأة ومازالت تشكل نصف المجتمع، وقد كرّمها الله تعالى بعد ظهور الإسلام ورفع مكانتها وخصص لها سورة باسمها في كتابه العزيز ألا وهي سورة (النساء). وعبر التاريخ شاركت الرجل في شتى ميادين الحياة، فاعتلت العروش مثل (زبيبة) ملكة من قيدار، حكمت لمدة خمس سنوات بين (٧٣٣ - ٧٣٨) قبل الميلاد وكانت تابعة لتغلات بلاصر الثالث، ملك آشور و(شمسي) التي خلفتها وحكمت في الشرق الأدنى القديم، وملكة سبأ (بلقيس)، وملكة تدمر (زنوبيا) ومولاة قريش (سارة) والملكة (سجاح) وغيرهن.

ودخلت المرأة ساحات القتال، فكانت لدى العديد من النساء العربيات رباطة جأشٍ وحنكة وحسن القيادة وهذه هي خصائص قيادة الجيوش، وكانت في مقدمتهن (أُم عُمارةَ نَسيبةُ بنتُ كعب المازنية الأنصارية)، صحابية من

الخزرج، شاركت في عدد من غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعض حروب الرّدة، في القتال وإسعاف الجرحى. و(خولة بنت الأزور) الفارسة الملثمة، و(غالية بنت عبد الرحمن بن سلطان من آل كلش من قبيلة البدارا من البقوم وقد حثت الشباب على مقاتلة العثمانيين. وغيرهن. أما في مجال الشعر فقد نافست الرجل في هذا الميدان منذ الأزل، ففي صدر الإسلام برزت الشاعرة (ضباعة بنت عامر، فاطمة بنت محمد، زينب بنت العوام، عمرة بنت مرداس، عفراء العذرية، والرباب بنت امرىء القيس...)، وهكذا حتى عصرنا الحاضر.

أما في الأندلس، فبعد أن استقر الحكم العربي في أرض الجزيرة الخضراء، ظهرت مجموعة كبيرة من النساء اللواتي تمتعن بمهارات عقلية وفكرية وأدبية فذة، كانت في بعض الأحيان تفوق الرجال. وقد ذكر لنا ابن حزم الأندلسي أشهر المهن التي عملت فيها نساء الأندلس قائلا: "فمن النساء كالطبيبة والحجّامة والسرّفة والدلّالة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلّمة والمستخفة والصُّناع في الغزل والنسيج". كما تفوقت في ميدان العلوم الشرعية، فروّت الأحاديث ودرّست الفقه والقراءات.

وعُرف العصر الأندلسي بأنّه عصر عظمة المرأة. وجاء ذلك في كتاب المرأة العربية في جاهليتها واسلامها. فقد حظيت باهتمام بالغ من لدن أسرتها، فلم تفرّق بينها وبين الولد. ومن صيغ ذلك اهتمام الأسرة حسن اختيار تسمية بناتها، كأن يطلق عليها اسم إحدى شهيرات الإسلام مع كنية مستمدة من

طبيعة الأندلس وزهورها، كما فعل المنصور بن أبي عامر الذي تسلم الحكم بعد الحَكَم فقد كانت له ثلاث بنات سماهُنّ: بهارا ونرجسا وبنفسجا. ومن ذلك الاهتمام أيضا أن الاسرة الأندلسية حرصت على تنشئة بناتها على الصلاح ومكارم الاخلاق منذ نعومة أظفارهن حتى ينتقلن الى بيت الزوجية، فتكون معاملتها مع زوجها حسنة يشوبها الود والحب فكانت متمسكة بحسن التبعل. ويصف لنا ابن حمديس الصقلي ابنته بقوله:

فيا غرســـة للأجر كنتُ نقلتها الى كنفي صـوني وألحفتُها ظلي
وأنكحتها من بعد صــدقٍ حمدتهُ كريماً فلم تذممْ معاشـــرةَ البعلِ

وحين طلبت الشاعرة بثينة بنت المعتمد ملك إشبيلية رأي أبيها في الشخص الذي طلبها للزواج بقولها:

فعســـاكَ يـا أبتي تعرّفني بـه إنْ كـان مِمّن يُرتجى لودادِ

فأجابها والدها:

بُـنـيـتـي كـونـي بـهِ بـرّة فقد قضـــى الدهرُ إســعافهِ

كما حرصت الأسر الأندلسية على تعليم بناتها، فنبغ عدد كبير منهن في شتى مجالات العلوم والفنون والآداب. فقد حفظت القرآن الكريم، وتدبرت معانيه وتفسيره ودرست علومه من فقه وأحكام، وكانت المرأة الحافظة للقرآن تُعلق على باب بيتها قنديلا، إشارة إلى ذلك. ومما يؤكد لنا كثرة حافظات القرآن من النساء في الأندلس، الرواية التي تقول: وكان في قرطبة لوحدها ما

يقارب المائة وسبعين امرأة يكتبن القرآن بالخط الكوفي، علاوة على فهم الحديث الشريف وروايته، فلا يقل عدد الراويات عن الحافظات، فقد روي عن الجارية "عابدة المدنيّة" أنها كانت تروي عن أنس إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة عشرة آلاف حديثا. ولم يقتصر الأمر على حفظ القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف بل تعداه الى دراسة الفقه والعلوم الشرعية. كما درست المرأة الاندلسية الطب والصيدلة والفلك والرياضيات والتاريخ وعلم الكلام وعلم العروض والشعر. فكانت أستاذة فقيهة وشاعرة ووشاحة وخطاطة وموسيقية ونحوية وعروضية وراوية للحديث ومؤدبة. فقد كان يعهد إليها تربية أبناء الأمراء والأغنياء والشعراء، وغيرهم ممن لهم منزلة ومكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، وكان من بينهم "ابن حزم الأندلسي" الذي تلقى علومه على أيديهن فقال عنهن في إحدى رسائله: "ولقد شاهدتُ النساءَ، وعلمتُ من أسرارهن ما لا يكادُ يعلمهُ غيري، لأني رُبّيتُ في حجورهنَّ، ونشأتُ في أيديهنَّ، ولم أعرفُ غيرهنّ، ولا جالستُ الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب...، وهنّ علمنني القرآنَ، ورويننني كثيرا من الأشعار، ودربنني في الخطّ."

وحظيت المرأة الأندلسية بحرية كبيرة، سواء أكانت من الحرائر أم الجواري أم القيان، فقد سمح لها المجتمع الأندلسي أن تمارس عددا من الأنشطة الاجتماعية والثقافية والدينية، وتتمتع بنفوذ وسلطان، وتخالط الرجال، فقد بلغت حريتها ونفوذها حد العرف والعادة، بل حتى الشرع. فلم تحظ المرأة على مرّ العصور، لا الأوربية منها ولا المشرقية، فقد بلغت سلطتها

في عصر المرابطين شأوا عظيما، فقد كانت تتمتع بالمساواة الكاملة مع الرجل، وتقتني أغلب الثروات.

وتفوقت المرأة الأندلسية في مجال الأدب والشعر و التوشيح، مما جعل الأندلس تمتلىء بالشاعرات اللائي أسهمن في ازدهار الحركة الأدبية أكثر من الرجال، فقد شكّل نضوج الشاعرات وكثرة عددهن ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي.

ورغم كلّ ذلك التفوق والنضوج إلا أن ما وصل إلينا من تراثهن الثقافي والفكري والأدبي النزر القليل، وقد يعود ذلك الى سببين - حسب ما نراه- أولهما: قلة اهتمام المؤرخين القدامى بتدوين تراث المرأة الأندلسية، ولاسيما الشاعرة منهن، فلم يتناسب المذكور منه في كتبهم مع مكانتها العلمية والثقافية والأدبية. وثانيهما: الضياع نتيجة كثرة الفتن والحروب، وهذان الأمران كانا السبب في تقديم هذه الدراسة عن شواعر الأندلس وتسليط الأضواء على مقدرتهن الشعرية، وإماطة اللثام عما وصلت إليه المرأة الأندلسية من نبوغ فكري وثقافي وأدبي.

ومن الله التوفيق والسداد.

أ. د. هاشمية حميد جعفر الحمداني

تمهيد

مكانة المرأة الأندلسيّة ونشاطاتها

تمهيد

مكانة المرأة الأندلسيّة ونشاطاتها

قبل أن نذكر مكانة المرأة الأندلسيّة، نرى من الطريف أن نذكر هذه الرواية[1] عن المرأة:

فقد قال الفضل بن إبراهيم: "مرّ شاعر بنسوة فأعجبه شأنهنّ، فأنشأ يقول:

إنّ النســـاء شـــياطين خُلِقْنَ لنـا نعوذُ بـالله مِنْ شـــرِّ الشـــياطينِ

فأجابته واحدة منهنّ:

إنّ النســـاء ريـاحين خُلِقْنَ لكم وكلكم يشـــتهي شـــمّ الريـاحينِ"

ونحن نقول:

إنّه مهما قيل في المرأة من مدح أو ذمّ تبقى تلك المخلوقة التي قدّستها كلّ الأمم، ومنها الأمّة العربية، فقد أهتمّ العرب ــ منذ أقدم العصور ــ بالمرأة، والوثائق التاريخيّة تثبت ذلك[2].

---

(١) تحفة المجالس ونزهة المجالس للسيوطي: ٢٧٤.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد عليّ، المتوفى (١٤٠٨هـ)، الفصل التاسع والأربعون: الحياة اليومية – المرأة-

وحينما جاء الإسلام أرتفعت منزلة المرأة، وزاد الإهتمام بها فقد أعطاها حقّها في العيش حين حرّم وأد البنات. وأمر الرجل بإكرامها وجعلها تشاركه في كلّ الميادين، فكلّ منهما ينال ما يستحق في الدنيا والآخرة على حدٍّ سواء. قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى﴾[1].

ولمّا وصلت الحضارة العربية الإسلامية إلى شبه جزيرة الأندلس، أصبحت تلك الجزيرة في مقدّمة ((البلدان الرئيسة التي أستوعبت التوجيهات القرآنيّة في تعليم المرأة وتثقيفها لتؤدي رسالتها في بناء المجتمع، وتربية الأجيال على الخلق، والإستقامة، والتضحية، وحبّ العلم)) [2]. فكان تأثير الإسلام على المرأة الأندلسيّة واضحًا من خلال تمسكها به وحرصها على تنفيذ وتطبيق تعاليمه لاسيّما إقامة الصلاة بأوقاتها في الأماكن المخصصة للعبادة.

فقد عُلِمَ أنّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية المتوفّى سنة (١٧٢هـ) بنى جامعًا عام (١٦٩هـ)، وألحق به ابنه (هشام المؤيد) صومعة، وبنى في آخر المسجد ((سقائف لصلاة النساء)) [3].

واستوعبت هذه الجزيرة أيضًا مختلف مظاهر الحياة الجديدة وأنشطتها، و((كان من أبرز ملامح تلك الحضارة الراقية إعتزاز الأندلسيين الكبير بالمرأة على اختلاف منزلتها الإجتماعية، ولم يكن هذا الأمر ليتحقق لو لم تكن

---

(١) آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) تحفة المجالس ونزهة المجالس للسيوطي: ٢٧٤.

(٣) البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي: ٢/ ٢٣٩.

المرأة الأندلسيّة قد استفادت من الحرية التي وفّرها لها المجتمع، فساهمت في صنع الحياة من خلال حركتها الدائبة، ومشاركتها في كثير من الأنشطة التي كانت حكرًا على الرجال))[١].

فقد تمتعت بحريتها في ظل بيئة جديدة لم ترتبط تقاليدها بأثقال وقيود ارتبطت بها بيئة المشرق.. واستطاعت أن تتجاوز الحدود الخانقة التي أحاطت بالمرأة العربية.

ففي ظلال المجتمع الأندلسي الرحبة ازدانت المرأة العربية - حرّة كانت أم جارية - غنجًا ودلالًا، وازدادت تيهًا وكبرياء، فكانت فاتنة بمحاسنها وأناقتها، جميلة بأحاديثها، قويّة بشخصيتها، نادرة بعلمها ومعرفتها، متفوقة سبّاقة في تحررها، وانفتاحها، ومشاركتها الرجل في شتى الأنشطة[٢].

ولم يعد أمامنا سوى تقديم بعض الشواهد على علو منزلتها، وما تمتّعت به من تفوق واحترام وتقدير.

فمن اللائي تمتّعن بنفوذ سياسي بارز (عُجْب) التي قَوِيَ نفوذها أيّام هشام بن عبد الرحمن الداخل وابنه عبد الرحمن بن هشام[٣]، و(رسيس) التي منحها عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ) تقديره واحترامه، فدعاها لرفقته، و((أركبها مكشوفة بقلنسوة، وسيف تقلّدته على بغلٍ خلفه...، وقطعت الطريق إلى الزهراء))[٤].

---

(١) ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي/د. إنقاذ عطا الله (أطروحة دكتوراه): ٥١.
(٢) ينظر: الحبّ في الأندلس/ د. جودت مدلج: ١١٧.
(٣) تاريخ الأدب الأندلسي/ د. إحسان عبّاس: ٢٥.
(٤) نقط العروس لابن حزم: ٧٣ - ٧٤.

ثمّ الملكة (صُبح) زوجة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن والتي تسمّى أحيانًا (صبيحة) وهي سيّدة نابهة الذكر، قويّة الشخصيّة، واسعة النفوذ، ذات إرادة وصلابة، فلم تكتفِ بتصريف شؤون الدولة، بل أنّها تولت الشؤون الحربيّة، فراحت توزع الجيوش توزيعًا تقتضيه ضرورات أمن الدولة[١].

وتتضح مكانة المرأة الأندلسيّة في كثرة أعلام النساء اللائي يترجم لهن مصنفو كتب التراجم[٢] حيث تذكر فيهنّ الشاعرة، والكاتبة، والعاملة، والفقيهة، والمحدّثة، والواعظة، والنحويّة، واللغويّة.

ويشير ابن حزم الأندلسي[٣] إلى ضروب من المهن التي مارستها الأندلسيّة حيث نجد الطبيبة، والمعلّمة، والصنّاع في الغزل والنسيج وما أشبه ذلك، حتّى إنّها عملت رسولًا للمحبّة حيث يقول عنها: وما أكثر هذا عند النساء ولاسيّما ذوات العكاكيز والتسابيح[٤].

---

(١) نساء لهنّ في التاريخ نصيب/ د. عليّ إبراهيم حسن: ٧٥، ونساء شهيرات من تاريخنا لأحمد سويد: ١١٤ – ١١٥.

(٢) ينظر: تكملة المخطوط ٣ ورقة ١٥٥ حيث يترجم لخمسين امرأة، وانظر: مستلّة من كتاب (التكملة) لابن الأبار، تحقيق: د. منجد مصطفى بهجت، مجلة المورد – ١٩٩٠ حيث يترجم لـ (٦٨) امرأة، وينظر: الذيل والتكملة/ القسم الثامن: ٤٧٧ – ٤٩٩ .

(٣) طوق الحمامة في الألفة والالاف لابن حزم: ٩٧.

(٤) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

فمن المشهورات في علم الطب والمداواة (أمّ الحسن بنت أبي جعفر الطنجالي)[١]، وكان البعض منهنّ لهنّ خبرة جيّدة بما يتعلق بمداواة النساء[٢].

ومهنة القابلة المختصّة بالنساء، وهي صناعة يُعرف بها العمل في إستخراج المولود الآدمي من بطن أُمّه[٣]، وكانت نساء الخلفاء والعظماء في غنى عن الأطباء بالطبيبات[٤].

ومن المشهورات أيضًا بمهنة الطب (ريحانة) جارية الطبيب أبي عبد الله الكتّاني، والتي كانت على قيد الحياة في القرن الخامس الهجري[٥].

واهتمت المرأة الأندلسيّة بالعلم والمعرفة، فخرجت إلى المسجد الجامع في قرطبة وإلى سواه من معاهد العلم، فكنّ يجلسن في حلقات الدروس منتقبات محتشمات، ينهلنّ من فنون العلم والأدب، ونافسن الرجل في كثير من الأمور كجمع الكتب ونسخها فأصبحن كاتبات حاذقات ذوات مهارة عالية.

فمن نساء الخلافة السيّدة (طرفة)[٦] التي كانت كاتبة الخليفة الناصر لدين الله المتوفّاة سنة (٣٥٨هـ).

---

(١) ينظر: ترجمتها في: الإحاطة مج/١: ٤٣٨، والشعر النسوي: ١٤٤.
(٢) الاعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام: ٣: ٥٤.
(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون: ١: ٧٣٥.
(٤) المرأة في جاهليتها وإسلامها/ د. عبد الله عفيفي ٢: ١٩٢.
(٥) الشعر النسوي: ١٣٩.
(٦) تاريخ التربية الإسلامية/ أحمد شلبي: ٣٢٧..

و(مزنة)[1] التي اختارها الناصر كاتبة له أيضًا لتقدّمها في فن الكتابة.

و(لبنى)[2] كاتبة الحكم بن عبد الرحمن التي أشتهرت بجمال خطّها، وحُسن نظمها للشعر، وإتقانها للنحو، والحساب، والعروض (ت سنة ٣٩٤هـ) وقيل: سنة (٣٧٤هـ)، وقد عدّها السيوطي في طبقات اللغويين والنحاة[3]، وهناك كاتبات أخريات منهنّ (صفيّة بنت عبد الله الربي)[4] التي وصفت بحسن خطّها، وجودة نظمها، وقد فارقت الحياة وهي في عزّ شبابها وذلك في آخر سنة ٤١٧هـ.

و(عائشة بنت أحمد القرطبيّة)[5] التي كانت تكتب المصاحف، خطّاطة، أديبة، ديّنة، توفّيت سنة (٤٠٠هـ).

و(حبيبة بنت عبد العزيز بن سباع)[6] المولودة سنة ٤٤٧هـ، والمتوفّاة سنة ٥٠٦هـ، وعرفت بحسن خطّها، وكانت فاضلة متدينة قرأت على أبي عمر بن عبد البر (كتبه).

وممّا يؤكد كثرة عدد الكاتبات والمشهورات، بحسن الخطّ ما رواه ابن أبي الفياض (ت٤٥٩هـ) في تاريخه كما نقله المراكشي، أنّه كان بالربض الشرقي من

---

(١) الصلة: ٢: ٦٥٤، وبغية الملتمس: ٥٣٠ – ٥٣١.

(٢) الصلة: ٣: ٩٩٢، والبغية: ٣: ٧٣٢.

(٣) موجودة في الصفحة (٤) من المخطوطة، (نظام) الكاتبة بقصر الخلافة بقرطبة.

(٤) الصلة: ٣: ٩٩٣، والبغية: ٢: ٧٢٩.

(٥) المصدر السابق: ٢: ٩٩٢.

(٦) الشعر النسوي: ١٤٠٠.

قرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخطّ الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها؟!، وكان في قرطبة واحد وعشرون حيًّا[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ المرأة الأندلسيّة لم تنافس الرجل في مهنة الكتابة والنسخ فحسب، بل إنّها راحت تشكّل المكتبات الخاصّة في البيوت، ومن اللائي كان لديهنّ مكتبة خاصّة السيّدة (عائشة القرطبيّة) المارّة الذكر، فلم يكن في زمانها من يماثلها في علمها، وشعرها، وفصاحتها، فضلًا عن امتلاكها خزانة كتب كبيرة[٢].

وأسهمت المرأة في نشر العلم بين النساء والرجال، فقد كان منهنّ المعلّمات والمؤدبات كالسيّدة (أخت محمّد بن حزم القرطبي) المتوفّاة (سنة ١٨٢هـ)، وكانت تؤدب البنات في بيت أبيها، ولا يمنع من قيامها بتأديب الأولاد الصغار معهن [٣].

و(حفصة بنت الحاج الركونيّة) [٤] التي أختيرت مؤدبة لنساء بني عبد المؤمن الذين تملكوا غرناطة على عهد مروان بن سعيد والد الشاعر أبي جعفر.

و(حمدة بنت زياد المؤدب) [٥] التي روت عن العلماء الأفاضل، ورووا عنها، ومنهم العلّامة أبو القاسم بن البُراق.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي: ٤٥٦.
(٢) التربية الإسلامية: ١٣٣.
(٣) الحياة العلمية في مدينة بلنسية/ كريم عجيل (رسالة ماجستير): ٨٧.
(٤) المُغرب لابن سعيد: ٢: ١٣٨.
(٥) نفح الطيب: ٦: ٢٥.

و(مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري) التي كانت تعلّم النساء في إشبيلية الشعر والأدب.

و(إشراق السويداء) [١] العروضيّة التي كانت تحفظ (الكامل) للمبرّد، و(الأمالي)، وقيل: (النوادر) لأبي عليّ القالي وتشرحهما شرحًا مفصّلًا، وقد قرأهما عليها العالم أبو داود بن سليمان بن يوسف، ودرس عليها علم العروض.

و(ولّادة بنت المستكفي) [٢] التي كانت تعلّم النساء الأدب والشعر، ومن تلميذاتها (مهجة بنت التياني الشاعرة الماجنة).

وأهتمّت المرأة بالدراسات الدينيّة من فقه، ورواية حديث، وعلم قراءات، فهذه (غالبة بنت محمّد) [٣] التي برعت برواية الحديث.

و(فاطمة بنت يحي بن يوسف) [٤] التي توفّيت سنة (٣١٩هـ) العالمة الفاضلة، الفقيهة الورعة.

و(ريحانة) [٥] تلميذة أبي عمرو المعرّي التي عاشت في القرن الخامس الهجري، وأخذت عن الإمام عثمان بن سعيد بن عثمان أبي عمرو (ت سنة ٤٤٤هـ) علم

---

(١) نفح الطيب: ٦/ ٢٧

(٢) المغرب: ١: ١٤٣.

(٣) الصلة: ٢: ٦٥٣.

(٤) بغية الملتمس: ٥٣١، والحلل السندسية: ٤٩.

(٥) الشعر النسوي: ١٣٩ – ١٤٠.

القراءات بالمرية، وكانت تجلس خلف ستار وتقرأ عليه، ويشير لها بقضيب بيده إلى الموقف فأتمّت دراسة السبع، ثمّ روايات أخرى غيرها، وبعد ذلك أجازها.

و(خديجة بنت أبي محمّد بن سعيد الشنتجالي) [1] عاشت في القرن الخامس، وكان والدها عالمًا مشهورًا، سمعت مع أبيها من الشيخ أبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي الحافظ صحيح البخاري، كما شاركت أباها في السماع من شيوخه بمكّة المكرمة، وكانت من الفاضلات المحدّثات، وبلغ اهتمام (ابنة فايز القرطبي) [2] المتوفّاة (سنة ٤٤٦هـ) ودرست على يد أبيها، وأخذت عن زوجها علوم الفقه، وقصدت أبا عامر الداني لأخذ القراءات عنه فألفته مريضًا، ثمّ ما لبث أن مات، فسألت عن أصحابه ولحقت بأحدهم إلى بلنسية وهو (أبو داود)، وقرأت عليه القراءات السبع، وتوفّيت سنة (٦١٦هـ).

وكذلك رحلت (فاطمة بنت سعد الخير) [3] إلى أصبهان وبغداد، وسمع منها عدد من العلماء، ثمّ حدّثت في مصر، وتوفّيت سنة ٦٠٠هـ.

وكذلك كان شأن (صواب) التي رحلت إلى المشرق مع زوجها.

---

(١) الشعر النسوي: ١٣٨، والحلل السندسية: ٤٩.

(٢) الشعر النسوي: ١٣٩، وبحث (تربية وتعليم المرأة): ١٩٩.

(٣) التكملة/ تحقيق: د. منجد، مجلة المورد، مج ١٩ العدد الأوّل ١٩٩٠م.

و(أمّ العز بنت محمّد العبدري) [1] التي روت عن أبيها، وعن زوجها أبي الحسن بن الزبير، وعن أبي عبد الله بن نوح، وكانت تتقن القراءات السبع، وتوفّيت سنة ٦١٦هـ.

أمّا (سيّدة بنت عبد الغني العبدرية) [2]، وهي أمّ العلا الغرناطيّة فقد حفظت القرآن، وتعلّمت، وصارت أستاذة في قصور الملوك، وانتقلت إلى تونس، وعلّمت بها، ومن أعمالها أنّها نسخت (إحياء علوم الدين) للغزالي، وعُرِفَت هذه الأستاذة بالمواظبة على العبادة، وتوفّيت سنة (٦٤٧هـ).

ومثلها(أمّ الحسن) [3]، وكانت لها رحلتان إلى الحج، وتوفّيت بمكّة.

كما عُرِفَت (شفاء) [4] جارية عبد الرحمن بن الحكم التي أعتقها وتزوّجها، وكانت من أجمل النساء عقلًا، ودينًا، وفضلًا، وإليها ينسب المسجد الذي في الربض الغربي من قرطبة، وهي أكثرهنّ أوقافًا على المساجد، والمرضى، والضعفاء، لحقتها المنيّة بفج البشرى من حوز طليطلة بعد أن مرضت، ودفنت هناك وصار قبرها معروفًا.

ومن الجواري أشتهرت العالمة الفاضلة (عابدة المدنيّة) وكانت جارية سوداء تروي عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وقال بعض الحفّاظ: إنّها تروي

---

(١) التكملة: ٢: ٧٤٨، والشعر النسوي: ١٤٣.

(٢) المصدر السابق والصفحة ذاتها، والشعر النسوي: ١٤٤.

(٣) أنظر ترجمتها في: التكملة/ تحقيق:د. منجد، مجلة المورد، مج١٩ السنة ١٩٩٠م.

(٤) المصدر السابق.

عشرة آلاف حديث، وهي لفضلها وعلمها صارت أمّ ولد لحبيب بن وليد المرواني المعروف بـ(دحون) [١].

وتفوقت الأندلسيّة بالأدب، فمن أديبات الأندلس الشهيرات (فتحونة بنت جعفر بن جعفر) أديبة من مرسيّة لها تأليف في قيان الأندلس - وتعرف بأمّ الفتح - ذكرها ابن عبد الملك، ولم يعين الفترة الزمنية التي عاشت فيها[٢]، ولكن للأسف إنّ هذا الكتاب لم يصل إلينا، فقد ضاع مع ما ضاع من كنوز التراث العربي بالأندلس.

كما تفوقت الأندلسيّة في النحو وأشهرهنّ (نضار بنت أبي حيّان) [٣] العالمة الفاضلة، كانت نعرب جيّدًا، وتنظم الشعر، قال عنها المقري: ((حجّت وسمعت قراءة العلم على بعض الشيوخ... وحضرت على الدمياطي، وسمعت على جماعة، أجازها من المغرب أبو جعفر بن الزبير، وحفظت مقدّمته في النحو، ولمّا توفّيت عمل والدها فيها كتابًا سمّاه (النضار في المسلاة عن النضار) [٤].

إنّ الذي شجّع المرأة الأندلسيّة على العلم والثقافة أنّ الأندلسيين أنشأوا في كلّ ناحية المدارس، وخزائن الكتب، وأقاموا في العواصم الجامعات التي كانت

---

(١) النفح: ٤: ١٣٦.

(٢) الشعر النسوي: ١٤٥.

(٣) تربية وتعليم المرأة: ١٩٩.

(٤) نفح الطيب: ٣: ٣١٥.

وحدها مواطن العلم في أوربا زمنًا طويلًا[١]، كما أنّ الأمراء والخلفاء حثّوا على طلب العلم، وصرفوا مرتبات للطلاب.

وقد أعترف أديب الأندلس الكبير ابن حزم أنّه تلقى علومه في بداية نشأته على أيدي النساء، فقال: ((نشأتُ بين أيديهنّ، ولم أعرف غيرهنّ...، وهنّ علمنني القرآن، ورويننى كثيرًا من الأشعار، ودربنني على الخطّ...)) [٢].

وحاولت الأندلسيّة الإعتماد على نفسها فلم تكن عالة على الرجل، وبنت لها شخصية قويّة في المجتمع، فكانت عاملة في دور الخراج، وكن يسمين بالخراجيات [٣]. وحارسة البستان[٤] ومنهن من كانت عطّارة[٥] ومنهن من كانت ربّة دير[٦] وهي لا تبالي حتّى في ممارسة أبسط المهن الشعبيّة لشدّة ثقتها بنفسها، فباعت اللبن[٧] وباعت الجبن[٨] وغسلت الملابس بالأجرة، كما فعلت اعتماد الرميكية[٩]، وهناك رواية عن امرأة أخرى كانت غاسلة للملابس، فبعد غسلها أتت بها فدقتها بحذائين بين حجرين، وهي تنشد[١٠]:

---

(١) الإسلام والحضارة/ محمّد كرد علي: ٢٦٠.
(٢) طوق الحمامة: ١٢١.
(٣) الذخيرة لابن بسّام: ق١ م١: ٢٤٢.
(٤) الإحاطة: ٢: ١٦٠ ــ ١٦٢.
(٥) البيان المغرب: ٢: ١٨.
(٦) الذخيرة: ق٣ م٢: ٦٠٦.
(٧) نفح الطيب: ١: ٤١٥.
(٨) الإحاطة: ٢: ١٥٨.
(٩) نفح الطيب: ٥: ٣٤٢.
(١٠) جذوة المقتبس للحميدي: ٣: ٣١٥.

أعطِ الأجير أجرهُ وينصرف إنّ الأجير بالهوان معترف

فحفظ صاحب الملابس عنها الشعر، وزاد أجرتها.

ومنهنّ من اتّخذت من المغزل هواية تتسلى به، ومصدر عيش في الوقت ذاته، فقيل: ((نِعْمَ اللهو للحرّة المغزل))[١].

وممّا يؤكد علو شأنها أنّ الأندلسيين يعزّون المرأة سواء كانت أمًّا أم زوجة أم جارية، فإذا رأينا تشددهم في بيع الجواري بحيث يتطلب شراؤهنّ حضور كاتب العقود، وتبيان الأسباب التي تُطْلَبُ الجارية من أجلها بكلّ دقة[٢] أدركنا مدى اهتمامهم بها[٣].

وأمتلكت الجواري شخصية قويّة أستطاعت من خلالها أن تفرض نفسها، وتنازع الحرائر منازلهن، ونسنحوذ على حقوقهنّ كافّة. ومن ذلك شخصية (مرجان) [٤] هذه الجارية التي تغلبت على ضرّتها الحرّة القرشيّة (فاطمة بنت المنذر)[٥] بجيلتها ودهائها.

أمّا اعتماد الرميّكية فقد دخلت القصور، وأصبحت زوجة للخليفة المعتمد بن عبّاد، وأمّا لأولاده بسرعة بديهتها، وفرط ذكائها[٦].

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر القرطبي: ٥٥.
(٢) ينظر: تاريخ الإسلام/ د. حسن إبراهيم حسن: ٤: ٦٤٣.
(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين/د. محمّد مجيد السعيد: ٥٠.
(٤) المقتبس لابن حيان: ٥: ٧ – ٩.
(٥) نقط العروس: ٦٩.
(٦) ينظر: نفح الطيب: ٥: ٣٤٢.

وأمتهنت الجواري والقيان الغناء، والعزف على الآلات الموسيقية والرقص، لاسيّما (الجواري المدنيات) [١] الوافدات على بلاد الأندلس.

فظهرت بينهنّ العوّادات والزامرات من الجواري الممتهنات [٢]، وكانت بينهنّ المبدعة والموسيقية والعارفة [٣].

وكلّما كانت القينة مبدعة حاذقة لفنون الغناء ارتفع ثمنها، فقد روى ابن بسّام: أنّ هذيل بن رزين صاحب السهلة دفع ثلاثة آلاف دينار في قينة حاذقة [٤].

وكانت لهن شهرة ذائعة في الأدب والشعر حتّى فرضن على سادتهن احترامهن وتقديرهن [٥] من أمثال إعتماد الرميكية، ونزهة الوهبية [٦] وغيرهن.

وشعرت الجواري بالمقام الذي مكّنه لهنّ بحالهن ودلالهن في قلوب الرجال، فسعين إلى توطيده فلم يتركن عاملًا من عوامل الإستهواء والإغراء إلّا لجأن إليه؛ ولذلك تسلطن على الخلفاء، ورجال الدولة، والشعراء، وعامّة الشعب [٧].

---

(١) المدنيات: نسبة إلى المدينة المنورة.
(٢) البيان المغرب: ٣: ٥٠.
(٣) المرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير)، تمهيد.
(٤) تاريخ الأدب الأندلسي: د. إحسان عبّاس: ٤١٠.
(٥) دراسة أدبية/ د.سعد إسماعيل شلبي: ١٢٥.
(٦) التكملة مجلد المورد، مج١٩ ع١ ١٩٩٠م.
(٧) النساء العربيات/ كرم البستاني: ٢٩.

لم يبق لدينا سوى ميدان الشعر، وفيه تصدّت الأندلسيّة فكانت ترفده برافدين هما:

الرافد الأوّل:

إلهامها الشعراء، فالحب الصادق لعب دوره في قلوب الشعراء ((فلم يكن أمام القلوب الشاعرة إلّا أن تنقاد لعواطفها، فأحبّت وتغزلت، ثمّ خلّفت وراءها فيضًا من شعر الغزل الرائع الجميل)) [١]، ولنا في ما وصل إلينا من قصص الحب الأندلسي أمثلة تؤكد ما ذهبنا إليه، ومنها قصّة الحب العنيف الذي جمع ولّادة وابن زيدون، وما أبدعه ابن زيدون من قصائد خالدة كان في مقدمتها قصيدته (النونية) المشهورة ومطلعها:

أضحى التنائي بديلًا من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا

فكان من أثر هذا الغرام أن ظفر الشعر العربي بقصائد غاية في العذوبة والرقة، وتصوير منازع النفس، وأهواء القلوب [٢] ومنها قصّة حفصة الركونيّة والوزير الشاعر أبي جعفر بن سعيد.

فقد نما بينهما عشق شديد، وولّه عنيف نتج عنه أروع القصائد، وأبدع المقطّعات الشعرية[٣].

---

(١) الأدب العربي في الأندلس/أحمد بلا فريج: ١٦٩.
(٢) المرأة هذا اللغز الأبدي/ سامي الكيّالي: ٢٢.
(٣) ينظر: المغرب: ٢: ١٣٨.

أمّا الرافد الثاني:

فهو إسهامها الفعلي من خلال قصائدها الشعرية، فقد كان بالأندلس وفرة من الشواعر أشهرهنّ: حفصة الركونيّة المارّة الذكر، أديبة زمانها، وأبلغ شعراء أوانها شعرًا، وأدقّهم نظرًا[١].

وولّادة، وما أدراك ما ولّادة، واحدة زمانها المشار إليها في أوانها، حسنة المحاورة، مشكورة المذاكرة[٢]، وحمدة أو حمدونة بنت زياد شاعرة الطبيعة، وخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس[٣]، ونزهون الغرناطية[٤] التي فاقت نساء عصرها، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجاريّة[٥]، وأمّ الكرم بنت المعتصم بن صمادح[٦]، وبثينة بنت المعتمد[٧]، وحفصة بنت حمدون[٨]، وأسماء العامرية[٩]، والغسّانية البجانية[١٠]، وحسّانة التميمية[١١]، وفيض هائل من

---

(١) الدر المنثور لزينب فوّاز: ١٦٥ - ١٦٦.
(٢) المصدر السابق: ٥٤٥.
(٣) المطرب لابن دحية: ١١.
(٤) المقتضب لابن الأبّار: ٢١٦ - ٢١٧.
(٥) المغرب: ٢: ٣٨.
(٦) المصدر السابق: ٢: ٢٠٢ - ٢٠٣.
(٧) النفح: ٤: ٢٨٤ - ٢٨٥.
(٨) نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي: ٤٣ - ٤٤.
(٩) النفح: ٤: ٢٢٨.
(١٠) الصلة: ٣: ٩٩٥ - ٩٩٦.
(١١) النفح: ٥: ٢٩٩ - ٣٠١.

الشواعر الحرائر والجواري، وسنترجم لهنّ في فصل من فصول هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

ولم تقتصر مقدرة المرأة الأندلسيّة على نظم الشعر، وإنّما تعدته لتخوض غمار الفنون المستحدثة في بلادها كفن الموشحات، وفن الزجل، وأثبتت جدارة فيهما، فكان لنزهون موشحة رقيقة في الغزل، وقسمونة بنت إسماعيل أكملت الموشحة التي بدأها أبوها.

وممّا تقدّم نرى أنّ المرأة الأندلسيّة كانت بمكانة مرموقة كأختها المشرقيّة، بل فاقتها في كثير من الأمور؛ فإنّ نصيبها من العلم والمعرفة والحرية كان أكثر من نصيب أختها المشرقيّة، فقد كان بعض المتأدبات يترددن على منتديات الرجال الأدبيّة، كما كان لبعض النساء أيضًا منتديات أدبية يؤمها الرجال والنساء على حدٍّ سواء، ولعلّ ندوة ولّادة بنت المستكفي تعدّ مثالًا لهذا اللون من النشاط النسائي، وتحرك المرأة في الأندلس[1].

وخلاصة القول: إن المرأة الأندلسيّة كانت متحررة إلى حدٍّ كبير، وأنّ حريتها قد تجاوزت الحدود التي كانت تقف عندها حرية المرأة المشرقيّة في بغداد وغيرها؛ ذلك أنّ حريتها تلك كانت مشفوعة بتقدير المجتمع وإجلاله لها[2].

---

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٤٦.

(٢) ابن زيدون/ د. شوقي ضيف، وينظر: ملامح السرد القصصي: ٥١.

إنّ الإعتراف بطبيعة المرأة وبكرامتها إنّها كائن حيّ مسؤول خلّاق مبدع، واحترام طبيعتها يتطلب منّا أن نضع مهاراتها المختلفة - وبالأخص الأدبية منها - موضع اعتبار جنبًا إلى جنب مع مكانتها في البناء الإجتماعي الأخلاقي لأيّ مجتمع من المجتمعات.

والبحث سيسلط الضوء على الشواعر الأندلسيّات، ونتعرف على طبيعة أشعارهنّ، والخصائص الفنيّة التي طغت عليها لنكتشف المهارات، والطاقات الكامنة لدى الشاعرة الأندلسيّة، وإبداعاتها في كلّ الفنون والأغراض الشعرية.

الفصل الأوّل

المرأة الأندلسيّة والشعر

(مواكبة تاريخيّة)

الفصل الأوّل

المرأة الأندلسيّة والشعر

(مواكبة تاريخيّة)

يرى بعض الباحثين القدامى ومنهم (أبو الفرج الأصفهاني) عدم وجود شعر نسوي، فقال في مقدّمة كتابه (الإماء الشواعر): ((ولم أجد في الدولة الأمويّة منهنّ شاعرة مذكورة، ولا خاملة؛ لأنّ القوم لم يكونوا يختارون من كان في شعره لين، ولا يرضون إلّا بما يجري مجرى الشعر الجزل المختار الفصيح))[1].

ويرى (بشار بن برد) أنّ شعر المرأة دائمًا ضعيف، فيقول: ((لم تقل امرأة شعرًا إلّا تبين الضعف فيه))، واستثنى منهنّ الخنساء بقوله: ((تلك فوق الرجال))[2].

ويرى بعض المحدثين، ومنهم الأستاذ عباس محمود العقّاد: ((إنّ الأستعداد للشعر نادر!! وإنّه عند النساء أندر!!!، فالمرأة قد تحسن كتابة القصص، وقد تحسن التمثيل، وقد تحسن الرقص الفني من ضروب الفنون الجميلة، ولكنها لا تحسن الشعر، ولا يشتمل تاريخ الدنيا كلّه بعد على شاعرة عظيمة))[3].

---

(١) أنظر: مقدّمة (الإماء الشواعر) لأبي الفرج الأصفهاني: ٢٣، و(ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام) ليلى محمّد ناظم (رسالة ماجستير): ٢١ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) أنظر: (المرأة في حضارة العرب) محمّد جميل بيهم: ٧٣.

(٣) ينظر: مقدّمة (نزهة الجلساء في أسفار النساء) للسيوطي بقلم عبد اللطيف عاشور: ١٧.

والحقّ أنّ في آرائهم تلك إنكارًا لمقدرة المرأة في نظم الشعر وبراعتها فيه، وما سنذكره هنا من أشعار النساء الأندلسيات يُعدُّ دليلًا قاطعًا، وردًّا حاسمًا على كلّ من أعتقد هذا الإعتقاد، وهذه الأشعار ما هي إلّا جانب من جوانب النهضة النسويّة العربية، فما بالهم حين نُذكّرهم بشواعر العرب المشرقيات من أمثال: الخنساء، وفاطمة بنت الأحجم الخزاعية، وآمنة بنت عتبة، وأمّ بسطام، وأمامة بنت ذي الإصبع العدواني الشاعر الفارس، وليلى الأخيلية، ومارية بنت الديّان، وأمّ الفضل الهلالية، وأمّ قيس الضبّية وغيرهن.

وهذا أبو نواس يؤيد ما ذهبنا إليه بقوله: ((ما قلتُ الشعر حتّى رويت لستين امرأة من العرب، منهنّ الخنساء وليلى، فما ظنّك بالرجال؟!))[1]، والأدلة كثيرة ومتعددة، فبعض المصادر الأدبيّة خصصت للنساء الشواعر حيزًا في ثناياها كالأغاني، والصلة، والبغية، والمغرب، والنفح مثلًا، ومنها التي تتحدث عن شاعرات فقط ككتاب (أشعار النساء) للمرزباني، و (الإماء الشواعر) للأصفهاني، و (نزهة الجلساء في أشعار النساء) للسيوطي.

وهناك رواية تقول: ((إنّه وجد في الأندلس فقط ستّون ألفًا من الشاعرات))[2]، ورغم المبالغة الواضحة في هذا العدد إلّا أنّ الرواية لا تخلو من بعض الحقيقة.

---

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ أنيس المقدسي: ١١١.

(٢) المرأة في حضارة العرب: ٢٣٩.

وبعد أن تأكد لنا أنّ المرأة العربية وبالأخص المرأة الأندلسيّة قد قالت الشعر، وأسهمت في رفد كتب الأدب والشعر بالذات بالعديد من القصائد والمقطوعات، فعلى الرغم من ضياع الكثير من النتاج الشعري وبضمنه الشعر النسوي في الأندلس بسبب تغافل بعض المؤرخين عمّا جادت به قريحة المرأة.

ولا أعلم لماذا أغفل متأدبوالأندلس ومؤلّفوهم عن ذكر شعر نسائهم، واستقصائه، والعناية بتقييده، فحتّى الذي أرّخ لهنّ، وترجم بعض الجوانب من حياتهنّ لم يذكر ما قالته المرأة الأندلسيّة من أشعار[1].

فقد يكون هذا التغافل نتيجة التعصب، وقد يكون لقلّة عدد الشواعر في هذه الحقبة، أو لأنّ أشعارهن كانت ضعيفة لا تغري بروايتها، وقد يعود هذا الإهمال إلى أنّ مكانة المرأة الأندلسيّة الشاعرة لم تتبلور بعد، فلم نجد كتبًا خاصّة بأشعار النساء على غرار ما فعله المشارقة إلّا في العصور اللاحقة؛ ولذلك لم يصل إلينا من نشاطهن الشعري شيء يذكر.

وهناك ثمة سبب آخر هو أنّ الذي أرّخ للأندلسيين منذ الفتح العربي وحتّى القرن الرابع الهجري هم المصريون، فمن المحتمل أنّهم لم يكونوا على دراية كافية بأحوال الناس لاسيّما المرأة، فاكتفوا برواية أخبار وأشعار اللامعين من الأدباء والشعراء.

---

(١) ينظر: المرأة في جاهليتها وإسلامها: ١٤٨.

ولعبت أيدي الزمن الغادرة دورًا في إتلاف وضياع الكثير من ذلك التراث العريق، فالكوارث الطبيعية التي حلّت بالبلاد، والفتن، والمنازعات، والإضطرابات بين العرب والبربر من جهة، وبين القبائل العربية من جهة أخرى، فكان الصراع بين القيسية واليمانية مريرًا كاد يؤدي إلى ضياع الأندلس[١]، وليس التراث العربي فقط، ففي مأساة تاريخ الأندلس ضاعت منّا كثير من النصوص والأخبار المتعلقة بهذه الفترة[٢].

وممّا يؤكد هذا ويوضحه أنّ التاريخ يحدّثنا أنّ المسيحيين بعد أن أحتلوا غرناطة أحرقوا بساحاتها عددًا كبيرًا من الكتب بأمر من الكاردينال (مينس)، كما أمر أن تباد عصارة الفكر العربي في جميع البلاد الأندلسيّة[٣].

فلو أنّ بعض الكتب وصلت إلينا لأمدّتنا بالكثير النافع ككتاب (الحدائق) لأحمد بن فرج الجيّاني، وكتاريخ ابن حيّان، أو تكملة كتاب (الحلة السيراء) لابن الأبّار وغيرها، فقد تكون قد أحرقت ضمن ما أحرق من كنوز العرب.

وعلى الرغم من كلّ تلك المسببات للإتلاف والضياع؛ فإنّ الشعر الأندلسي كان موجودًا، وكان كثيرًا رغم قلّة مصادره بإستثناء عهد الولاة (من ٩٢هـ - ١٣٨هـ) والذي يبدأ بانتصار طارق بن زياد على (لذريق) في معركة وادي

---

(١) ينظر: ملامح الشعر الأندلسي: ١٥..

(٢) (الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العربية) بحث، د. محسن جمال الدين: ١٦٤.

(٣) ينظر: الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال/ محمّد عبد الله عنان: ٤٣٠.

(بكة)، ثمّ تحوّل موسى بن نصير إلى إسبانيا، وتولّي ابنه عبد العزيز ولاية الأندلس من قبله، فلم نعثر على نصّ شعري قالته امرأة.

والحقيقة: أنّ عهد الولاة هو العهد الوحيد الذي يخلو من شعر المرأة وذلك لأسباب عدّة منها:

أنّ السمة المميزة لهذا العصر من تاريخ المسلمين في الأندلس إنّه لم يكن عصر علم وثقافة، وإنّما كان عصر فتوحات، وصراعات سياسية، فلم يصل إلينا على اهتمامهم بأمور الثقافة، والمعرفة، وفنون الأدب خلال السنوات القليلة التي أعقبت الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا، فالحياة مضطربة، والمجتمع مفكك قلق[1]، والحركة العلمية تسير ببطء نتيجة غياب الحكومة المنظمة القادرة على إدارة البلاد، وتنظيم أمور المجتمع.

فقد تعاقب على حكم الأندلس سبعة عشر واليًا منذ الفتح العربي حتّى مجيء عبد الرحمن الداخل[2]، كما أنّ أغلب الوافدين إلى الأندلس كانوا مقاتلين لا يهمهم سوى المعارك، وتحقيق الانتصارات، ونشر الدين الإسلامي في ربوع تلك الجزيرة، فكان بين المقاتلين من التابعين والفقهاء دخلوها للجهاد، ولرواية الحديث، وإشاعة العلم الديني بين الناس، ومنهم موسى بن نصير الذي كان يروي عن تميم الداري[3].

---

(١) ينظر: أتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري: ١٤.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة لمؤلّف مجهول.

(٣) ينظر: بغية الملتمس: ١٠.

وقد حفظت لنا بعض المصادر أسماء نفر ممن كانوا يقرضون الشعر دخلوا مع الفاتحين، ومنهم (أبو الأجرب الكلابي) و(حسام بن ضرار الكلبي) [1]، ولكن تلك المصادر لم تشر إلى أسماء شاعرات فإحتمال جدًا كبير أنّ المرأة الشاعرة لم تفد إلى الأندلس مع الفاتحين.

أمّا في عهد الإمارة من (١٣٨هـ - ٣٠٠هـ) فقد دخلت الأندلس في طور جديد بعد أن نجح (عبد الرحمن بن معاوية) الملقب بـ (الداخل) في تسلم زمام الأمور بيده، واستخلاص السلطة لبني أميّة، واستطاع الداخل التغلب على يوسف الفهري آخر والٍ من ولاة الأندلس تابع إلى المشرق في أوائل العهد العباسي، ثمّ بادر الداخل إلى قطع الخطبة عن خلفاء الدولة العباسيّة، وخاض معارك كثيرة ضد الأسبان والمسيحيين، كما تصدى لسائر الافرنج، وفي النهاية أستطاع أن يثبّت أركان دولته، ويعيد الطمأنينة إلى النفوس لاسيّما بعد أن هزم (شارلمان) وجيشه، وفتح سرقسطة كما أفلح الداخل في أن يستأصل أسباب النزاع بين العرب والبربر؛ وبذلك توحدت الصفوف، وتألفت القلوب[2].

وقد دام حكم عبد الرحمن الداخل من (١٣٨هـ - ١٧٢هـ)، وجاء بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن من (١٧٢هـ - ١٨٠هـ)، ثمّ جاء ابنه الحكم بن هشام من بعده من (١٨٠هـ - ٢٠٦هـ)، وفي هذه الحقبة أزدهرت حركة الشعر في الأندلس، وقد ساعدت على إزدهارها عوامل عديدة منها: النهضة الثقافية التي حظيت

(١) ينظر: نفح الطيب: ٤: ١٦٩.
(٢) ينظر: ملامح الشعر الأندلسي/ د. عمر الدقاق: ١٦.

بتشجيع أولي الأمر، وتقريب أصحابها، فاهتموا بالفقه، واللغة، والطب، والفلك وغيرها، وشجعوا على التأليف في مختلف العلوم والفنون، كما نشطت هجرة الكتب والدواوين المشرقيّة أيّام الحكم، فقد أرسل عبّاس بن ناصح الجزيري ليجلب له الكتب القديمة، فجاءه بكتاب (السند هند) وغيره، وهو أوّل من أدخلها الأندلس[١].

كما ((تهيّأت لأهل الأندلس أسباب الشعر، وتوافرت لديهم دواعيه، فطبعوا على الشغف به، وأنبسطت ألسنتهم بقوله حتّى قلّ أن تجد منهم من ألمّ بطرف من الآداب ولم يقل شعرًا)) [٢].

فإهتمام الأمراء والوزراء شجعهم على نظمه، فضلًا عن أنّ هؤلاء الأمويين كانوا أنفسهم شعراء، فلقد كان كثير من الحكام بالأندلس شعراء، ومنهم المتفوق المكثر، ومنهم المقلّ[٣]. فقد قال ابن فرج في كتابه الحدائق: ((إنّ منهم من يجلّون عن الشعر في أقدارهم، كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أفواههم، وإنّما يستنبطون في سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلّا الشيء القليل، ولعلّ ما سقط عنّا أفضل ممّا سقط إلينا)) [٤].

أمّا المرأة الأندلسيّة فقد واكبت كلّ تلك التطورات الثقافية، وكانت لها إسهامات جادّة في حركة الشعر العربي من خلال ما نظمته من مقطوعات

---

(١) المغرب: ١: ٤٥.
(٢) في الأدب الأندلسي/ جودت الركابي: ٦٣.
(٣) ينظر: الحلّة السيراء: ورقة ٤٨، وما نقله إحسان عبّاس في تاريخ الأدب الأندلسي: ٦٣.
(٤) المصدر السابق: ورقة ٥٩.

شعرية، فقد فتنتها طبيعة البلاد وعشقتها، وتأثرت بها كما تأثر الرجل، كما إنّها عاشت حياة ترف ورخاء، وتمتّعت بحرية كافية تلك الحرية التي تمتّع بها كافّة الأفراد، فلم يكترثوا للتقاليد ذات الجذور الصارمة المنغلقة[١]، وقد سمحت لها حريتها التي تمتّعت بها في ذلك البلد أن تنافس الرجل في كلّ الميادين، ومنها ميدان الشعر.

وربّ سائل يسأل: هل المرأة التي قرضت الشعر كانت أندلسيّة مولدًا ومنشأً في الحقب الأولى؟!!.

لقد أجاب ابن حزم الأندلسي على هذا السؤال بقوله: ((وذلك أنّ جميع المؤرخين من أئمّتنا السالفين، والباقين دون محاشاة أحد، بل يقينًا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي أستقرّ بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد فنحن أحقّ به، وهو منّا بحكم جميع أولي الأمر منّا الذين إجماعهم فرض اتباعه، وخلافه محرّم إقترافه)) [٢].

وأصبح واضحًا أنّ المرأة التي غادرت المشرق العربي، وأستقرت هناك تعدّ أندلسيّة فكانت أوّل شاعرة بأرض الأندلس من الجواري الوافدات من المشرق والتي عرفت بصفتها وهي العجفاء[٣].

---

(١) ينظر: في الشعر الأندلسي/ د. عدنان صالح مصطفى: ٧٤.
(٢) فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم الأندلسي وأخرون، نشرها: د. صلاح الدين المنجد: ٩.
(٣) نفح الطيب: ٤: ١٣٦.

وهناك عوامل أخرى ساعدت على إزدهار الشعر في عهد الإمارة هي كثرة عدد الوافدين إلى الأندلس والمرتحلين عنها، وقد شكّل هذا الأمر ظاهرة مهمة في تاريخ الأندلس ممّا دفع بعض المؤلّفين إلى تخصيص فصولًا للطارئين على بلاد الأندلس من أمثال: ابن بسّام في كتابه (الذخيرة)، والمقري في كتابه (نفح الطيب)، وقد نقل هؤلاء الوافدون تراث المشارقة، فجاءوا محملين بالكتب، والمخطوطات، والدواوين الشعرية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو عليّ القالي، وزياب البغدادي، وابن زريق البغدادي[1] الذي كتب قصيدته العينية الرائعة هناك ومطلعها:

لا تعذليه فإنّ العذل يولعهُ قد قلتِ حقًّا ولكنْ ليس يسمعه

وبدأ الإهتمام بالمرأة الشاعرة تظهر بوادره في هذا العهد لاسيّما من قبل المسؤولين، ونستدلّ على ذلك من خلال قصّة (حسّانة التميمية) والحكم بن هشام، وابنه عبد الرحمن الثاني حين التجأت إلى الحكم تشكو ظلم عامل مدينتها (ألبيرة)، فكتب الحكم إليه يأمره بأن يجري عليها راتبًا، ويُحسن إليها[2].

وهناك عامل آخر كان له الأثر الكبير في تطور الشعر ألا وهو انتشار الغناء وتطوّره؛ لأنّ مادّة الغناء هي الشعر، وأنّ التفاعل بين الموسيقى والشعر ذو قدرة على توجيه الشعر، وتحديد قوالبه[3]، وأنّ أجزاء الشعر مؤلّفة من ثلاثة

---

(١) ينظر: رسالتنا في الماجستير: (الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري): ٢٠٣.

(٢) ينظر: نفح الطيب: ٥: ٢٩٩ – ٣٠١.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي: ٥٣.

أصول: سبب، ووتد، وفاصلة، وهكذا قوانين الغناء مؤلّفة من ثلاثة أصول: سبب، ووتد، وفاصلة [1]، وهناك بيت شعري لحسّان بن ثابت ذكره (كرم البستاني) في كتابه (النساء العربيات) يقول:

تغنّ بالشعر اما كنت قائلهُ إنّ الغناء لهذا الفن مضمار

ولا ننسى هنا دور الجواري والقيّان في نقل الغناء المشرقي إلى الأندلس ومنهنّ (العجفاء) التي أشتراها عبد الرحمن الداخل بعد أن سمع بفنها وأدبها، و(فضل) وصاحبتها (علم) المدنيتان اللتان أشتريتا له أيضًا، وكان عبد الرحمن يؤثرهما لجودة غنائهما، وحسن ظرفهما، ورقّة أدبهما، وتضاف إليهما الجارية (قلم) وهي الثالثة في الحظوة عنده، وكانت أندلسيّة الأصل رومية من سبي (البشكنس)، وكان من إهتمام هذا الأمير بالجواري المدنيات أن أبتنى لهنّ دارًا سمّيت بـ (دار المدنيات)، وجاءت بعدهنّ (قمر) البغدادية التي أشتراها إبراهيم اللخمي صاحب إشبيلية، وكانت من أهل الفصاحة، والبيان، والمعرفة، تصوغ الألحان، وتنظم الأشعار[2].

وأهتمّ بنو أميّة بالغناء فعندما كاتب (زرياب) [3] الحكم بالقدوم إلى الأندلس سُرَّ الحكم بذلك، وأرسل مغنيًا كان عنده اسمه (منصور)

---

(١) النساء العربيات/ كرم البستاني: ٦٣.

(٢) نفح الطيب: ٤: ١٣٧.

(٣) زرياب: هو عليّ بن نافع أبو الحسن وفد إلى الأندلس في خلافة عبد الرحمن بن الحكم عام (٢٠٦هـ)، ومضى زرياب: طائر أسود غرد. أنظر ترجمته في: النفح: ١: ٣٢٢، و ٣: ١٢٩ – ١٣١، وينظر: الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية/ د. محسن جمال الدين: ١٥٢.

ليستقبله، ولكنّ الحكم توفّي قبل أن يصل زرياب، فاهتمّ بأمره ابنه عبد الرحمن، فحثّه على القدوم، وأجرى عليه راتبًا شهريًّا قدره مائتا دينار.

وكان للحكم جوارٍ مغنيات منهنّ (عزيز) و(بهجة) أو (مهجة)، و(فاتن)، وكان يقترح عليهنّ الأشعار التي يغنين فيها، كما كان بعضهن ينظم الشعر، ويلحنه بعضهن، فلم تقتصر القينات على الغناء، وإنّما كان لأكثرهن صنعة حسنة في الألحان وعلى أنّهن تلميذات الرجال في هذا الفن؛ فإنّ كثيرًا من الرجال قد أخذ عنهن، وكانت بينهنّ أديبات ينظمن الشعر، ويلحنّه، ويوقعنه، ويغنينّه[1]، فقد نظمت (عزيز) بعض الأبيات وغنّتها بعد أن أمرها الحكم بتلحينها ومنها[2]:

قد تقضى إلّا بقايا من شعاع محلق للأصيل

وعند دخول (زرياب) إلى الأندلس جلب معه أبناءه وجواريه، فكانت له فتاتان هما (غزلان) و (هنيدة)[3].

ومن شغفه بالغناء كان يأخذ عوده ويطارحهما ليلته حتّى تحفظانه، ويكتب الشعر، ثمّ يعود إلى نومه.

---

(١) النساء العربيات/ كرم البستاني: ٨٦.

(٢) أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، بحث، د. إحسان عبّاس: ٤ - ٥، نقلًا عن مسالك الأبصار: ١: ٢٦٩ (مخطوطة آيا صوفيا رقم ٣٤٢٣).

(٣) تاريخ الموسيقى الأندلسيّة/ د.عبد الرحمن الحجي: ٣٤.

أمّا جاريته (متعة) [1]، فقد أدّبها وعلّمها أحسن أغانيه، وكانت رائعة الجمال، وقد أعجب بها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٠٦هـ) وأبدت الرغبة له، وغنّت بعض الأبيات لتبين ذلك منها[2]:

يا من يغطي هواه من ذا يغطي النهارا
قد كنتُ أملكُ قلبي حتى علقتُ فطارا

فلمّا أنكشف أمرها لزرياب أهداها إليه، فحظيت عنده، وقد تمتّعت جواري زرياب بالإستحواذ على الأموال التي كانت تأتيه من الغناء، من ذلك الثلاثة آلاف دينار التي نثرها عليهن[3].

وأمّا (مصابيح) [4] فقد أخذت هي الأخرى الغناء عن زرياب، وأشتهرت بنبلها، وإحسانها، وطيبة قلبها، وجودة غنائها، وقيل: هي جارية الكاتب حفص بن عمر بن قهليل[5].

ولم يكتفِ زرياب بتعليم الجواري الغناء، بل علّم ابنتيه الغناء أيضًا هما: (عُليّة) و (حمدونة)، وكانت الأخيرة متقدّمة[6] على أختها فيه، وقد صارتا

(١) نفح الطيب: ٤: ١٢٧ وتسمّى أحيانًا (منفعة).
(٢) نفح الطيب: ٢: ٧٥٣ ضمن أخبار زرياب، وأعلام النساء: ٣: ١٥٠٠.
(٣) ينظر: المغرب: ١: ٥١، والمرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير): ١٧.
(٤) نفح الطيب: ٤: ١٢٧.
(٥) ينظر: أخبار الغناء والمغنين في الأندلس: ٥٦.
(٦) أعلام النساء: ٣: ٣٣٤.

فيما بعد مضربًاللأمثال في إتقان الألحان الصنعة والغناء، ومن ذلك قول زيادة الله[١] بن عليّ الطبني نسبة الى مدينة (طبنة) في الجزائر (ت٣٩٤هـ) [٢]:

أدنتْ إليّ صبابتي مُغردةٌ أذكى الجوى بين أضلاعي ترنمها
كأنما مكثت في عُشها زمنًا عُليّة بنت زرياب تعلّمها

ولكن طال عمر (عُليّة) بعد أختها (حمدونة)، ولم يبق من أهل بيتها غيرها، لذا أصبحت مرجعًا لمتعلمي الغناء، وذاع صيتها[٣].

وقد وجد الغناء بالأندلس سوقًا رائجة فأقبل الناس عليه، ولم يتحرج أحد منهم لذلك، فقد كان المطرف بن الأمير محمّد عالمًا بالغناء.

أمّا رجال الدين فقد كانوا في هذه الناحية أقرب الناس شبها بفقهاء أهل المدينة ونسّاكها، ودليلنا على ذلك قصّة القاضي (محمّد بن أبي عيسى) حين كتب بعض الأبيات في يده بعد أن غنّتها جارية للحديري، وخرج للصلاة على جنازة، والأبيات ما زالت مكتوبة على باطن كفّه[٤] وهي:

طابت بطيبٍ لثاتك الأقداح وزهتْ بحمرة خدّك التفاحُ
وإذا الربيع تنسمت أرواحهُ طابت بطيب نسيمك الأرواحُ
وإذا الحنادسُ أُلبست ظلماءها فضياء وجهك في الدجى مصباحُ

---

(١) ينظر: الذخيرة: م١ ق١: ٥٣٥ – ٥٣٨.
(٢) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتّاني: ٦١.
(٣) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي: ١٧ – ١٨.
(٤) الجذوة: ٧٠.

نستنتج ممّا سبق أنّ المرأة في الأندلس كان لها نصيب كبير في مجال الغناء والتلحين، وأنّ أغلب المغنيات كُنّ من القيان قد برعن جميعًا بالغناء والموسيقى، وقطعن فيهما أشواطًا بعيدة[١].

ثمّ يأتي عهد الخلافة والحجابة من (٣١٦هـ - ٣٦٦هـ - ٣٩٦هـ) أي من عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقّب بـ (الناصر) الذي أعلن الخلافة لأوّل مرّة سنة (٣١٦هـ) إلى وفاة الحكم المستنصر بالله سنة (٣٦٦هـ).

وتبدأ فترة الحجابة بعد أن تولّى هشام المؤيد وكان حدثًا صغيرًا، فتولّى أمور الدولة الحاجب المنصور، فكان هو الحاكم الحقيقي للبلاد.

وفي هذا العهد عمّ الإستقرار، والأمن، والرخاء، والرقي إذ لقي الشعراء التشجيع، والمكانة اللائقة في المجالس الخاصّة، وفي الحياة العامّة[٢].

فقد أنشد الشعر الأمير، والوزير، والفلّاح، والجزّار[٣]، وكان خلفاء وأمراء بني أميّة أغلبهم شعراء أو من محبّيه؛ لذلك أهتمّوا به فكانوا مثالًا يحتذى به لدى العامّة، وفي ذلك يقول(فرانشيسكو فيلاس): ((كان قواد العرب أوّلًا ومن بعدهم الخلفاء والأمراء مثالًا للشعب في بثّ الفكرة الأدبية في الأندلس، لا نكاد نستثني منهم واحدًا لم يخلّد اسمه بقصيدة غرام أو حماسة))[٤].

---

(١) الشعر النسوي: ٤١.
(٢) المنهل في الأدب العربي - العصر العباسي والأندلسي - د. علي جواد الطاهر: ١٦٥.
(٣) ينظر: في الشعر الأندلسي: ٧٤.
(٤) ينظر: الأدب الأندلسي: ٩٥ - ٩٦.

وقد قدّم لنا الدكتور إحسان عبّاس دراسة مستفيضة عن عهد الإمارة والخلافة في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي) وأطلق عليها: (عصر سيادة قرطبة)؛ لكونها العاصمة

وفي ظل الخلافة الأموية في الأندلس تمتّعت المرأة بنفوذ واسع، وقسط كبير من الحرية لا تقلّ عن أختها المشرقيّة في الجانب السياسي، والثقافي، والأدبي.

كما لاحظنا كثرة عدد الشواعر، والأديبات، والكاتبات، والمعلمات، والعروضيّات، والمغنّيات في هذا العصر ؛ لأنّ المرأة حين تنعم تبدع، وحين يصيبها الكفاف تجمد، كما أنّ أوّل ما يجفّ من أنواع الشجر الزهر.

وقد ساعدها على ذلك تلك النهضة الأدبية التي بلغت ذروتها في النضج حيث أحتلت الأندلس مكانة مرموقة في المغرب والمشرق، وانتشرت في قرطبة المدارس، وفتحت الأبواب أمام أدباء المشارقة لعرض نتاجاتهم، فجاءوا محملين بكتبهم، ودواوينهم الشعرية، ومدحوا الخلفاء والأمراء طمعًا في عطاياهم، فكانت تلك المدارس عاملًا مهمًا في إزدهار حركة الشعر.

كما أنّ قيام بعض الأدباء والمؤرخين الأندلسيين بالرحلة إلى المشرق العربي، وجلب الأشعار المشروحات كلّها، كما فعل محمّد بن عبد الله الغازي[1] (ت ٢٦٩هـ)، فقد وفّر للأندلسيين فرصة الإطلاع على نتاجات المشارقة، وقد قام بعضهم برواية

(١) طبقات الزبيدي: ٢٨٩، وتاريخ ابن الفرضي: ٢: ٢٤.

أشعار الشعراء اللامعين كأبي نواس[١]، فقد رواها (عبّاس بن ناصح)، وقد روى شعر أبي تمّام كلّ من: (عثمان بن المثنى) [٢]، و(مؤمن بن سعيد) [٣].

فعلى يد هؤلاء وغيرهم من الذين رحلوا الى المشرق وعادوا الى الأندلس وما بذلوه من جهود خيرة في نقل ما أنتجته العقلية العربية المشرقية، تبلور الذوق الأندلسي وظهر الشعر بشخصيته المستقلة.

وفي هذا العصر ظهر (ديوان الشعراء) وهو يشبه إلى حدٍّ ما (ديوان الجند) الذي أستحدث في العصر الإسلامي، فقد قيّدت فيه أسماء الشعراء، وقُدِّرَت أُعطياتهم بحسب مراتبهم من الشعر، وكان أمر الديوان موكلًا إلى واحد من النقّاد هو (عبد الله بن مسلمة)، فعلى يديه كانت تخرج الصلات، وعلى حسب ترتيبه كانت تجري أمور الشعراء[٤].

ويذكر أنّ الشاعر ابن درّاج القسطلي أتهم بالتقصير، والإنتحال، والسرقة؛ لأنّه عارض قصيدة صاعد البغدادي حين مدح المنصور فلم يثبّت اسمه في ديوان العطاء[٥]، ومعنى ذلك أنّ المعارضة الشعرية كانت تحرم صاحبها من التسجيل في الديوان، والحصول على العطاء.

---

(١) طبقات الزبيدي: ٢٨٤ – ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٨.

(٣) المغرب: ١: ١٣٢.

(٤) ينظر: جذوة المقتبس: ١٠٣ و ٢٣٩.

(٥) المصدر السابق: ١٠٣.

ولا نستبعد أنّ بعض شاعرات هذا العصر قد دُرجت أسماؤهن في ذلك الديوان، ولكن أين ذلك الديوان؟!، فقد يكون قد أتلفته يد الزمن فضاع كما ضاع العديد من الكتب والمؤلّفات لاسيّما الأدبية منها، فهذه الحقبة أمتازت بكثرة التأليف، وما سنذكره هنا كان قد أُلّف في الناحية الأدبية، ومنها:

١. طبقات الكتّاب بالأندلس للأفشين (ت٣٠٩هـ).

٢. طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة (ت٣١٠هـ).

٣. أخبار الشعراء أو أخبار شعراء الأندلس لمحمّد بن هاشم الأموي (أيّام الناصر).

٤. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لعليّ بن أبي الحسين.

٥. أخبار شعراء الأندلس أو طبقات الشعراء لابن الفرضي.

٦. أخبار شعراء الأندلس لعبادة بن ماء السماء.

٧. كتاب في شعراء الأندلس لعثمان بن سعيد الكناني (ت ٣٢٠هـ).

٨. كتاب شعراء الأندلس لمحمّد بن عبد الرؤوف الأزدي (ت ٣٤٣هـ).

٩. كتاب شعراء البيرة لمطرف بن عيسى الغسّاني (ت ٣٥٧هـ).

١٠. كتاب الشعراء من الفقهاء بالأندلس لقاسم بن نصير (ت٣٨٨هـ).

هذا فضلًا عن الدواوين التي جمعت كشعر ابن عبد ربّه الأندلسي، وديوان الغزال، وديوان يحي بن هذيل، وديوان قاسم بن نصير وأكثر شعره في

الزهد، وديوان النصائح وهو أيضًا مجموعة من الأشعار الزهدية لابن أبي زمنين، وغير ذلك من الدواوين والمجموعات الشعرية.

هذا ما يخصّ الناحية الأدبية، فكيف بالنواحي الثقافية الأخرى؟!.

ومن مظاهر التأليف تلك نستطيع أن نفنّد ما ذهب إليه (ابن الربيب التميمي القيرواني) من أنّ الأندلسيين ليست لديهم مؤلّفات، وأنّ هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقائهم، ومناقب قضاتهم، وكان دليله على ذلك: أنّ تلك التآليف لم تصل إلى القيروان، فلو كانت موجودة لوصلت إلى هناك فالمسافة بين البلدين قريبة، والشقّة غير نائية[1].

وهناك دليل آخر على عدم صحة رأيه، فقد سبق وأن دوّن ابن حزم الأندلسي في إحدى رسائله (تاريخ الفكر الأندلسي)، فذكر في كلّ موضوع أهم الكتب التي ألّفت فيه، فكانت الرسالة بمثابة فهرسة حافلة لكلّ ما أنتجته العقلية الأندلسيّة، وهي بالغة الأهميّة لمن يريد أن يتعرف على الحركة العلمية، والثقافية في ذلك البلد.

ولكن من المؤسف أنّ أغلب الكتب التي ذكرناها والتي ذكرها ابن حزم لم تصل إلينا، فقد تكون قد ضاعت أو أُتلفت، وقد تكون ما زالت موجودة على رفوف بعض المكتبات العالمية لم تصل إليها يد المحقّقين والمهتمّين بالتراث بعد.

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي/جونثالث بالنثيا: ٢٢١، ترجمة د. حسين مؤنس.

أذن هناك جوانب كثيرة من الحياة الفكرية الأندلسيّة ما زالت غامضة، ولو أستطعنا الحصول على بعضها لكشفنا النقاب عن تاريخ الأمّة العربية الإسلامية في الأندلس، فمثلًا كتاب (طبقات الكتّاب بالأندلس) للأفشين ت ٣٠٧هـمن المؤكد أنّه يحمل بين طيّاته شعرًا، بل ربّما هو مجموع شامل لشعر عصر الإمارة لم يصل إلينا، لذا خفيت عنّا معلومات جمّة عن ذلك العصر.

وليس من المعقول أن تخلو قائمة المصادر التي ذكرناها عن ذكر بعض الشواعر الأندلسيات.

وفي هذا العصر ظهر فن الموشح فأقبل الناس عليه إقبالًا شديدًا، وكان للمرأة نصيب منه، فقد أشتهرت فيما بعد شواعر نظمن الموشحات، وأبدعن فيها كأمّ الكرم، ونزهون، وقسمونة.

كما ظهر فن الزجل الذي أبتكره(مقدم بن معافر القبري الضرير) المتوفّى سنة ٣٠٠هـ، وهو فن جديدفي القوافي والأوزان، ونسق الأبيات، وأيضًا كان للمرأة إسهامات فيه كتلك البطائق المنظومة أزجالًا والتي أرسلتها أمّ الكرم إلى حبيبها.

وانتهى عهد الخلافة والحجابة بعد أن ثارت قرطبة على أولاد المنصور، وحدثت الفتنة الكبرى، فأخذ بعض الولاة الطامعين يستقلون بمناطقهم، ويحكمونها حكمًا مباشرًا، وقد عُرِف هؤلاء بملوك الطوائف.

وانتهى تطاحن هؤلاء بظهور ثلاث طوائف متعادية فيما بينها هي: البربر وقد أستولوا على الجزء الجنوبي من الأندلس، والصقالبة الذين أسنولوا على شرق الأندلس، والأندلسيون وقد أقاموا دولهم فيما بقي للمسلمين من جزيرة الأندلس.

وقد قامت بين تلك الدول منافسة حادّة في جميع الميادين، ونشأ عن ذلك التنافس نهضة علمية، أدبية، ثقافية بلغت أقصى درجات التقدم والإزدهار، وجاء هذا الإزدهار نتيجة لعوامل عدّة منها:

إنّ عصري الإمارة والخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة تجمّعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كلّ فرع من فروع المعرفة، واختمرت إختمارًا طويلًا.

ومنها: إنّ علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة، وأنتشروا في شتى نواحي الأندلس، وكذلك توزعت في كلّ ناحية مجموعات من الكتب التي كانت مختزنة في مكتبات قرطبة.

ومنها أيضًا: تلك الحرية التي أتاحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة.

يضاف إلى ذلك كلّه أنّ ملوك الطوائف حرصوا على تزيين بلاطاتهم بالأدب والشعر، فسعوا إلى شحذ همم الشعراء، والأدباء، والكتّاب، والمفكرين كي يبزّوا أقرانهم الآخرين، لا بل كان لبعضهم شعراء، وأبرزهم المعتمد بن عبّاد.

أمّا الشعر فقد أنتشر إنتشارًا واسعًا، واهتمّ الأندلسيون بتسجيل أشعار شعرائهم وتدوينها، فظهرت الدواوين، والتراجم الأدبية، والأخبار، والمساجلات، والمناظرات في كثير من الكتب التاريخية والأدبية؛ وذلك خوفًا عليها من الضياع، فبعد أنّ أستمرّت كتابة التاريخ الأندلسي في يد المصريين - كما ذكرنا آنفًا - حتّى القرن الرابع الهجري أخذت تضعف وتتضاءل بظهور مجموعة كبيرة من المؤرخين، والأدباء الأندلسيين[1] لاسيّما بعد أن نمت الثقافة الأندلسيّة، واستقلّت بشخصيتها الأندلسيّة عن الثقافة المشرقيّة، فتولّى الأندلسيون كتابة تراثهم بأنفسهم، ومن أشهر هؤلاء (عليّ بن حزم القرطبي ت٤٥٦هـ)، وأشهر مؤلّفاته (طوق الحمامة) و (نقط العروس في أخبار بني أميّة بالأندلس)، وقد تطرق إلى بعض الشواعر فيهما، و (ابن حيّان القرطبي (ت٤٦٩هـ)، ومن أشهر مؤلّفاته (المقتبس في أخبار بلد الأندلس) أو (المقتبس في تاريخ أهل الأندلس، وقد وصل إلينا منه خمس قطع، وضمّ بين طيّاته أخبار، وأشعار مجموعة من شواعر الأندلس، و (عليّ بن بسّام الشنتريني ت ٥٤٢هـ) مؤلّف كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) الذي يعدّ موسوعة تاريخية وأدبية تضمنت التراث الأندلسي للقرن الخامس الهجري.

وكَثُرت في عصر الطوائف مجالس الأنس والطرب، واللهو، والمجون، الخاصّة والعامّة التي تعتمد على المناظرات الشعرية، وكان طبيعيًا أن يحدث مثل

(١) ينظر: بحث (من التراث الأسباني) أحمد مختار العبادي: ٤١.

هذا لما كان لديهم من فراغ، وحرية، ورخاء، ولتلك المجالس الفضل في إغناء الأدب الأندلسي بكثير من القصائد المغنّاة الجديدة في نظمها وتلحينها.

ولعبت المرأة الأندلسيّة دورًا عظيمًا في هذا العصر؛ وذلك لإرتفاع صوتها الأدبي، وحريتها في التعبير عن مشاعرها بصراحة في مجالس تعقدها مع شعراء العصر[١] فتميز هذا العصر بالحرية الزائدة، والخروج على التقاليد الإجتماعية، كما أصبح الشعر العربي مظهرًا مميزًا للثقافة الأندلسيّة، ومرآة للحياة العقلية، لذا فإننا لا نكاد نجد فقيهًا من فقهاء الأندلس إلّا وقال الشعر، كما كان بعض فقهاء المشرق يفعلون[٢]، وتعدّ هذه السمة في الأندلس من سمات الفضل، ووسائل النبل، وأداة الظرف عند الخلفاء الخاصّة والعامّة[٣].

كما أننا لا نجد لغويًّا، أو متكلّمًا، أو فيلسوفًا، أو طبيبًا، أو رياضيًّا، أو مؤرخًا، أو عالمًا إلّا وهو يقول الشعر[٤]، والمرأة جزء من ذلك الكلّ فأطلقت لنفسها العنان حين بادرت مع نزر المساعدة المبذولة لها لمجاراة الرجال في الرد عليهم؛ لأنّها رفضت الخضوع، والذلّ، والهوان[٥]، وتمكنت من التعبير عن أنوثتها، ومفاتنها، وغرائزها، ورقّتها، وضعفها الذي يدفعها في كثير من الأحيان إلى البكاء، وذرف الدموع فرحًا أو حزنًا[٦].

---

(١) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٤٩.
(٢) ينظر: العقد الفريد: ٥/ باب الشعر.
(٣) الأدب الأندلسي/ أحمد بلا فريج: ١: ٩٥.
(٤) الأدب الأندلسي/ أحمد بلا فريج: ١: ٩٧.
(٥) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير) عصر الطوائف لسنة ١٩٨٦م.
(٦) الشعر في عهد المرابطين: ١٧٦.

ولمّا كان الشعر النسوي يشكّل مساحة، وثقلًا من الشعر الأندلسي فهو جدير بالعناية، والدراسة، والبحث، ولنا الحقّ بعد هذا أن نسمّي عصر الطوائف بـ (عصر الشواعر) لاسيّما وأنّ (ليفي بروفنسال) أطلق على عصر الطوائف بـ (العصر الذهبي الإسلامي في الأندلس)[1]، وشعر المرأة جزء متألق في ذلك العصر حيث عجز شعراء مجيدون وقصّروا في ملاحقة (إعتماد) نفسها زوج (المعتمد)[2].

واتّسم شعر بعضهن بالظرافة، وروح الفكاهة، وبالذات نساء إشبيلية، فقد قال عنهنّ ابن عربي: ((... وفيهم - أهل إشبيلية - وفي نسائهم حلاوة وظرافة))[3].

وأكّد ذلك المقري، وعدّ أهل نهر إشبيلية أخفّ الناس أرواحًا، وأطبعهم نوادر[4] وكان هذا العصر عصر الهجاء المقذع، وعصر الغناء، وكبار الوشّاحين، والزجّاليين؛ لذلك كانت صورة الفكاهة تخرج أحيانًا إلى صورة الهجاء الساخر، كما نرى ذلك في شعر نزهون ونوادرها مع أبي بكر المخزومي، وكذلك نلحظه عند ولّادة في هجائها لابن زيدون، وعند مهجة بنت التياني، كلّ ذلك يشير إلى مدى الإرتياح النفسي الذي تمتّع به أهل هذه البلاد، فإذا طابت النفوس غنّت.

---

(١) الشرق الإسلامي والحضارة العربية والأندلسيّة / ليفي بروفنسال: ٣١.
(٢) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي: ١٥ ــ ١٦.
(٣) روح القدس لابن عربي: ٦٢.
(٤) ينظر: الفتح: ٣: ٢١٢.

ولابدّ من كلمة أخيرة في عصر الطوائف، فعلى الرغم من أنّ الأندلس أصبحت مقسّمة سياسيًا إلى دول متناحرة إلّا أنّ هذه التجزئة خلقت روح المنافسة بينهم، فكان لكلّ دولة حاكم، وجيش، وبلاط، وفي ذلك البلاط تنعقد المجالس، ويتبارى فيها الشعراء والأدباء، ومن هنا كان هذا العصر عصرًا عظيمًا للشعر والشعراء، وكان لكلّ ملك من ملوك الطوائف ميزة أختصّ بها دون غيره، فمثلًا أمتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم الغزير، وأمتاز ذو النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختصّ المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبرز ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع.

أمّا الشعر فكان أمرًا مشتركًا بينهم جميعًا، يلقى منهم كلّ رعاية، ولكن رعاية بني عبّاد أصحاب إشبيلية به كانت أعظم وأشمل[1].

وبعد أن ضعف ملوك الطوائف زادت أطماع السبان والفرنج في الأندلس، فأخذ حاكم قشتالة (الفونس السادس) بالتوغل في البلاد، وعاث فيها الفساد، فاستنجد الأندلسيون بيوسف بن تاشفين ملك دولة المرابطين بالمغرب، فكتب إليه المعتمد يدعوه لإنقاذ البلاد، فأنجدهم بنفسه على رأس جيش كبير من القبائل البربرية، فحقق نصرًا مبينًا على الفرنج في معركة (الزلاقة) سنة (٤٧٩هـ)، ثمّ عاد إلى أفريقية، وبعد ثلاث سنوات عاود الإفرنج هجومهم على مدن الأندلس، فاستنجد المعتمد ثانية بابن تاشفين، فجاء إلى

(١) الشعر الأندلسي/غارسية غومس، ترجمة حسين مؤنس: ٤٥.

الأندلس، وأعاد الأمن والإستقرار فيها، ولكنّه في هذه أستطاب العيش في تلك الربوع الجميلة، فاستخلص الحكم لنفسه، ونفى المعتمد وأسرته إلى (أغمات) بأفريقية.

وهكذا بدأ حكم المرابطين من (٤٨٤هـ - ٥٤٠هـ)، ولكنّ حكّامهم كانوا يتصفون بالتعصب الديني، فازدادت في عهدهم سلطة الفقهاء، وساد التزمت، وخنفت حرية الفكر.

وفي هذا العصر يتعذر علينا إدراك مكانة المرأة الإجتماعية بصورة واضحة؛ وذلك لقلّة ما كتب عنها في المصادر، ولكن بإمكاننا أن نلاحظ ما كانت تتمتع به المرأة الأندلسيّة من احترام، وقيمة اجتماعية من خلال القصائد الشعرية التي قالها الشعراء في مدحها أو رثائها، وهذا ينمّ عن إعتزاز الرجل بها، وما يكنّه من مشاعر حب واحترام لها[1].

ولقد حاول بعض المؤرخين من المستشرقين ومنهم (دوزي) أن يشوّهوا صورة المرابطين، ويصوّروا استيلاءهم على ممالك الطوائف تصويرًا حالك السواد، فقد وصفهم (دوزي) بأنّ هؤلاء الأفارقة متبربرين أغاروا على البلاد، وقضوا على الإزدهار الحضاري الفكري الذي تمتّعت به في عصر الطوائف، فلم يكن المرابطون بهذه الوحشيّة، بل على العكس من ذلك، فلدينا أكثر من دليل يثبت أنّ هذا العصر كان امتدادًا لما سبقه في كثير من المظاهر العلمية والفكرية، فكتب تاريخ الأدب تنطق وتشهد لهذا العصر، ومنها كتاب (النبوغ

(١) ينظر: الشعر في عهد المرابطين: ٤٩ - ٥٠.

المغربي في الأدب العربي) لعبد الله كنون، و(الشعر في عهد المرابطين والموحدين) للدكتور محمّد مجيد السعيد، والسبب ذاته دفع أستاذ المستعربين الأسبان (فرنشيسكو قديره) إلى أن يردّ على (دوزي) ويستخرج بدقة العدد الضخم من العلماء وأهل الأدب الذين تألق نورهم في هذه الحقبة، ويثبت بهذا خطأ وصف هذه الحقبة بانّها متبربرة[1].

وهناك دليل آخر على ما ذهبنا إليه أنّ من يطلع على أسفار، وأخبار، ونوادر، ومساجلات الشاعرة نزهون بنت القلاعي تلك الشاعرة المعمّرة المخضرمة بين الطوائف والمرابطين حيث كانت وفاتها سنة ٥٥٠هـ يرى مدى انفتاح تلك المرأة، وكيف كانت تجالس الشعراء، وتخالطهم بكلّ حرية، وتعبر عن مشاعرها بكلّ صراحة يتأكد لديه أنّ المرأة في عصر المرابطين ظلّت تتمتع بحريتها، وتحظى بمكانة عالية، فلم ينتقص منها شيء يذكر.

وبعد المرابطين يأتي الموحدون من (٥٤٠هـ ــ ٦٢٠هـ) ويبدأ عهدهم بمجيء (عبد المؤمن بن عليّ) خلفًا لمؤسس الدولة الموحدية (محمّد بن تومرت)، وأصبحت الأندلس تخضع لحكم الموحدين في المغرب كولاية تابعة لهم، وأستمرّ حكمهم حوالي نصف قرن.

وفي هذا العهد نرى أنّ المرأة زادت في جرأتها، وقد وقف إلى جانبها حتّى الفلاسفة كابن رشد الذي يرى أنّه لا اختلاف بين الرجال والنساء في الطبع،

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي/ بالنثيا: ١٩.

وإنّما هو اختلاف في الكم، فطالب بمساواتهن بالرجال، كما طالب بإفساح المجال لهن بالعمل، وإعطائهن حرية التفكير [١].

فلماذا لا تشمخ المرأة الأندلسيّة، وترتقي أعلى الدرجات والمناصب!!

وفي هذهِ الحقبة الأخيرة من دراستنا نجد أنّ الشعر الأندلسي أزدهر وعلا شأنه لما حظي به من تقدير واهتمام، وتشجيع ملوك الموحدين، وظهرت في الشعر ظاهرة جديدة، وهي ذكر الفلسفة والتصوف؛ وذلك لظهور مجموعة من الفلاسفة، فكان (ابن تومرت) نفسه أحد أئمّة الفكر؛ لذلك كان من الطبيعي أنّ يمدّ الحياة الفكرية بما يكفل لها النماء والعطاء[٢].

ومن أعلام الفلسفة ظهر: ابن طفيل، وابن رشد، وموسى بن ميمون فيما بعد.

وبعد الموحدين جاء بنو الأحمر ليحكموا الأندلس، ولكن لم يبق في أيديهم إلّا بقعة صغيرة في الجنوب، واتّخذوا من مدينة غرناطة عاصمة لدولتهم الصغيرة، واستطاعت هذه الدويلة أن تعيش نحو قرنين ونصف من الزمان مستفيدة من صراع الإفرنج فيما بينهم، واستطاعت أن تصمد مرّات عديدة في وجه غزواتهم الشريرة معتمدة على نفسها حينًا، ومستنجدة بـأمراء المغرب حينًا آخر.

---

(١) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ص ٥٠

(٢) ينظر: التجديد في الأدب الأندلسي/ د. باقرسماكة: ٣١.

واهتمّ بنو الأحمر من جديد بتأسيس المدارس، واستنساخ الكتب، وتشييد المكتبات العامّة والخاصّة.

وبعد ذلك أنحسر ميدان الشعر والثقافة في مدينة غرناطة إلى أن خرج العرب منها سنة ٨٩٧هـ بعد أن ظلّ مستوى الثقافة رفيعًا في تلك المملكة حتّى القرن الخامس الميلادي، فعاش فيها شعراء من طراز ابن سعيد المغربي، وأثير الدين أبي حيّان، ولسان الدين بن الخطيب يسترجعون ذكريات العصور الزاهرة الخوالي، ويعيدون إلى الأذهان ذكراها، واستطاعت الحركة الأدبية أن تصمد وتبقى في تلك المدينة العريقة نظرًا لما هيّأته لها ولأصحابها من ظروف ملائمة للإنتعاش[١].

وفي النهاية غزا فرديناند وإيزابيلا غرناطة، واستطاعا فتحها بعد حصار مرير أستبسلت خلاله حاميتها، فسقط بسقوطها آخر معقل للعروبة والإسلام في تلك الربوع الخضراء، وقد تمّت تلك المأساة في عهد أبي عبد الله الصغير الذي سلّم مفاتيح قصور الحمراء إلى الغالبين، فكانت بحقّ فاجعة كبرى، ومأساة عظيمة للعرب أجمع حين خرجوا من (فردوسهم المفقود) وغرناطتهم الجميلة.

أورد حوادثها وتفصيلاتها المؤرخ التلسماني (المقري) كما نشر المستشرق الألماني (مللر) مخطوطة مجهولة المؤلف عن نهاية العرب في تلك الديار أسمها: (أخبار العصر في إنقضاء دولة بني نصر)[٢].

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي: ٢٤ – ٢٥.

(٢) نشرت هذه المخطوطة مرّتين في ألمانيا ١٩٦٣ وفي تطوان.

وعلى الرغم من ذلك كان تأثير العرب والإسلام في أوربا واضحًا وكبيرًا، فقد أنتشرت الأساطير والقصص المشرقيّة على عجل، فنجد إلى جانب (ألف ليلة وليلة)، و(السندباد)، كتاب (سلوك رجال الدين)، وكلّها انتشرت وذاعت في أوربا عن طريق ترجماتها الغربية.

كذلك صيغت كلّ الأشعار الغنائية التي نجدها في اللغات الرومانيّة في العصور الوسطى في أوزان وبحور مشتقة من أوزان فن شعري أبتكره الأندلسيون، وهو فن الزجل، وفن الموشح، فانتقل مع الموسيقى الأندلسيّة ذات الأصل المشرقي إلى فرنسا، وانكلترا، وألمانيا، ولابدّ من إسهام المرأة فيها.

وقد كشف لنا المستشرق (ريبيرا) عدّة حقائق، ونشرها عن الفن القصصي الغنائي، فأثبت أنّ المسلمين الأندلسيين تداولوا أغنيات وأساطير لها أثر ملحوظ في نشأة الملاحم الإسبانيّة والفرنسيّة بدليل ما نجده من شواهد على وجود تلك القصص الأندلسيّة في بعض الكتب العربية ككتاب(إفتتاح الأندلس) لابن القوطية[1].

وثمة كلمة أخيرة، فإنّ تراث الأندلس العربي خضم، واسع الآفاق، مترامي الأطراف، ضمّ في أمواجه تراجم جمّة، وأخبارًا متنوعة، وأحاديث، وأشعارًا كثيرة عن الأندلس وتراثها الفكري والحضاري، ولكنّه أحيط بالتناثر والضياع، فسرعان ما هاج ذلك البحر الزاخر، فلفّت أمواجه الجزء الكبير منه.

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي/ بالنثيا: ٢٨-٢٩.

ومن أراد أن يكشف عمّا خفي من كنوز الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس في زوايا مصادرها المطبوعة والمخطوطة تصيبه الدهشة لما يلمسه من تراجم أسماء الذين درسوا العلم، وحصدوا من ثماره في داخل الأندلس وخارجها [1].

وسنحاول كشف بعض تلك الجوانب الخافية من تراث هذه البلاد في الصفحات اللاحقة من دراستنا هذه إن شاء الله.

(١)راجع المكتبة الأندلسية (بي أي أج) التي نشرها (قُديرة)، وغيرها من كتب التراجم الشرقية أو الأندلسية.

الفصل الثاني

تراجم شواعر الأندلس

الفصل الثاني
تراجم شواعر الأندلس

أهتمّ الباحثون العرب المحدثون بدراسة شواعر الأندلس، فقد ترجم (الدكتور مصطفى الشكعة) [1]، لأكثر من عشرين شاعرة مشهورة، وأعتمد مبدأ الزمان والمكان.

ودرست (سلمى سلمان عليّ) [2] شواعر عصر الطوائف، وخصّص (محمّد عبد المنعم خفاجي) [3] بعض الصفحات لأديبات الأندلس في كتابه (قصّة الأدب في الأندلس) واكتفى بعضهم بذكر أسمائهنّ دون العناية بدراستهن ولو بنبذة قصيرة عن حياة كلّ واحدة منهن، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور إحسان عبّاس، فقد ذكر أسماء بعضهن حينما تحدّث عن مكانة المرأة الأندلسيّة بقوله: (وشارك أُخريات في الشعر ومنهن: عائشة بنت أحمد بن محمّد

---

(١) ينظر: (الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه) د. مصطفى الشكعة الباب الثاني: ١٩ – ٢٣٦، وينظر: (صورة الأدب الأندلسي) الباب الثاني: ٨٧ – ٢١١، دار النهضة، بيروت ١٩٧١م، وفي إعتقادي أنّه من الطبعة الأولى لكتاب (الأدب الأندلسي) لما فيه من تشابه في محتواه وتبويبه.

(٢) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي ــ عصر الطوائف ــ رسالة ماجستير، كلية الأداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٦م.

(٣) ينظر: (قصّة الأدب في الأندلس) محمّد عبد المنعم خفاجي، منشورات مكتبة دار العارف، بيروت ١٩٦٢م.

بن قادم القرطبيّة... وصفيّة بنت عبد الله الربي، ومريم بنت أبي يعقوب الفيصولي، والغسانيّة الشاعرة التي كانت تمدح الملوك)[1].

ومن هنا سيكون هذا الفصل معنيًّا بجمع شواعر الأندلس، ويلملم شتاتهن، فدرسنا الأميرات، والحرائر، والجواري، والقيان لنغني القارىء الكريم عن الرجوع إلى مصادر أخرى، وارتأينا أن نعتمد المكانة الإجتماعية مبدأ لدراستنا إيّاهن محافظين على التسلسل الزمني داخل كلّ طبقة، فجعلنا الصدارة للأميرات والشريفات، ثمّ المؤدبات والمتعففات المتأدبات، والموشحات، والخطّاطات، والمتظلمات، وبنات القضاة، والظريفات، والمعارضات، والماجنات، ثمّ الشواعر المقلّات، والأُميّات، وتناولنا بالدراسة الشواعر الجواري، والقيان المغنّيات محافظين على التسلسل التاريخي في كلّ طبقة من الطبقات.

ونود أن نشير إلى أنّ بعض الشواعر كنّ يتمتعن بأكثر من صفة، فقد تكون شاعرة أميرة وشّاحة كأمّ الكرم، أو تكون شاعرة أميرة ناقدة كولّادة بنت المستكفي، أو أن تكون نحويّة خطّاطة عروضيّة كـ(لبنى) كاتبة الخليفة الحكم، وهكذا... فاعتمدنا في تصنيفنا إيّاهن الصفة التي أشتهرت بها أكثر من غيرها من الصفات.

وفيما يأتي أبرز الشواعر الأندلسيات:

---

(١) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس.

أ ـ الأميرات والشريفات:

١. ولّادة[1] بنت الخليفة المستكفي بالله:

(١) ينظر: أخبارها وأشعارها في: فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) وآخرون نشرها د.صلاح الدين المنجد: ٤٧، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان (ت ٥٣٥هـ): ٨٢ – ٨٤و ٩١ – ٩٢، والذخيرة لابن بسّام (ت ٥٤٢هـ) م١ ق١: ٤٢٩ – ٤٣٣، والصلة لابن بشكوال (ت٥٧٧هـ): ٣: ٩٩٦، المكتبة الأندلسيّة ترجمة (١٥٥٢)، وبغية الملتمس للضبّي (ت٥٩٨هـ أو ٥٩٩هـ): ٢: ٧٣٣ رقم الترجمة (١٦٠٢)، والمطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (ت٦٣٣هـ): ١٠٠٧، وفوات الوفيات والذيل عليها لمحمّد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) مج ٤: ٢٥١ – ٢٥٣ رقم الترجمة (٥٤٦)، وتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون لخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤): ١٣٠١١، ونزهة الجلساء للسيوطي (ت ٩١١هـ): ٨٧، ونفح الطيب للمقري (ت ١٠٤١هـ): ٥: ٣٣٦ – ٣٣٩، وديوان ابن زيدون طبعة عليّ عبد العظيم، مصر، ١٩٥٧م، وطبعة كامل الكيلاني ومحمود خليفة ١٩٣٢م، وطبعة نديم مرعشلي، بيروت، والأعلام للزركلي: ٩: ١٣٥ – ١٣٦، وشاعرات العرب: ٤٧٨– ٤٨٠، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عبّاس: ١٦١– ١٦٦، وفي الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي: ١٦٦ – ١٧١، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت: ٢٢٤ – ٢٢٦، والدر المنثور لزينب فوّاز العاملي: ٥٤٥ – ٥٤٩، أعلام النساء، عمر رضا كحالة: ٥: ٨٧، والشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر، هنري بيريس: ٣٩٩ – ٤٢٨، منشورات معهد الدراسات الشرقيّة كلية الآداب الجزائر، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، بطرس البستاني: ١١٥– ١٢١، ط٤، دار صادر، بيروت، ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق: ١٣٥، صور من الأدب الأندلسي: ١٤٩وما بعدها، المرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير) ٢٦٩ – ٢٩٣، وقصّة الأدب في الأندلس: ٤٠٠، والشعر العربي في الأندلس للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي: ٤١ – ٤٢، ترجمة د. محمّد منير، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٦٨ – ٢٧٠، والأدب موضوعاته وفنونه: ١٧٧ – ٢١٢، والمعتمد بن عبّاد وشعراء عصره: =

وهي شاعرة الأندلس، وشاعرة قرطبة، أميرة حسناء فاتنة ساحرة، جذّابة مرحة، خفيفة الظل، حلوة الروح، ناقدة، شاعرة، حصيفة، ذكيّة، بصيرة بالأساليب الشعرية، متمكنة من الأسرار العربية[١]، كان والدها[٢] محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصري الملقّب بالمستكفي على نقيض منها، بينما كانت لبقة متعلمة، حسنة المعاشرة كان أبوها سقيم السرّ والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة[٣]، مات سنة ٤١٦هبعد أنّ تسلّم الخلافة لمدة سبعة عشر شهرًا ((صعابًا، نكدات، مشوهات، مشؤومات))[٤]، فلم يكن مثل آبائه وأجداده، بل يختلف عنهم تمامًا، فما ذكره مؤرخ بخير قطّ، ولا جرت له سيرة إلّا بسوء، وقد مرّ بنا في الفصل الأوّل أنّ أمراء بني أميّة كانوا شعراء وأدباء وذوي نفوذ عظيم.

ولكن الذي يلفت النظر أنّ ولّادة احتلت المكانة العالية بين شعراء وشاعرات عصرها، وقد ذكرها وفرة من المؤرخين القدامى والمحدثين، فقد قال

= ٧٧ - ٧٩ حقّقه وعلّق حواشيه: د. محمّد زهدي يكن، بيروت ١٩٧٥م، والشعر النسوي في الأندلس محمّد المنتصر البسيوني: ٧٣ - ٨٧، والموسوعة العربية الميسرة: مج١ ١٩٥٦ - ١٩٥٧، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢١ - ١٢٤، والشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصهن اميليو غرسيه غومس: ٤٩ ترجمة د. حسين مؤنس، ط٢ن القاهرة ١٩٥٦م.

(١) الشعر النسوي: ٧٣.

(٢) ذكر الفتح بن خاقان في القلائد: ٧٥ طبعة مصر ١٣٢٠هـ: ((أنّها بنت المهدي))، وذكر ذلك أيضًا ابن عذاري المراكشي في كتابه المعجب: ١٠٦ و ١١١ والصحيح ما أثبتناه.

(٣) الذخيرة: ق١ م١: ٣٨٠.

(٤) المصدر السابق: ٣٨٣.

عنها ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ) في الذخيرة: ((وكانت من نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها، حضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وغناؤها ملعبًا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضياء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عشرتها إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب))[١].

وقال عنها ابن بشكوال (ت٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ) في الصلة: ((أديبة شاعرة جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تمالط[٢] الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء))[٣].

وقال عنها أحمد الضبّي (ت ٥٩٩هـ) في بغيته: ((أديبة شاعرة، جزلة القول، مطبوعة الشعر، وكانت تخالط الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء، ذكرها أبو عبد الله البرمكي، وأثنى على فضلها، وسرعة قدرتها))[٤].

ونقل المقري ما قاله عنها ابن سعيد المغربي في المغرب: ((إنّها بالعرب كعُلية (أخت الرشيد) في الشرق إلّا أنّ هذه - أي ولّادة - تزيد بمزية الحسن الفائق، أمّا الأدب، والشعر، والنادر، وخفّة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكان

---

(١) الذخيرة: ق١ م١: ٣٧٩.

(٢) تمالط: مالط الشاعر غيره: قال نصف بيت، وأتمّه غيره.

(٣) الصلة: ٩٩٦.

(٤) بغية الملتمس: ٧٣٣.

لها صنعة في الغناء، وكان مجلسها يغشاه شعراء قرطبة وظرفاؤها، فيمرّ فيه من النادر، وإنشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها))[1].

ثمّ يقول المقري عنها: ((وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف))[2].

إنّ أغلب هؤلاء المؤرخين قريبو العهد بعصر ولّادة، ولم يشيروا إلى تهمة واحدة من التهم التي وجّهت إليها من قبل المؤرخين المحدثين ما عدا ابن بشكوال وهو أبو عبد الله بن مكّي الذي قال عنها: ((لم يكن لها تصاون يُطابق شرفها))[3].

وفي رأينا أنّه قصد من قوله هذا: إنّها كانت شريفة، ولكن هذه الأميرة الجميلة الشاعرة كانت أوّل من سنّ للنساء سنّة الإنكشاف والإستخفاف، وإنّها فتحت أبواب قصرها للوزراء، والأدباء، والشعراء فقلّ تصاونها؛ لإنفتاحها الزائد، وحريتها الواسعة.

ويؤيدنا من المحدثين عبد البديع صقر بقوله: ((وكانت من المجلين في حلبة الحب والأدب، وكان بيتها مثابة الوزراء والأدباء من الطبقة العالية، يتساجلون أمامها الأدب، والشعر، والنقد منهم ابن زيدون، وابن عبدوس، ولكنها كانت عفيفة شريفة لم تنزع إلى ريبة، ولا تدنت إلى مأثمة))[4].

---

(١) النفح: ٥: ٣٣٩.

(٢) النفح: ٥: ٣٣٦.

(٣) الصلة: ٩٩٦.

(٤) شاعرات العرب: ٤٧٨.

فكانت تستقبل أصنافًا من الناس، ولكن ليست أصنافًا رخيصة مبتذلة، وإنّما هم من أكابر الشخصيات كالوزراء، والشعراء، والأدباء، فكيف يدخلون بيتها وهم على علم بسوء خلقها، كلّ ما في الأمر إنّ انفتاحها، وعدم وجود حجاب بينها وبين الرجال، وقد ورثت ذلك عن أمّها، فقد كانت أمة جارية (إسبانيّة) نصرانيّة اسمها (سكرى) [1]، ومن عادة الجواري والقيان لم يكن لهن حجاب، وفضلًا عن ذلك إنّها كانت تحادث هذا، وتمازح ذاك، وتميل إلى الدعابة في قولها، وهذا كلّه يتماشى مع طبيعة زمانها، والمناخ العام الذي عاشت فيه.

وعلى الرغم من ذلك فإنّها بمجاهرتها الزائدة عن حدّها فتحت للألسن والأفواه بابًا للحديث عنها، والنيل من شرفها، فقد أكّد ذلك ابن بسّام: ((على إنّها - سمح الله لها، وتغمد زللها - أطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول سبيل بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها)) [2].

وربّما تكون ولّادة فعلت كلّ ذلك تنفيسًا عمّا كانت تكبته من حزن شديد على ما ضاع من ملك آبائها وأجدادها، فقد جاءت إلى الحياة والمعارك محتدمة، وعرش والدها على وشك الزوال، فذهبت أحلامها سدى طوتها يد الزمن الغادر، فلم تستطع تحمل الصدمة والنكبة، فجاهرت، وتظاهرت بأنّها تلهو وتلعب غير مبالية لما حدث، ولكن النار حرّى في قلبها تتقد كلّما

(١) الذخيرة: م١ ق١: ٤٣٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٢٩ - ٤٣٠.

تذكرت مجد والدها، كما أنّها حاولت أن تجمع الناس حولها بمجلسها بعدما رأتهم قد أنقضوا من حول أبيها بسبب كرههم إيّاه.

وهذا حبيبها ابن زيدون يبرؤها من التهمة، ويؤكد عفّتها وشرفها بقوله))[١]:

وغـرّك مـن عـهـد ولّادة سـراب تـراءى وبـرق ومـض
هـي المـاء تـأبـى علـى قـابـض ويـمـنـع زبـدتـه مـن مـخـض

ووجهت إلى ولّادة إتهامات عدّة، منها أنها مصابة بـ ((السادية))[٢]، وقد ردّ الأستاذ عبد الرزاق الهلالي [٣] مدحضًا هذه التهمة، كما أتهمت بـ ((الهستريا))[٤]، فبعد أن رفع الأستاذ عبد الرزاق الهلالي عنها تهمة السادية رماها بـ (الهستريا)، وقد فصلت القول في هذا الموضوع سلمى سلمان[٥].

ثمّ أتهمت بـ((الشذوذ الجنسي))[٦]، أو ((الجنسية المثلية)).

ثمّ أتهمت بتهمة ((التذبذب))[٧]، في حبّها.

---

(١) الذخيرة: م١ ق١: ٣٦٩ – ٣٧٠.
(٢) ينظر: ديوان ابن زيدون: ٣٨، تحقيق: عليّ عبد العظيم، وأنظر: الشعر النسوي: ٧٨.
(٣) ينظر: ولّادة وأثرها في حياة ابن زيدون، عبد الرزاق الهلالي: ٢٥.
(٤) المصدر السابق: ٦٠.
(٥) ينظر: المرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير): ٢٧٨ – ٢٧٩.
(٦) ينظر: الشعر النسوي: ٧٧، وينظر: الشعر الأندلسي: ٤٩، وينظر: ولّادة وأثرها في حياة ابن زيدون.
(٧) ينظر: الشعر العربي في الأندلس، المستشرق الروسي كراتشكوفسكي: ٤١ – ٤٢، ترجمة: د. محمّد منير.

ويمكننا الرد على كلّ هؤلاء، بأنّ ولّادة لم تكن(سادية)؛ لأنّها على العكس من ذلك فقد أحبّت حبيبها ابن زيدون بكلّ إخلاص، ولمّا رأته نظر إلى غيرها عزفت عنه، وعن كلّ الرجال، وعاشت حياة هادئة في آخر فترة من عمرها، صحيح أنّ ابن عبدوس صارحها بحبّه، ولكنها لم تحبّه كما أحبّت ابن زيدون، فما الحبّ إلّا للحبيب الأوّل.

أمّا إتهامها بـ(الهستريا) فلا داعي لذكر التفاصيل؛ لأنّ الست سلمى أغنتنا عن ذلك.

ويمكننا أن نرد على من إتهمها بـ((الشذوذ الجنسي)) بأنّ ولّادة لم تقلّد الرجال في لباسها، بل على العكس من ذلك فقد ((قلّدتها النساء))[1] في أناقتها وزينتها كما أنّ أشعار ابن زيدون التي قالها فيها تؤكد لنا إنّها فتاة أنيقة ترفة منعمة[2].

أمّا أشعارها فهي قياسًا لأشعار غيرها من شواعر الأندلس من أمثال: نزهون بنت القلاعي، ومهجة بنت التياني تعدّ أكثر حشمة في ألفاظها.

وأمّا علاقتها بمهجة فهي علاقة طالبة بأستاذتها، علاقة لا تشوبها أيّة شائبة، فقد كانت تذهب إلى ولّادة لتأخذ دروسًا في الشعر، وبعد أن رأت منها استعدادًا للتعلم تولت تعليمها، ولزمت تأديبها))[3].

---

(١) الإحاطة: ١: ٤٣٨.

(٢) ديوان ابن زيدون: ٤٨١ – ٤٨٢.

(٣) المغرب: ١: ١٤٣.

وكانت ولّادة في تلك المرحلة على صلة بابن زيدون، فعمرها الزمني متقارب، فقد كانت وفاتها ٤٨٤هـ، ووفاة مهجة ٤٩٠هـ [١].

وانشغال ولّادة بابن زيدون أمر طبيعي لكلّ شابة ممّا يدلل على إنوثتها، فقد أعجبت به، وأعجب بها، كما أنّ هجاء مهجة لولّادة والذي سنذكره في موضوع الهجاء لهو كافٍ ليذهب عنها تلك التهمة.

أمّا عزوفها عن الزواج، فسوف نرى من خلال هذا الفصل أنّها لم تنفرد بهذه الصفة، بل العديد من الشواعر الأخريات.

وردّنا على من أتهمها بالتذبذب في حبّها لابن زيدون حين أحبّت ابن عبدوس، فنحن نقول: إنّ ميل ولّادة لابن عبدوس قد يكون من باب الأخذ بالثأر، فأرادت أن تغيض ابن زيدون مثلما أغاضها في ميله إلى جاريتها السوداء (عتبة).

فليس حبّ ابن زيدون لولّادة حبّ الجسد للجسد كما كان عند امرىء القيس، ولا الروح للروح بعد أن حيل بين الأجساد كما هو الشأن عند العذريين، بل ولا حبّ أهل الترف من أمثال عمر بن أبي ربيعة الذي هو إلى اللهو أقرب منه إلى أي شيء آخر، ولكنه إهتمام الفكر بالفكر [٢]، فقد مثّلا معًا نموذجًا للحبّ لعلّه كان الأوّل من نوعه حيث كان الجانب الفكري

(١) الأعلام للزركلي: ٧: ٣١١.
(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د. سعد إسماعيل شلبي: ١٢١.

والإجتماعي يمثّلان جانبًا هامًا من الجوانب التي كانت تشدّ ابن زيدون إلى ولّادة.

وولّادة كانت بعيدة عن التبذل، مصونة من الإسفاف، وقد تحدثت عن نفسها وكأنّها كانت على علم بما ستتهم به، فقالت[1]:

إنّي وإن نظر الأنام لبهجتي كضباء مكّة صيدهن حرامُ
يحسبن من لين الكلام فواحشًا ويصدهن عن الخنا الإسلامُ[2]

فلم تكن ولّادة من بائعات الهوى، ولا من بنات الليل كما حاولوا أن يصفوها، ولكنّها تكيّفت مع الوضع الإجتماعي السائد في عصرها، وفتحت منتداها الأدبي للجميع، وجاملت ضيوفها، فتورطت في الحديث الصريح عن عواطفها، وعبّرت عنها ببعض شعرها المكشوف.

والحقيقة: أنّ الكلّ لا يسلم من كلام الناس، فرضا الناس غاية لا تدرك كما يقال.

وحاول ابن زيدون صونها من كلّ الشكوك والظنون بعدما رأى كثرة حسّادها ومنافسيها، ولكنّه على ما يبدو لم يستطع، فنراه يقول[3]:

---

(١) نزهة الجلساء، حاشية: ٩١، وديوان ابن زيدون: ٣٠ طبعة عليّ عبد العظيم.
(٢) نستميحكم العذر لأننا سنذكر البيتين في الفصل الثالث.
(٣) ينظر: ديوان ابن زيدون فله عدّة مقطوعات شعرية ثبّتت صونها وشرفها على سبيل المثال: ١٨٨.

أصـــونـك من لـحظـات الظنون وأعـلـيـك مـن خـطـرات الـفـكـر

وأحـذر مـن لـحـظـات الـرقـيـب وقـد يســـتـدام الهوى بـالـحـذر

وتعدّ ولّادة من شواعر الفن الفكاهي لاسيّما في مجال الهجاء الفكه الساخر والنوادر والملح المحببة اللطيفة الظريفة[1] فلم تتعفف في هجائها لميلها إلى الدعابة.

واتصفت ولّادة بسعة ثقافتها، وكثرة إطّلاعها على دواوين الشعر العربي، وقد سمح لها منتداها الأدبي بسماع الكثير من القصائد الشعرية لكبار شعراء الأندلس، فنمت لديها موهبة (النقد الأدبي)، ومن مواقفها النقدية عدم استساغتها كلمة (الدهليز) في قول ابن زيدون:

فـإن قصـــارك الـدهـلـيـــــــ ـــــز حين ســواك في المضــجع

وكانت ولّادة مؤمنة بمبدأ (النقد الأدبي)؛ لذلك كانت تتقبل النقد الموجّه لأشعارها برحابة صدر، ولا ترى في ذلك عيبًا لمقدرتها الشعرية، لا بل هي التي تطلب من كبار الشعراء الإدلاء بآرائهم في شعرها، فقد اعترف ابن زيدون بذلك، وأثبته المقري في النفح، وهذا نصّه: ((وكنت ربّما جئتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدًا، وإنّي انتقدتُ عليك قولك:

ســقى الله أرضًــا قد غدت لك منزلًا

فإنّ ذا الرمة قد أُنتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة:

---

(١) ينظر: أدب الفكاهة الأندلسي، د. حسين خريوش: ٥١.

ألا يا أســـلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلًا بجرعـاتـك القطر

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له[١].

والحقيقة أنّ ولّادة حين فتحت منزلها ناديًا يجتمع فيه رجال العلم والأدب للمذاكرة والرواية دللت على أنّ النساء العربيات سبقن الغربيات بزمن طويل في جعل منازلهن أندية أدبية[٢].

وعلى الرغم من تلك المكانة الرفيعة التي حظيت بها ولّادة فلم يصل إلينا من شعرها سوى (٢٦) بيتًا، وأغفل المؤرخون بقيّة أشعارها، وساعدهم الزمن على إخفائه.

وكانت وفاتها في قرطبة يوم مقتل الفتح بن محمّد بن عباد يوم الأربعاء لليلتين خلتا من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولم تتزوج قطّ، وعمّرت عمرًا طويلًا طويلًا إلى أيّام المعتمد[٣].

---

(١) نفح الطيب: ٤: ٢٠٧.

(٢) ينظر: النساء العربيات/ كرم البستاني: ١٥.

(٣) المطرب لابن دحية: ٧.

٢. أمّ الكرم[١] بنت المعتصم بن صمادح:

وتدعى أحيانًا أمّ الكرام بالألف وكلاهما معناه صحيح، وهي بنت الملك المعتصم [٢] بن صمادح ملك المرية[٣].

---

(١) تنظر: ترجمتها في: المغرب لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ): ٢: ٢٠٢، والوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ): ٩: ٣٨٥ ترجمة (٤٣١٢)، ونزهة الجلساء للسيوطي (ت٩١١هـ): ٢٠، ونفح الطيب للمقري(ت ١٠٤١هـ): ٥: ٣٠٢، والدر المثور في طبقات ربّات الخدور: ٥٤، وأعلام النساء: ٣: ١٣١٤، ومختارات من الشعر الأندلسي، نيكل: ١٢٨، وتاريخ الفكر الأندلسي، انخل جنثالث بالنثيا، ترجمة: د. حسين مؤنس: ١١٤، ١٦٥، والشعر النسوي: ٩٧، وشاعرات العرب لعبد البديع صقر: ٣٣١، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين: ٢٣٢، ومعجم النساء الشاعرات، إعداد: عبد أ. مهنا: ٣٠٧، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٧ – ١٥٠، وصور من الأدب: ١١٨، والمرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير) ٢٤٨ – ٢٥٠، وصور من الأدب الأندلسي: ١١٨، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٣.

(٢) المعتصم: هو محمّد بن معن صاحب المرية والبجانة والصمادحية من بلاد الأندلس، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٤٤٣هـ، وسمّى نفسه ((معز الدولة)) ولمّا تلقّب ملوك الأندلس بالألقاب السلطانية لقّب نفسه: المعتصم بالله الواثق بفضل الله، وكان كريمًا حليمًا، ممدوح السيرة، عالمًا بالأدب والأخبار، شاعرًا مقربًا للأدباء والشعراء، أقام ملكًا ٤١ سنة، هاجمه يوسف بن تاشفين وهو يعالج الموت، فجعل بقول: (نغص علينا حتّى الموت)، تنظر ترجمته في القلائد طبعة باريس ٥٣ – ٥٨، والوافي بالوفيات: ٥: ٤٥ ترجمة رقم (٢٠٣)، وتاريخ الأدب العربي في الأندلس والمغرب: ٤: ٦٦٦.

(٣) المرية: مدينة كبيرة بالأندلس من كور (البيرة) تقع على البحر المتوسط، وهي مدينة جليلة؛ لأنّها كانت مقر أسطول المسلمين، وأهلها أجمل صورًا، وأفصح لسانًا، وكان بها المتاجر والذخائر، ومصانع النسيج الفاخر، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف، وهي تقع في منطقة جرداء وواد ((أكثره منابت شيح، ومهامه فيح)) معجم البلدان: ١٧: ١١٩ – ١٢٠، والنفح: ١: ١٥٤، والقلائد: ٤٨ .

وكانت أمّ الكرم أديبة شاعرة عروضيّة، أعتنى والدها[١] بتثقيفها كما هي عادة الملوك، واتسمت بالفطنة والذكاء، ولها الباع الطويل بالموشحات، وقد افتخرت بها نساء العرب، وأغرمت بشاب جميل من ((دانية)) [٢] يعرف بـ (السمار)، والحبّ لا يعرف الفوارق الطبقية، فهي أميرة أرستقراطية، وهو فتى من فتيان قصر والدها، وراحت تجاهر بحبّها له، وتتشوق إليه، وتتغزل به، وكانت تبعث إليه ببطائق منظومة أزجالًا[٣]، وهذا يعني أنّها كانت تجيد نظم الشعر، والموشحات، والأزجال، وكلّ هذا لا يستطيع أن يقوم بنظمه إلّا شاعر مقتدر، فنحن نعلم أنّ الموشح يحتاج إلى تناسق في الأقفال، والأدوار، والأغصان، والأسماط.

وكذلك الأزجال فهي بحاجة إلى خبرة ودراية في نظمها، ومع ذلد فقد أستطاعت أمّ الكرم أن تخوض في بحور الشعر فأتت بما هو جيّد ورقيق، وأنْ تناسق بين أدوار الموشح وأقفاله لتأتي بما هو أفضل وأجمل على أكبر الإحتمالات، فلم يصل إلينا من موشحاتها شيء، وأن تبعث ببطائق الزجل لحبيبها، والله أعلم كيف أجادت فيها.

ولكن أين تلك البطائق؟! فلم نعثر على بطاقة واحدة منها فقد ضاعت كلّها للأسف!!.

---

(١) وقد وقع د. إحسان عبّاس بالوهم حين جعلها أخت المعتصم بقوله: ((وهي أخت المعتصم، وكان أخوها قد أعتنى بتأديبها))، تاريخ الأدب الأندلسي: ٢٣٢، ولا أعلم على أي مصدر أعتمد في تثبيت هذا الخبر.

(٢) دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقًا.

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي/ بالنثيا: ١٦٥.

وتعدّ أم الكرم من شواعر القرن الخامس الهجري؛ لأنّ وفاة والدها كانت في سنة ٤٨٤هـ، وقد تكون قد أدركت القرن السادس الهجري.

واتّسم شعرها بالجرأة والصراحة في إعلان عشقها، ولوعة حبّها لذلك الفتى، فلم تكترث لمعاني العفّة والكبرياء وهما من صفات المرأة، فنراها تصرخ بأعلى صوتها[١]:

يـا معشـر النـاس ألا فـأعجبوا مـمّـا جـنـتـه لـوعـة الـحـبّ

وحين سمع والدها قصّتها مع (السمار) خفي أمره، وقد ذكر الريسوني تعليلًا يحتمل أمرين - وهو على صواب - فقال: ((إمّا أنّ الحبيب قتله المعتصم بوسيلة أو أخرى، وإمّا أنّه خاف على نفسه فاختفى حالما تأكّد من أنّ أباها قد اطّلع على قصّتها)) [٢].

هذه هي أمّ الكرم أميرة شاعرة بارعة، فلم يكن الشعر غريبًا عنها، فلها ثلاثة إخوة شعراء هم: الواثق عزّ الدولة أبو محمّد عبد الله، ورفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى، وأبو جعفر... أولاد المعتصم بن صمادح الذي كان شاعرًا هو أيضًا[٣].

ومن الغريب أنّ هذه الشاعرة الوشّاحة الزجّالة لم يصل إلينا من نظمها إلّا خمسة أبيات قالتها في الغزل.

---

(١) نفح الطيب: ٥: ٣٠٢.

(٢) الشعر النسوي: ٩٧.

(٣) نزهة الجلساء: ٢٥.

٣. بثينة[١] بنت المعتمد بن عبّاد:

أميرة شاعرة، كانت ذات جمال بارع، وحسن ظاهر، حاضرة الجواب، سريعة الخاطر، حلوة النادرة[٢]، ورثت كلّ ذلك عن والديها، فأبوها ملك وشاعر مطبوع، ووالدتها إعتماد الرميكية شاعرة ظريفة.

لقد عدّها بعضهم ضمن الجواري، ومنهم الست سلمى سلمان فعلى الرغم من إعترافها بأنّها: ((حرّة من صلب ملوك)) [٣] إلّا أنّها درجتها ضمن الشواعر الجواري، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ هذه الشاعرة الأميرة وقعت في الأسر يوم سقوط إشبيلية في يد المرابطين، وبيعت إلى أحد تجّار إشبيلية على أنّها جارية، وأهداها ذلك التاجر لابنه، فلمّا أراد الدخول عليها كشفت النقاب عن نفسها، وأشارت على التاجر وابنه بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها[٤]، وتمكنت هذه الأميرة الصغيرة بفطنتها ودهائها أن تقنعهما بانتظار جواب

---

(١) تنظر ترجمتها في: النفح: ٤: ٢٨٤ – ٢٨٥، والدر المنثور: ٨٩ – ٩٠، وأعلام النساء: ١: ١١٨– ١١٩، ومختارات من الشعر الأندلسي: ٢٤٧ – ٢٤٨، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت: ٢١٢، وشاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٢٧ – ٢٨، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبد الله عفيفي: ٣: ١٣٤ – ١٣٥، المعتمد بن عبّاد الأشبيلي، د. صلاح خالص: ٨٣، وتاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم أبو الخشب: ٢٣٣ – ٢٣٥، الأدب العربي في المغرب والأندلس، د. عمر فروخ: ٤: ٧٢١ – ٧٢٢، والشعر النسوي: ١٠٢ – ١٠٣، ودراسات أدبية: ١٢٣، وصور من الأدب الأندلسي: ١٤١ – ١٤٣، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٨، والمعتمد بن عبّاد، عليّ أدهم: ٣٠٩.

(٢) شاعرات العرب: ٢٧.

(٣) المرأة في الشعر الأندلسي: ٢٢٦.

(٤) النفح: ٦: ٢٠.

والدها على رسالتها، كما أستطاعت بمقدرتها الشعرية أن تحكي لوالديها وهما في الأسر في مدينة (أغمات) بمراكش قصّتها، وما حلّ بها خلال النكبة، ثمّ استأذنت والدها بالزواج من ذلك الفتى بقولها[1]:

وأرادني لزواج نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسومُ رأيك في الرضا ولأنت تنظر في طريق رشادي

فجاء جواب والدها بعد أن سُرّ حينما عرف مصير ابنته بالموافقة على زواجها بقوله:

بُنيتي كوني به برّة فقد قضى الدهر بإسعافه

وتبدو بثينة طويلة النفس، كثيرة النظم، فقد وصل إلينا من تلك القصّة أحد عشر بيتًا، وذكر لها د. آ.ر. نيكل في كتابه نصّين شعريين آخرين، الأوّل ستّة أبيات في الشكوى، والثاني ثلاثة عشر بيتًا في الفخر بأمجاد قومها بني عبّاد اللخمي، وكان مطلع النصّ الأوّل[2]:

ما يعلم المرء والدنيا تمرّ به بأنّ صرف ليالي الدهر محذور

ومطلع النصّ الثاني هو[3]:

ربّ ركب قد أناخوا عيسهم في ذرى مجدهم حين بسقْ(...)

---

(١) النفح: ٦: ٢٠.
(٢) مختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٥.
(٣) مختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٦.

ونحن نؤيد رأي الست سلمى[1] فيما ذهبت إليه من صحة نسبة هذين النصّين السابقين إلى بثينة لما لاحظناه فيهما من تشابه كبير في نظم القصّة الشعرية، وهذان النصّان وما فيهما من ألفاظ، وحقائق تاريخيّة يؤكد أنّهما لها، فمثلًا قولها[2]:

حججًا عشرًا وعشرًا بعدها وثلاثين وعشرين نسق
أشرقت عشرون من أنفسنا وثلاث نيرات تأتلق

فقد أشارت في البيت الأوّل إلى أنّ حكم قومها بني عبّاد دام سبعين سنة، وفي البيت الثاني أشارت إلى أنّها عاشت ثلاث وعشرين سنة في كنف والدها، وكانت أعوامًا مشرقات حيث كانت ترفل بالعزّ والنعيم، ثمّ وقعت بالأسر، ومعنى ذلك إنّ هذه الشاعرة كانت شابّة حين حدثت المأساة، فقد تكون قد عمّرت إلى نهاية القرن الخامس الهجري، وربّما تجاوزته إلى بداية القرن السادس الهجري.

ويتضح لنا أنّ مجموع ما وصل إلينا من الأبيات ثلاثون بيتًا، وسوف نورد نصوصها الشعرية في الفصل الثالث ضمن أغراض وفنون شعر المرأة الأندلسيّة.

وأخيرًا نقول: إنّ شاعرتنا بثينة تعدّ من أديبات الأندلس، ونسائها المشهورات بالبلاغة[3] والفصاحة، عاشت في إشبيلية، وقدّمت لنا شعرًا يتّسم بالجودة والحكمة، كلّه رقّة وأسى؛ لأنّه نابع من إحساس صادق، وتجربة واقعية.

---

(١) المرأة في الشعر الأندلسي: ٢٢٩.
(٢) المعتمد بن عبّاد، عليّ أدهم: ٣٠٩.
(٣) المعتمد بن عبّاد، عليّ أدهم: ٣٠٩.

٤. أمة[١]: العزيز الشريفة:

شاعرة أندلسيّة فاضلة، قال الحافظ أبو الخطّاب بن دحية عنها في كتاب (المطرب من أشعار أهل المغرب)[٢]:

((أنشدتني أخت جدّي للشريفة الفاضلة أمة العزيز بن موسى بن عبد الله بن أبي الحسن أبي جعفر الزكي بن الهادي بن محمّد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام):

لحـاظكم تجرحنـا في الحشـــا ولحظنـا يجرحكم في الخـدود

وكانت ذات قناع... تصرفت في أثناء شيبتها بين دراسة معارف، وإفاضة عواطف، لها أشعار رائقة معناها، بديعة مبناها[٣]وهي على قلّتها نسبها أكثر من واحد إلى شاعرة الأندلس ولّادة[٤].

---

(١) وردت أخبارها في: المطرب لابن دحية (ت ٦٣٣هـ): ٦، ونزهة الجلساء للسيوطي (ت ٩١١هـ): ٢٨، ونفح الطيب للمقري (ت ١٠٤١هـ): ٥: ٣٠٢، والدر المنثور: ٦٦، ومعجم النساء الشاعرات: ٢١، والنبوغ المغربي في الأدب العربي:، عبد الله كنون: ٢: ٥٨، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ١٤٥، وقصّة الأدب في الأندلس: ١: ٤١٨.

(٢) المطرب: ٦.

(٣) الدر المنثور: ٦٦.

(٤) ينظر: شاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٤٨٧، وينظر: شاعرات العرب، بشير يموت: ٢٢٥ – ٢٢٦.

وعلّق صاحب النفح على أبياتها: ((فما الذي أوجب جرح الخدود؟! بقوله: قلتُ: هذا السؤال يحتاج إلى جواب، وقد رأيت عنه القاضي الإمام الفاضل أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني رحمه الله تعالى جوابه، والغالب أنّه من نظمه، وهو قوله[1]:

أوجبه منّي يا سيّدي جرح بخدٍ ليس فيه الجحودُ
وأنت فيما قلته مدعٍ فأينَ ما قلتَ وأينَ الشهودُ

واتّسم شعرها الغزلي برقّة ألفاظه، وجودة معانيه، فهي تبحث عن الأسباب الموجبة لصدود أحبّتها فلم تجد ما يبرر صدودهم بعد أن تكافأ الإنسان بما فعله أحدهما للآخر.

وواضح من رواية ابن دحية أنّ هذه الشاعرة من شواعر القرن السادس الهجري، فقد كانت وفاته سنة (٦٣٣هـ) وأخت جدّه معاصرة لها أي أنّها أكبر منه سنًا.

ولم يصل إلينا من أشعارها إلّا بيتان، وسنذكرهما في موضوع الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(١) الخبر والأبيات في نفح الطيب: ٥: ٣٠٢.

ب/ المعلمات المؤدبات:

٥. مريم[١] بنت أبي يعقوب الأنصاري:

وهي مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري[٢] الفصولي الشلبي[٣]، وتسمّى مريم الشلبيّة نسبة إلى مدينتها (شلب)[٤] في غرب الأندلس.

وكانت أديبة شاعرة تغدو على بيوت إشبيلية تعلم نساءها الشعر والأدب، فقد كانت من طريقة أهل الأندلس اختيار بعض النساء الأديبات لتعليم وتأديب بناتهم.

واتّصفت شاعرتنا بالحشمة والتدين، فعلى الرغم من أنّها عاشت في مدينة إشبيلية المتحضرة إلّا أنّها ظلّت محافظة على تقاليد وعادات مدينتها (شلب)؛

---

(١) وردت أخبارها وأشعارها في: جذوة المقتبس للحميدي (ت ٤٨٨هـ): ٣٨٨، ٤١٢، ٤١٣، والصلة: ٩٩٥، والبغية: ٢: ٧٢٩ ــ ٧٣٠، والمطرب: س، ع، ونزهة الجلساء: ٧٨ – ٨٠، والنفح: ٦: ٢٧، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٦٧ – ١٦٨، وصور من الأدب الأندلسي: ١٣٨ – ١٤٠، وشاعرات العرب: ٣٩٣، والمرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ٣٣٩، والدر المنثور: ٥١٠، والمرأة في جاهليتها وإسلامها: ١٣٣/٣، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ٤: ٣٥٠، والأعلام للزركلي: ٢: ٩٩، وشاعرات العرب: ٢٢٢، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٤٣، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٤٠، والشعر النسوي: ٦٤– ٦٥، ودراسات في الشعر الأندلسي: ١٢٢ – ١٢٣.

(٢) المطرب: س، ع، والفتح: ٦: ٢٧.

(٣) جذوة المقتبس: ٣٨٨، والبغية: ٥٢٨، وقد سمّيت بهما: الفصولي، والصلة: ٢: ٦٩٤، ونزهة الجلساء: ٧٨ وسمّيت بهما: الفيصولي.

(٤) شلب: مدينة تقع غرب الأندلس ومن بلادها، وهي قاعدة كورة أكشونية، وهي بقبلي مدينة باجة.

لذلك حظيت هذه الشاعرة بمنزلة محمودة بين نساء إشبيلية لسمو أدبها، وفرط حشمتها، كما أنّ عظماء البلد أحترموها، وأجلّوها لعراقة أثرها، ونبالة خلقها، فقد قيل عنها: ((تحتشم لدينها وفضلها))[١].

وكانت وحيدة زمانها في ظرفها، وعلمها، وأدبها، وإخلاصها، وتفانيها في عملها، وقد جاء ذلك على لسان صاحب إشبيلية[٢]:

يا فذة الظرفِ في هذا الزمان ويا وحيدة العصر في الإخلاص والعمل

وهذا ليس بغريب عنها فهي أديبة شاعرة جزلة، وقيل عنها أنّها: ((سردت البديع أحسن سرد، وافترست المعاني كالأسد الورد... ومدحت ملوكًا، وطوّقتهم من مدائحها قلائد، وزفّت إليهم من معانيها خرائد، وجلّتها عليهم كواعب، بالألباب لواعب، فأسالت العوارف، وما تقلّص لها من الحظوة ظلّ وارف))[٣].

وقد أجمعت أغلب الروايات[٤] أنّها كانت تتصل بـ (ابن المهند)[٥] الشاعر المشهور وتمدحه، وهذا لا يتعارض مع إتصالها بصاحب إشبيلية المدعو (عبيد الله بن محمّد المهدي الأموي)؛ لأنّها كانت تمدح الملوك.

---

(١) نزهة الجلساء: ٧٨.

(٢) النفح: ٦: ٢٧ وقيل أنّها لابن المهند. أنظر: الصلة: ٣: ٩٩٥.

(٣) الدر المنثور: ٥١٠.

(٤) الصلة: ٣: ٩٥٥، وبغية الملتمس: ٧٢٩ وما بعدها.

(٥) ابن المهند: شاعر مشهور كان بعد الأربعمائة، ووالده المهند وهو طاهر بن محمّد المعروف بالمهند البغدادي، كان أديبًا شاعرًا متقدّمًا، من شعراء الدولة العامرية، وفد على المنصور بن أبي عامر محمّد، وحظي بالأدب عنده. ينظر: الجذوة: ٣٨٢ ترجمة: ٩٧٢ .

وبلغت شاعرتنا مريم من الكبر عتيا، فهي من الشواعر المخضرمات، أدركت القرن الخامس وذاعت شهرتها فيه، وقد أكّد ذلك الحميدي بقوله: ((وشهرت بعد الأربعمائة))[1] فقد بلغت سبعًا وسبعين سنة فيما تروي هي عن نفسها، فشكت زمانها، ووصفت حالها فأصبحت لا تقوى على السير إلّا بواسطة العصا، وسنذكر أبياتها في موضوع (الشكوى) في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

هذه هي مريم بنت أبي يعقوب إحدى أستاذات عصرها في الشعر والأدب المشهورة بالصون والعفاف، فقد كانت تلقّب: بالحاجّة؛ لأنّها أدّت فريضة الحج، وأكملت أركان دينها.

هذه هي الشاعرة الجزلة، والأديبة المشهورة، والمعلّمة الفاضلة، لم تدوّن لها كتب الأدب سوى ثمانية أبيات، ولم تذكر حتّى سنة وفاتها، وكلّ الذي ذكرته أنّها ماتت بعد الأربعمائة، فهي من أهل المائة الخامسة.

٦. إشراق[2] السويداء:

وهي الشاعرة العروضيّة، وإحدى أستاذات عصرها اللواتي كن يدرسن الأسر الشريفة الأدب والشعر، وكانت من علماء عصرها، وأفذاذ رجاله على حدٍّ واحد من العلم، والأدب، والفهم، والتخريج.

---

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٨.

(٢) تنظر ترجمتها في: التكملة: ٢: ٧٤٥، والنفح: ٥: ٣٠٣، والشعر النسوي: ١٣٨، وفي الأدب الأندلسي: ٩٧ ــ ٩٨، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ١٣٦، وأعلام النساء: ٣: ٢٦٠ – ٢٦١، والدر المنثور: ٣٣١، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٧.

عاشت في بلنسية، وتلقت النحو واللغة عن الإمام أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون، ثمّ فاقته فيهما، وقال بعضهم: إنّها كانت مولاة عبد الرحمن بن غلبون، ومنهم صاحب أعلام النساء[١] والشعر النسوي[٢].

وبرزت هذه الشاعرة في العروض، وكانت تحفظ (الكامل) للمبرّد، و (الأمالي)، وقيل: (النوادر) لأبي عليّ القالي[٣] وتشرحهما شرحًا مفصلًا، وقد قرأهما عليها العالم أبو داود بن سليمان بن يوسف بن نجاح، ودرس عليها علم العروض.

كلّ تلك الشهرة والمعرفة، ولكنها لم تحظَ برواية ولو بيت شعر من أشعارها، فعلى مَنْ نلقي اللوم؟!

وكانت وفاتها بدانية، في حدود الخمس والأربعمائة هجرية[٤]، وقيل: إنّها توفّيت سنة ٤٤٣هـ[٥].

ومهما يكن فإنّ وفاتها كانت في العقد الخامس بعد الأربعمائة بعد وفاة أستاذها عبد الرحمن بن غلبون، وقد تركت لها ذكرًا جميلًا، وفخرًا طويلًا تتحدّث به الأجيال من بعدها، فخلّدت نفسها بعملها.

---

(١) ينظر: أعلام النساء: ٣: ٢٦٠.

(٢) الشعر النسوي: ١٣٨.

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ١٣٦، وأعلام النساء: ٢٦٠.

(٤) النفح: ٥: ٣٠٣.

(٥) التكملة: ٢: ٧٤٥.

٧. حفصة[١] بنت الحاج الركونيّة[٢]:

وهي من أهل غرناطة، شاعرة ذات منهل عذب، ندي النفحات، ثر النسمات، غني بكلّ رائق لطيف، حلوة الحديث والمساجلة، تنظم الشعر من غير حشمة؛ لأنّها تنطلق على سجيتها، تترجم العصر الذي عاشت فيه، وهي من (البشرات)[٣].

---

(١) تنظر ترجمتها في: معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) مج٥: ٢١٩ – ٢٢٧، المطرب لابن دحية (ت٦٣٣هـ): ١٠، تحفة القادم لابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ) رقم: ١٠٠، المقتضب من تحفة القادم: ٢١٩، المرقصات والمطربات لنور الدين عليّ بن الوزير أبي عمران (ت ٦٧٣هـ): ٨٨، والمغرب لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ): ٢: ١٣٨، ورايات المبرزين: لابن سعيد أيضًا: ٩٢، والإحاطة للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ): ١: ٤٩٩، ونزهة الجلساء للسيوطي(ت ٩١١هـ): ٤٠ – ٤٣، والنفح: ٢: ٥٣٩، والشعر النسوي: ١٥٥، والشعر في عهد المرابطين والموحدين، د. محمّد مجيد السعيد: ١٧٨ وما بعدها، والأعلام للزركلي: ٢: ٢٩٢، وشاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٧٢ – ٧٦، وشاعرات العرب، بشير يموت: ٢١٥، وقصّة الأدب في الأندلس، محمّد عبد المنعم خفاجي: ١: ٤١٧ – ٤١٨، صور من الأدب الأندلسي: ١٩٥ ــ ٢١٥، والأدب الأندلسي: ٢١٩ ــ ٢٢٩، ومعجم النساء الشاعرات: ٥٥، والموسوعة العربية الميسرة: مج ١: ٧٢٧، وتاريخ الفكر الأندلسي: ١٢٧- ١٢٨، مجلة المشرف، العدد ٤١ ج٢، مقتضب تحفة القادم: ٥٨٥، والشعر الأندلسي بحث في تطوره، غمارسيه غومس: ١٦٠، والدر المنثور: ٦٥، والمرأة العربية في الجاهلية: ٣: ١٤١، والشاعرة الغرناطيّة في عصر الموحدين (حفصة بنت الحاج) لويس دي جياكوموط باريس ١٩٤٩م.

(٢) الركوني: وهي نسبة إلى (ركانة) وهي بلدة أندلسيّة قديمة تقع غربي ثغر بلنسية.

(٣) ينظر: الشعر النسوي: ١٥٥، والبشرات: أقليم جبلي وعر في الجنوب الأسباني، وهي منطقة غير ساحلية تقع جنوب جبال (سييرانيفادا)

وتعدّ حفصة فريدة زمانها في الحسن، والظرف، والأدب، وسرعة الخاطر بالشعر، وصفها ابن بشكوال بأستاذة وقتها، فقد كانت تعلّم النساء في دار المنصور عبد المؤمن بن عليّ، وكانت ولادتها في حدود سنة (٥٣٠هـ - ١١٣٥) كما حددها المستشرق لويس ديجياكومو في كتابه (حفصة الركونيّة)، فهي من شواعر القرن السادس الهجري، وأعتمد في تحديده ذلك على تربيته المختارة التي تلقتها[١].

وكانت ثقافتها في غرناطة، فقد ترعرعت فيها فأصبحت حفصة على درجة كبيرة من الأدب، والفضل، والحسب، فأختيرت مؤدبة لنساء بني عبد المؤمن الذين تملكوا غرناطة على عهد مروان بن سعيد والد الشاعر أبي جعفر، وكانت حفصة أستاذة الشواعر في عصرها إذ لم تكن شاعرة أخرى تنافسها باستثناء حمدة بنت زياد المؤدّب التي سيأتي ذكرها لاحقًا.

وقد تمتّعت بهذه المكانة لما تمتلكه من قوّة شعرية، فقد قالت مرتجلة حين صادفت عبد المؤمن بن عليّ في قصره[٢]:

يا سيّد الناس يا منْ يؤمل الناس رِفْدَهْ

واتصفت هذه الشاعرة باللطف، والظرف، وخفّة الروح، وصفاء البديهة؛ لذلك ولع بأدبها كلّ من هام بالكلمة الجميلة، فذاع صيتها، وأشتهرت بين الناس، فكان بعضهم يستوقفها لتكتب له على أوراق يحملها بعض أشعارها، كما

(١) حفصة الركونيّة: ٢١ نقلًا عن الشعر النسوي: ١٥٥.
(٢) نفح الطيب: ٥: ٣٠٤.

يحدث ذلك في أيّامنا الحاليّة مع بعض المشهورين من الفنانين، فقد قال الوزير أبو بكر بن يحي بن محمّد بن عمر الهمداني:

رغبت أختي إلى حفصة أن تكتب شيئًا بخطّها، فكتبت[1]:

يا ربّة الحسن بل يا ربّة الكرم غضي جفونك عمّا خطّه قلمي[2]

تصفحيه بلحظِ الودّ منعمة لا تحفلي برديء الخطّ والكلمِ

تولّعت حفصة بحبّ الوزير الشاعر الكاتب أبي جعفر أحمد بن سعيد وزير بني عبد المؤمن، وتولّع هو بها، فقد أشبهت بذلك ولّادة في حبّها للشاعر والوزير والكاتب ابن زيدون، وقد عقد د. مصطفى الشكعة مقارنة طريفة بينهما[3].

ولكن الملك أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن بن عليّ كان مغرمًا بها، ومنافسًا لأبي جعفر، وكانت النتيجة أنّ هذه الغيرة دفعت الملك إلى أن يفتعل أسبابًا لقتله، والتخلص منه، وعلى الرغم من كثرة العواذل والمنافسين إلّا أنّ هناك لقاءات كثيرة كانت بين الحبيبين، فيحلو الغزل بينهما، وسنذكر ما قالته في غرض الغزل في الفصل الثالث.

فكانت أغلب أشعارها في الغزل والمدح، وقد أجادت فيهما، فشعرها جيّد ذو رونق فائق، وديباجة حسنة، وكان لها اليد الطولى في سبك المعاني، واستعمال الألفاظ الشائعة، ولم يكن شعرها مع جودته مقصورًا على أسلوب

---

(١) الإحاطة: ١: ٤٩٩.

(٢) الصحيح (قلمي)؛ لأنّها تتماشى مع الوزن، وقد أثبتتها المصادر الباقية.

(٣) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢١٩ ــ ٢٢٠.

واحد، بل كانت تتفنن فيه، وتدخل فيه أساليب مختلفة[١]، ففي بعض أشعارها تصوّر نفسها عاشقة لا معشوقة؛ وبذلك تتناسى حفصة دلال المرأة وكبرياءها، وتعلن بكلّ جرأة وصراحة عن حبّها، وعدم تحملها فراق حبيبها الذي فارقها قبل وقت قريب، فتكتب إليه بعض الأبيات راجية اللقاء منها[٢]:

أزورك أم تـزور فـإنّ قـلـبـي إلى مـا تشـتـهي أبـدًا يـمـيـلُ

فهي متلهفة دون استحياء، ومندفعة دون تردد، فهذا لون جديد طرقته حفصة في غزل المرأة لم يطرق من ذي قبل. فأين الحشمة والوقار؟! ومع ذلك فهو يتماشى مع طبيعة المجتمع الأندلسي المتحرر.

ولكن هذه العلاقة لم تدم فظلّ أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن يتربص بأبي جعفر حتّى قتله سنة ٥٥٩هـ[٣] علّه يستولي على قلب حفصة إلّا أنّها أبت ذلك، ولبست السواد لفقد حبيبها، وجهرت بالحزن رغم تهديدها بالقتل والعقاب من قبل السلطان، ورثته بمقطوعات شعرية سنذكرها في غرض الرثاء.

واضح أنّ هذه الشاعرة من الشواعر المكثرات، فلها مقطوعات عدّة في الغزل، والمدح، والرثاء، والتهنئة، والإعتذار، وقد أعجب بشعرها الكثيرون، ومنهم أبو جعفر بن سعيد الذي قال: ((أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة، ومن بعض ما أجعله دليلًا على تصديق عزمي، وبر قسمي، أنّي كنت

---

(١) الدر المنثور: ١٦٥.

(٢) المغرب: ٢: ١٦٦، وفي رواية نفح الطيب، ونزهة الجلساء بعض الأختلاف.

(٣) الإحاطة: ١: ٢٢٧.

يومًا في منزلي مع بعض الأجواد الكرام... فلم نشعر إلّا بالباب يضرب، فخرجت جارية تنظر من الضاربْ، فوجدت امرأة، فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: أدفعي لسيّدك هذه الرقعة، فجاءت برقعة فيها (بعض الأبيات منها):

زائـر قـد أتـى بـجـيـد الـغـزال مـطـلـع تـحـت جـنـحـه الـهـلال

قال: فعلمتُ أنّها حفصة، وقمتُ مبادرًا للباب، وقابلتها بما يقابل به من يشفع لهُ حُسْنُهُ، وآدابهُ، والغرام به)) [1].

وقالت عنها زينب فوّاز: ((وكانت غزيرة المادة من الأدب، مطلعة على شعر العرب الخلص وغيرهم، وكانت تكتب الخطّ الجيّد، وهي من أذكياء العرب المشهود لهم بالتفوق والبراعة)) [2].

وأطلقت حفصة لفظة (الحائل) على من يحول بينها وبين أبي جعفر، ويروم الدخول عليهما وهما مجتمعين.

ويبدو أنّ لهذه الشاعرة حظوة كبيرة لدى المؤرخين، وكتّاب الأدب، فقد ذكروا لها (٥٦) بيتًا من الشعر، وهذا ما لم نلمسه عندهم مع غيرها من الشواعر.

وكانت وفاتها في سنة ٥٨٠هـ أو ٥٨١هـ كما ذكر ذلك لسان الدين في الإحاطة[3]، ونعتقد أنّها أقرب للصواب؛ لأنّه أقرب عهدًا بزمن حفصة بنت المقري[4] الذي قال

(١) الخبر والأبيات في نفح الطيب: ٥: ٣١٠ – ٣١١.
(٢) الدر المنثور: ١٦٥.
(٣) الإحاطة: ١: ٥٠٢.
(٤) نفح الطيب: ٢: ٥٣٩.

بأنّها توفّيت سنة ٥٨٦هـ، وكانت وفاتها بمراكش؛ لأنّها أنتقلت إلى قصر الموحدين بعد وفاة أبي جعفر، فتفيض روح الشاعرة، وتختفي عن الأنظار، ولكنها باقية في القلوب والخواطر، فأشعارها ما زالت محفوظة بين طيّات الكتب تعبر عن واقع حبّها العميقن ومشاعرها المغدقة بالروح الإنسانية النابضة بالحياة.

٨. حمدة[١] بنت زياد المؤدّب:

ويقال لها (حمدونة) بنت زياد بن بقي[٢] العوفي من بني الغيث المؤدّب[٣]، وهي من وادي الحمة[٤] بقرب (بادي) من أعمال وادي (آش) وهو واد جميل يعرف أحيانًا بوادي الآشات[٥].

---

(١) تنظر ترجمتها في: المطرب: ١١، والتكملة: ٧٤٦، وفيه (حمدة بنت زياد بن عبد الله بن باقي)، والمقتضب: ٢١٤، ووفيات الأعيان: ١: ١٤٧، ورايات المبرزين لابن سعيد: ٦٣، والمغرب: ٣: ١٤٥، والتذكرة الفخرية للأربلي: ٣٩٠، وغلإحاطة: ١: ٤٩٧، ونزهة الجلساء: ١٧٠ – ١٧١، ونفح الطيب: ٦: ٢٥، أو النفح: ٢: ٦٢٩، والدر المنثور: ١٧٠ – ١٧١، والشعر النسوي: ١١٢ – ١١٧، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٠، والأعلام للزركلي: ٢: ٣٠٥، وشاعرات العرب: ٢٨، وتاريخ الأدب الأندلسي، د. إحسان عبّاس: ٩٨، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢١٤ – ٢١٥، وقصّة الأدب في الأندلس: ١: ٤٢٠ – ٤٢١، وتاريخ الفكر الأندلسي: ١٢٨ – ١٢٩، ودائرة المعارف، بطرس البستاني، مج ١: ١٧٣، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣١ – ١٣٢، والموسوعة العربية الميسرة، آ.س، مج١: ٧٣٦ لسنة ١٩٨٧م، والمنهل في الأدب العربي،د. عليّ جواد الطاهر وآخرون: ١٧٠.

(٢) شاعرات العرب: ٢٠٨ وفيه ابن تقي.

(٣) نزهة الجلساء: ٤٥.

(٤) ينظر: الأدب الأندلسي، د. عدنان صالح مصطفى: ٨٦.

(٥) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٠.

وأعتقد أنّ (حمدة) هو الأسم الصحيح لها بالرغم من أنّ مثل هذه الأسماء ذاعت وأنتشرت في الأندلس كقسمونة، وفتحونة، وحمدونة ... الخ؛ لأنّ أقرب الناس إليها وهو العلّامة أبو القاسم بن البراق الذي عاصرها، وروى عنها، وروت عنه ذكر أنّها: ((حمدة بنت زياد العوفيّة))[1].

عاشت حمدة في بيت علم وأدب، فقد كان أبوها مؤدّبًا، فاهتمّ بتربية وتأديب أبنتيه حمدة وزينب، فكانتا شاعرتين من شهيرات شاعرات الأندلس.

وكانت حمدة أديبة زمانها، نبيلة ذات جمال ومال مع العفاف والصون إلّا أنّ حبّ الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع نزاهة موثوق بها، وكانت تلقّب بخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس[2] فقد قال عنها ابن سعيد[3] صاحب (المغرب): ((قال والدي: هي شاعرة جميع الأندلس، وكان عمّي أحمد يقول: هي خنساء المغرب). ونحن نقول: إنّها شاعرة الطبيعة الأولى، فقد أوحى (وادي آش) من طلّه، وأنسامه العليلة، وجماله الخلّاب، وخضرته النديّة لشاعرتنا حمدة أن تصفه بأجمل ما يوصف به من واد، ولكن بعض المؤرخين المشارقة، ومنهم (ابن العديم) صاحب كتاب (بغية الطلب من تاريخ حلب)[4] أثبتها للشاعر المشرقي (أحمد بن يوسف المنازي)

---

(١) ينظر: نزهة الجلساء: ٤٥.

(٢) أغلب مصادر ترجمتها ذكرت ذلك منها: المغرب: ٢: ١٤٥، والدر المنثور: ١٧٠.

(٣) المغرب: ٢: ١٤٥.

(٤) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٢، وينظر: وفيات الأعيان: ١: ١٢٦، وسمط اللآلي: ١: ٢٢٧ تحقيق: عبد العزيز الميمني.

وهذا لعمري انتحال، فقد أثبتها من عاصرها، ومن كان أقرب عهدًا لعهدها لها، ومطلع هذه الأبيات هو[1]:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

وصورت حمدة وأدبها الجميل من خلال أبياتها، فلا نجد أرق ولا أعذب منها، فكان فيها تناسق وتناغم ندي على الأكباد؛ لذلك ذاعت شهرتها شرقًا وغربًا فحفظتها جميع الألسن.

وقد أكّد الرعيني صحة نسبة الأبيات لها بقوله: ((إنّ هذه الأبيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم، وركبوا التعصب في جادة ادّعائهم، وهي أبيات لم يجلبها غير لسانها، ولا رقم برديها غير إحسانها، ولقد رأيتُ المؤرخين من أهل بلادنا وهي الأندلس أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود))[2].

وقال عنها ابن سعيد: ((غرناطة ... يقال لنسائها المشهورات بالحبّ والجلالة (العربيات) لمحافظتهن على المعاني العربية، ومن أشهرهن: زينب بنت زياد الوادآشي، وأختها حمدة بنت زياد))[3].

وكانت حمدة ذات منطق يفتح على البلغاء أبواب العجز، ويصدّ عليهم صدور الخطب، فإن أوجزتْ أعجزتْ بالمقال، وإن أطالت كاثرت الغيث الهطّال[4].

---

(١) التذكرة الفخرية: ٣٩٠، ونفح الطيب: ٦: ٢٥.

(٢) نقله المقري في النفح: ٤: ٢٨٨ – ٢٨٩، والسيوطي في النزهة: ٤٦.

(٣) نزهة الجلساء: ٤٦ – ٤٧ نقلًا عن ابن سعيد.

(٤) الدر المنثور: ١٧٠.

وقد روت عن العلماء الأفاضل، ورووا عنها، ومنهم العلّامة أبو القاسم بن البراق.

ومن أجمل ما قالته حمدة[1]:

ولمـا أبى الواشـون إلّا فراقنـا وما لهم عنـدي وعنـدك من ثـار

وسنذكر بقية الأبيات في موضعها، ولكن هذه الأبيات الرقيقة البديعة هي الأخرى نسبت إلى مهجة بنت التياني التي سيأتي ذكرها، ولكننا نؤكد أنّها لحمدة؛ لأنّها تتماشى مع روحها الشعرية، وموسيقاها وتناغمها، فقد أمتازت أشعار حمدة بالرقة، والرشاقة، والأناقة، فضلًا عن أنّ أكثر المصادر التي أعتمدناها في ترجمتها أثبتتها لحمدة حيث ذكر السيوطي في نزهته ما نصّه: ((حدّثت عن أبي الكرم جودي بن عبد الرحمن الأديب، قال: أنشدني أبو القاسم بن البراق، قال: أنشدتني: حمدة بنت زياد العوفية قال ابن الأباري: أنشدني الكاتبان: ابو جعفر بن عبيد الأركشي، وأبو إسحق بن الفقير الجياني، قالا: أنشدنا القاضي أبو يحي عتبة بن محمّد بن عتبة الجرادي لحمدة هذه الأبيات))[2].

كلّ ذلك يثبت أنّ تلك الأبيات لحمدة وليست لغيرها.

إنّ شاعرتنا حمدة التي هامت بالطبيعة، ووصف رياضها، وأنهارها، ووديانها بأجمل الصور تستحق أن تلقّب بـ(صنوبرية الأندلس) نسبة إلى

---

(١) نزهة الجلساء: ٤٥.

(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.

شاعر الطبيعة في المشرق أبي بكر الصنوبري، فقد كان د. مصطفى الشكعة مُحقًّا في ذلك[1].

أمّا تشبيهها بالخنساء، ففي أعتقادي أنّ هذا اللقب لا ينطبق على (حمدة) فهناك اختلاف كبير بين شعر الأثنتين رغم الجودة فيهما، فالخنساء شهرت بالرثاء الذي يرافقه الأسى، والحزن، والكآبة في حين شهرت حمدة بوصف الطبيعة الذي يرافقه الجمال، والروعة، والفرح، والسرور، والتطلع إلى آمال جديدة رحبة تنبض بالحياة.

فأين هذا من ذاك؟!

وقد عدّها عبد الله عفيفي أستاذة شواعر الأندلس حينما عقد مقارنة بينهما وبين ولّادة، فقال: ((على أنّ شعر ولّادة لم يكن في متناول النساء؛ لأنّ فيه فحولة وجزالة، وهو بشعر الرجال أشبه، ولكن أستاذة شواعر الأندلس التي أوردتهن من الشعر العذب، الرقيق منهلًا، ندي النفحات، صفي السمات هي حمدة))[2].

وعلى الرغم من أنّ هذه الشاعرة الرقيقة كانت لها مقطوعات في الغزل كانت على درجة من العفاف، فكانت متصوفة متأدبة ممّا حدا بصاحبي المقتضب والفوات أن يقولا عنها بأنّها: ((من المتأدبات المتصوفات المتغزلات المتعففات))[3].

---

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٥.

(٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣١ – ١٣٢.

(٣) ينظر المقتضب: ١٦٢، وينظر: فوات الوفيات: ١: ١٤٧.

ورغم تلك الشهرة التي نالتها حمدة، فإنّ مجموع ما وصل إلينا من أشعارها ثلاث مقطوعات شعرية في أربعة عشر بيتًا، وهذا العدد لا يتناسب مع مكانتها وشهرتها.

وكانت وفاتها نحو سنة ٦٠٠هـ[١] فهي معاصرة لحفصة الركونيّة المارّة الذكر، ولنزهون الغرناطيّة التي سيأتي ذكرها.

(١) الأعلام للزركلي: ٢: ٣٠٥، وحاشية خريدة القصر: ٤: ٧٦٥.

ج/ المتعففات المتأدّبات:

٩. حفصة[١] بنت حمدون الحجارية:

وهي شاعرة وأديبة من أديبات الأندلس[٢] من وادي الحجارة القريب من مجريط (مدريد) الحاليّة، وكانت أقرب المدن إليه آنذاك طليطلة[٣].

وتعدّ حفصة رائدة من رائدات الغزل في الأندلس، وكانت فاضلة، روض فضلها أريج، وحدائق معلوماتها وأدبها بهيج، وكَثُرَ إختراعها للمعاني وإبداعها، تسرق القلوب بألفاظها الزاهرة، وتسكر العقول بمعانيها الساحرة، تنظم فتأتي بكلّ عجيبة، وتشنّف الأسماع بكلّ غريبة[٤].

وقد فخرت بها بلدتها، وإنّ سبب هذا الفخر وذلك الإعتزاز المكانة الأدبية الرفيعة التي وصلت إليها شاعرتنا، فقد جاءت بكلّ ما هو جديد، وهي أوّل أندلسيّة تقول الغزل، وبهذا تكون قد فتحت الأبواب للمرأة الأندلسيّة في نظمه، واتّسم غزلها بالجرأة والصراحة، فقد أظهرت شخصيتها كامرأة، وأبدت دلالها للحبيب، فكانت تتيه تيهًا مع كبرياء وشموخ.

---

(١) تنظر ترجمتها في: المغرب: ٢: ٣٧ – ٣٨، ونزهة الجلساء: ٤٣ – ٤٤، والنفح: ٤: ٢٨٥ – ٢٨٦، والأعلام: ٢: ٢٩٢، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٣٩، والدر المنثور: ١٦٥، وصور من الأدب الأندلسي: ١٠٦ – ١٠٨، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٣٥ – ١٣٨، ومعجم النساء الشاعرات: ٥٨، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ٤: ٢٣٣، وفي الأدب الأندلسي: ٩٨، والشعر النسوي: ٦٠.

(٢) معجم النساء الشاعرات: ٥٨.

(٣) الأدب الأندلسي: ١٣٥.

(٤) الدر المنثور: ١٦٥.

وحفصة كانت على شيء من الثروة والوجاهة، تملك عبيدًا، ولكنها كانت تعاني من جهل بعضهم فذمّتهم، وسنذكر أبياتها ضمن موضوع الهجاء، ولها مقطوعات أخرى في المدح، ولم يصل إلينا من شعرها سوى تسعة أبيات.

أمّا وفاتها فمجهولة، وكلّ ما نعرفه إنّها من شواعر القرن الرابع الهجري من وادي الحجارة.

١٠. خديجة[١] بنت أحمد بن كلثوم المعافريّة:

وهي خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري، ونعرف بـ(خدوج) وهو لقب لها شاعرة وأديبة نبغت في الشعر والأدب في أواسط القرن الرابع الهجري، وذكرها السيوطي في نزهته، وقال: ((قال ابن رشيق في كتابه (الانموذج): شاعرة حاذقة مشهورة، لها ترسل لا يقع مثله إلّا الحذّاق المترسلين))[٢].

وتعلق بها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله، ومال قلبها إليه؛ لأدبه وكياسته، فجاشت قريحتها، ونبغ ذوقها السليم بالنظم الرقيق الجيّد، ولكن الوشاة تصدّوا لغرامها، فكدّروا صفوه، فقالت بعض الأبيات، وهذا مطلعها[٣]:

---

(١) ينظر ترجمتها في: معجن البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): ٤: ٢٥٩، وخريدة القصر وجريدة العصر: (...)، والوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ): (...)، ونزهة الجلساء للسيوطي (ت ٩١١هـ): ٥٠ – ٥١، وأعلام النساء، عمر رضا كحالة: ١: ٣٢٢ – ٣٢٣، ومعجم النساء الشاعرات: ٦٦ – ٦٧، وأدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية، محمّد رضا الشبيبي: ٥٠، وشهيرات النساء لحسن حسني عبد الوهاب، ص ٥٣.

(٢) نزهة الجلساء: ٥٠.

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

جمعوا بيننا فلمّا اجتمعنا فرّقوا بيننا بالزور والبهتانِ

ومن تلك الأبيات أتّضح أمر خديجة وحبيبها أبي مروان، وذاع خبرهما بين أهل (رصفة)[1]، فغار لذلك إخوتها، وفرّقوا بين العاشقين، ورفضوا طلب أبي مروان يد أختهم خديجة، وأُبعد منها، وردّ عنها، وإلى ذلك أشارت في كتاب أرسلته إلى أخيها الأكبر تعاتبه[2]:

أخي الكبير وسيّدي ورئيسي ما بال حظي منك حظ نحيس؟!

أبغي رضاك بطاعة مقرونةٍ عندي بطاعة ربّي القدوسِ

ويتضح لنا أنّ هذه الشاعرة كانت على درجة من الأدب، فقد أحترمت رأي أخيها بعد أن عاتبته، والتزمت ولم تخالفه.

أمّا مجموع ما وصل إلينا من شعرها فقد بلغ عشرة أبيات، ولم تشر المصادر إلى سنة ولادتها أو وفاتها، فقد ذكرت أنّها عاشت في أواسط القرن الرابع الهجري.

(١) رُصفة بضم الراء: كورة على ساحل البحر بأفريقية. معجم البلدان: ٤: ٢٥٩.

(٢) نزهة الجلساء: ٥١، ومعجم النساء الشاعرات: ٦٧.



١١. زينب[١] المريّة:

وهي ابنة أحد مشاهير العرب، فهي زينب بنت فروة [٢]، فاسم والدها معروف، وليس كما قالت السيّدة زينب فوّاز في كتابها (الدر المنثور) [٣] من ((أنّها لم تقف على اسم أبيها)).

ولدت بالمرية من أعمال الأندلس، ولكننا لم نقف على سنة ولادتها، وكانت ذات حسن، وجمال، وبهاء، وكمال، وأدب، وظرف، ونهذيب، ولطف، رقيقة المعاني، جزلة الألفاظ، حاضرة النادرة، لها شعر بديع[٤].

وهي أديبة وشاعرة اتّسم شعرها بالنضوج والحيوية، ونقاء الأسلوب، وكانت تساجل العلماء والشعراء، وتجالس الأدباء، قالت في ابن عمّ لها يقال له: (المغيرة) بعض الأبيات، وهذا مطلعها[٥]:

يـا أيّهـا الراكـب الغـادي لطيبـه عرّج أُنبيـك عن بعض الـذي أجدُ

ومن خلال البحث والتقصي أستطعنا أن نحقّق أمنية تمنّاها د. مصطفى الشكعة [٦] كما تمنّاها غيره من محبّي الأدب الأندلسي، فقد عثر صاحب

---

(١) تنظر ترجمتها في: الأمالي للقالي: ٢: ٨٧، والذيل والتكملة: ٢٢، ومعجم النساء الشاعرات: ١١٦، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٥ – ١٤٦، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٤٧، والدر المنثور: ٢٢٨، وصور من الأدب الأندلسي: ١١٦.

(٢) ينظر: معجم النساء الشاعرات: ١١٦.

(٣) الدر المنثور: ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق والصفحة ذاتها .

(٥) النفح: ٤: ٢٦٦، ومعجم النساء الشاعرات: ١١٦.

(٦) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٥.

معجم النساء الشاعرات على مقطوعتين شعريتين لهذه الشاعرة، وهذا مطلع إحداهما[1]:

ألم ترَ أهلي يا مغيرُ كأنّما يفيئون باللوماء منك الغنائما

إنّ هذه الشاعرة الرقيقة المرهفة لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاث مقطوعات في ثمانية أبيات فقط، ولو وصل إلينا منه الكثير لكان حكمنا عليه أعدل.

توفّيت بالمرية مأسوفًا عليها من ذوي الأدب، وأهل العلم، ولم نقف على سنة وفاتها، ولكننا عرفنا أنّها من شواعر القرن الخامس الهجري.

١٢. زينب[2] بنت زياد المؤدّب[3]:

وهي شاعرة متأدبة كأختها (حمدة) المارّة الذكر، فقد حرص والدها زياد المؤدّب الوادي آشي على تعليمها العلم والأدب، فكانتا شاعرتين مشهورتين، لكن شهرة حمدة طغت على أختها زينب بحيث يذكر اسمها مقرونًا باسم أختها، فيقال: حمدة بنت زياد وأختها زينب الشاعرتان.

---

(١) ينظر: معجم النساء الشاعرات: ١١٦.

(٢) تنظرترجمتها في:، ومعجم النساء الشاعرات: ١١٢، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٠ – ١٥١، والأعلام للزركلي: ٢: ٣٠٥، والشعر النسوي: ١١٢ – ١١٣، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣٣، والموسوعة العربية الميسرة، أ.س مج: ١: ٧٣٦، وفي الشعر الأندلسي: ٨٦، وصور من الأدب الأندلسي: ١٢١ – ١٢٢.

(٣) وردت في الإحاطة (المُكتب): ١: ٤٩٧.

وكانت زينب كأختها تتصف بالشعر والأدب، وأنّها من أهل الجمال، والمال، والمعارف، والصون، والعفاف، والنزاهة[1].

وقد نسبت بعض أبيات حمدة لها[2] وهي:

ولمّـا أبى الواشـــون إلّا فراقنـا وما لهم عنـدي وعنـدك من ثـار

كما اتّصفت زينب بالتصوف، والغزل العفيف[3]، ولكن للأسف لم يصل إلينا من شعرها شيء، فقد ضاع كما ضاع غيره من شعر الأندلسيين.

أمّا وفاتها فهي قريبة العهد بأختها (حمدة)، ولمّا كانت وفاة حمدة سنة ٦٠٠هـ، إذن يمكن أن نعدّ زينب من شاعرات القرن السادس الهجري حتّى وإن عاشا بعد أختها بسنين.

١٣. أمّ السعد[4] بنت عصام الحميري:

وهي أمّ السعد بنت عصام بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن يحي الحميري من أهل قرطبة.

وتعرف بـ(سعدونة)، وقد ذكرنا سابقًا أنّ هذه الأسماء كانت منشرة في الأندلس.

---

(١) الأعلام: ٢: ٣٠٥، والإحاطة: ١: ٤٩٧.

(٢) ينظر: معجم النساء الشاعرات: ١١٢.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة: مج ١: ٧٣٦.

(٤) تنظر ترجمتها في: التكملة: ٢: ٧٤٨ ترجمة رقم (٢١٢٨)، ونزهة الجلساء: ٢٩ – ٣٠، والنفح: ٥: ٢٩٩، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٩٤، والشعر النسوي: ١٣٢.

وتحدّث عنها (البدر البلنسي) في كتابه (التذييل)، وقال: ((لها رواية عن أبيها وجدّها وغيرهما من أهل بيتها))[1]، لعلّه يقصد خاليها عامرًا، وأبا بكر ابني هاشم بن عبد الله الأزدي.

وكانت أمّ السعد شاعرة متدينة، محبّة في الذات النبويّة الكريمة، واضح ذلك في قولها في تمثال النعل النبوي[2]،

تكملة لقول غيرها[3]:

سألثم التمثال إذ لم أجد ... للثم نعل المصطفى من سبيل

فقالت بعض الأبيات منها:

لعلّي أحظى بتقبيله ... في جنّة الفردوس أسنى مقيل

---

(١) نقلًا عن نزهة الجلساء: ٢٩.

(٢) وجد رسمًا لتمثال نعل النبيّ صلّى الله عليه وآله في باب (صفة نعل النبيّ) بكتاب (زاد المسلم ممّا اتّفق عليه البخاري ومسلم) وقد تبارى شعراء الأندلس في وصفه، وللمقري تأليف نفيس في شأن النعل الشريفة، وقد طبع بحيدر آباد، وللشيخ يوسف النبهاني في مثال النعل أبيات لطيفة ذكرها بداخل النعل الشريفة منها:

مثال حكى نعلًا لأشرف مرسل ... تمنت مقام الترب منه الفراقد

ضرائرها السبع السموات كلّها ... غيارى وتيجان الملوك حواسد

فالنجوم، والسماوات السبع، وتيجان الملوك كلّها تتمنى أن تتشرف به، وقال فيه الحافظ زين الدين العراقي في ألفية السيرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام:

ونعله الكريمة المصونة ... طوبى لمن مسَ بها جبينه

(٣) نزهة الجلساء: ٢٩، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٩٤.

وقد علّق أحدهم[1] على هذه الأبيات بقوله: ((نحن لا نوافق الشاعرة في تلك التكملة، ولا الشاعر الذي بدأ، فحبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّما يتجلى في اتّباع سنّته، والعمل بشريعته، والإسلام لا يرضى أن يُقبل نعلًا أو تمثالًا لنعل فهذا فرط في الحبّ)).

ونحن نقول: إنّ الإنسان حينما يتعلق بشخص عادي يحبّ كلّ شيء يعود له، فمثلًا الشاعر (ديك الجن) يحدّثنا عن مدى إعتزازه بنعل حبيبته، فيقول[2]:

فوحقّ نعليها وما وطىء الحصى ... شيء أعزّ عليّ من نعليها

فكيف إذا كانت نعل الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله، فحبّ النبيّ صحيح يتجلى في اتّباع سنّته، والعمل بشريعته مضافًا إليه حبّ كلّ شيء يعود له، فهو نبيّنا وحبيبنا، ومن حقّنا التبرك حتّى بالتراب الذي داسته قدماه.

وقد نسبت لسعدونة بعض الأبيات هي[3]:

آخِ الرجال من الأبا ... عد والأقارب لا تقاربْ

إنّ الأقارب كالعقا ... رب أو أشدّ من العقارب

---

(١) تنظر: حاشية: ٢٩، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٩٤.

(٢) ديوان ديك الجن، تحقيق: أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري: ٩١، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٩٦٤م، وفي بعض الروايات نرد كلمة الثرى بدلًا من الحصى.

(٣) نفح الطيب: ٥: ٢٩٩، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ١٤٥.

وقد وجدنا أنّ هذين البيتين لأبي الفضل بن العميد الكاتب المشهور، وقد ذكر ذلك المقري حين أوردهما فقال: ((رأيت نسبة البيتين لابن العميد))[1].

كما أنّ الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر)[2]، وابن خلكان في (وفيات الأعيان)[3] أورداهما لابن العميد أيضًا، وهو أسبق وجودًا من سعدونة، فقد توفّي سنة (٣٥٩هأو ٣٦٠ه) أمّا سعدونة فقد توفّيت سنة ٦٤٠هبمدينة مالقة.

هذه النفحات النديّة ظهرت في شعر شاعرتنا لتثبت لنا مدى عفّتها وعفافها، وتدينها، وحبّها لسيّد الكائنات نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسّلم.

(١) المصدر السابق والصفحة ذاتها.
(٢) يتيمة الدهر للثعالبي: ٣: ١٨٣ – ١٨٤، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد.
(٣) وفيات الأعيان: ٤: ١٩٤.

د/ المتعففات الموشّحات:

١٤. أمّ العلاء[١] بنت يوسف الحجاريّة:

وهي أمّ العلاء بنت يوسف بن حزر المجلسي الحجاريّة، هكذا عرفت بكنيتها، ولم يعرف اسمها، وهي شاعرة لبيبة، فصيحة أديبة، ذات حسن، وجمال، وأدب، وكمال، لها قصائد طنّانة، وموشحات رنّانة[٢].

تعرف بالحجاريّة نسبة إلى واديها (وادي الحجارة)، وهي من الشواعر اللائي يفتخر بهن بلدهن، وقد نعتها صاحب المغرب بالبربريّة[٣].

وأمّ العلاء شاعرة بارعة، وشعرها جيّد فيه كبرياء المرأة العربية، وتعدّ واحدة من أرقّ شاعرات الأندلس، وأقدرهن على التعبير عن نفسها، وهي من أرقّهن غزلًا، وأقدرهن على المحافظة على حيائها كأنثى[٤].

وهي شاعرة مكثرة، فلها مقطوعات في الغزل، والمدح، والحكمة، والدعابة، ووصف الطبيعة، فقد استطاعت بمقدرتها الشعرية أن ترسم لنا صورة بديعة لبستانها المتواضع سنذكرها ضمن وصف الطبيعة في الفصل القادم.

---

(١) تنظر ترجمتها في: المغرب: ٢: ٣٨، ونزهة الجلساء: ٢٦ – ٢٧، والنفح: ٢: ٥٣٧، ومعجم النساء الشاعرات: ٣٠٢، والشعر النسوي:٩٤، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٤٦ – ٢٤٧، والدر المنثور: ٥٤، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٧٢ – ١٧٧، وأعلام النساء: ٣: ٣٢٧ – ٣٢٨، والمرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ٢٤٥، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢١٠، وشاعرات العرب: ٢٥٨، وتاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس: ٤: ٥٠٦ – ٥٠٧.

(٢) الدر المنثور: ٥٤.

(٣) المغرب: ٢: ٣٨.

(٤) الأدب الأندلسي: ١٧٧.

وأسهمت في الغزل فقالت تصف الحبيب الذي كلّ ما يصدر عنه حسن جميل في نظرها، وأنّ الزمن لا يحلو إلّا به فليس للحياة طعم بدونه، وهذا مطلع تلك الأبيات [1]:

كلّ ما يصدرُ عنكم حسنٌ وبعلياكم تحلى الزمنُ

ولها مقطوعات أخرى في الإعتذار والهجاء.

هذه هي أمّ العلاء صاحبة القصائد، والمقطّعات الرقيقة البديعة، والموشحات الرنّانة كما يقولون، ولكن أين هي؟! لا جدوى من السؤال الذي لا جواب له.

توفّيت في مدينتها (وادي الحجارة) بالأندلس، وهي من شواعر القرن الخامس الهجري.

أمّا تراثها الشعري فلا يتجاوز ثلاثة عشر بيتًا في خمسة مقطوعات.

١٥. قسمونة[2] بنت إسماعيل:

لقد كان للتسامح الديني في الأندلس أثر بالغ في ظهور شواعر غير مسلمات ليأخذن نصيبهن من الثقافة والأدب، ومنهن قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، فقد كانت شاعرة رقيقة، أعتنى والدها إسماعيل بن نعدالة وقيل:

---

(١) نزهة الجلساء: ٢٦، والشعر النسوي: ٩٤، والأدب الأندلسي: ١٧٦.

(٢) تنظر ترجمتها في: نزهة الجلساء: ٧٤، والنفح: ٥: ٧٢ – ٧٣، والشعر النسوي: ١٠٤ – ١٠٥، وأعلام النساء: ٣: ١٢٨٦ – ١٢٨٧، وشاعرات العرب: ٣٥٤، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٣٤ – ٢٣٥، ومعجم النساء الشاعرات: ٢١٤، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٥٥.

نغرالة بتأديبها، وكان شاعرًا فأخذت عنه نظم الشعر، وربّما صنع أبوها من الموشحة قسمًا فأتمتها هي بقسم آخر، فقال لها يومًا أجيزي[1]:

لي صـــاحبة ذات بهجة قد قابلت نفعًا بضـــرّ واســـتحلت جرمها

ففكرت قليلًا وقالت:

كالشـــمس منها البدر تلبس نوره أبدًا ويكســـفُ بعد ذلك جرمها

وقام كالمختبل وضمّها إليه، وجعل يقبّل رأسها، ويقول:

أنت والعشر كلمات... أشعر منّي!!

وقد يكون والدها قد قصد بالعشر كلمات الوصايا العشر التي يؤمن بها اليهود ويقسمون، وقد يكون قد قصد العشر كلمات التي تألّف منها البيت.

وواضح أنّ قسمونة أشعر من والدها لاسيّما في ذلك البيت، وقد أكثرت الباحثة سلمى سلمان على هذه الشاعرة نظمها الموشحات[2].

ولا أعلم لماذا؟ في حين أنّها جعلتها من شواعر القرن الخامس الهجري (عصر الطوائف)؛ ذلك العصر الذي أزدهرت فيه الموشحات، كما أنّ المقري ذكر لنا أنّ والدها صنع الموشحات[3]، فليس من المعقول أنّه علّمها الشعر والأدب، ولم يعلّمها نظم الموشحات.

---

(١) نزهة الجلساء: ٧٤.

(٢) المرأة في الشعر الأندلسي: ٢٥٥.

(٣) النفح: ٥: ٧٢.

أمّا السيوطي فقال: ((كان أبوها قد أعتنى بتأديبها، وكان أبوها ربّما صنع القسم من الموشحة فأتمتها بقسيم آخر))[1]، وهذا هو القول ذاته الذي ذكره صاحب النفح[2]، وصاحب أعلام النساء[3]، فليس من المعقول أنّ كلّ هؤلاء يتوهمون.

وتختلفت الروايات في سنة ولادتها ووفاتها، فقد قال صاحب المغرب: إنّها من أهل المائة السادسة[4]، وعدّها د. مصطفى الشكعة ضمن شواعر القرن السابع بقوله: ((وإذا كان المقري صاحب خبرها لم يذكر شيئًا عن بلدها أو زمنها، فإننا نرجح أنّها غرناطيّة عاشت في القرن السابع؛ ولأنّه ذكرها بين شعراء القرن السابع الغرناطيّون؛ ولأنّ غرناطة نفسها كانت مليئة باليهود المتجمعين فيها))[5].

ونحن نرجّح ما ذهب إليه صاحب المغرب من أنّها من شواعر القرن السادس الهجري؛ لأنّه أقرب عهدًا بها من المقري، فكانت وفاته (سنة ٦٨٥هـ) بينما وفاة المقري كانت سنة (١٠٤١هـ).

إنّ المصادر التي أرّخت لهذه الشاعرة قد يعزى إلى كونها ذميّة غير مسلمة، فتحاشى أغلب المؤرخين ذكرها.

---

(١) نزهة الجلساء: ٧٤.

(٢) النفح: ٥: ٧٣.

(٣) أعلام النساء: ٣: ١٢٨٧.

(٤) المغرب نقلًا عن نزهة الجلساء: ٧٤.

(٥) الأدب الأندلسي: ٢٣٤.

وذات يوم وقفت قسمونة أمام المرآة تنظر إليها فراعها ألّا يتقدّم إليها أحد يطلب يدها، وخشيت أن يذهب جمالها وهي قد بلغت أوان التزويج، فقالت معبرة عن ذلك [1]:

أرى روضة قد حان منها قطافها ولستُ أرى جان يمدّ لها يدا

وما أن سمع والدها شكوتها حتّى عمل على تزويجها، ولا نعلم أتزوجت حقًّا أم لا ؟!.

إنّ هذه الشاعرة لكونها من غرناطة نلك المدينة التي عرفت بالشعر والثقافة، والأدب، فقد برعت ونبغت على الرغم من بعدها من لغة القرآن لكنّها تميّزت بسرعة البديهة، وحدّة الذكاء، وحين وصف ابن سعيد نساء غرناطة الذي ذكرناه آنفًا [2]؛ فإنّ قسمونة واحدة منهن.

أمّا مجموع موزونها الشعري فكان خمسة أبيات فقط، وهو لا يتناسب مع شهرة، وبراعة، ونبوغ قسمونة.

---

(١) نزهة الجلساء: ٧٥.

(٢) ينظر: نفح الطيب: ٦: ٢٥، وتنظر ترجمة (حمدة بنت زياد) المارّة الذكر.



هـ/ المتعففات الخطّاطات:

١٦. لبنى[١] كاتبة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن:

شاعرة، أديبة، عالمة بالنحو، والحساب، والعروض، وكانت تتقن الكتابة والخطّ الجيّد، مشاركة في العلم، لم يكن في قصر الخليفة أنبل منها. وتعرف بـ(لبنى القرطبية)، ويقال: أن اسمها (لبنى بنت عبد المولى)، وكان الخليفة يثق بها حتى أنّه أسند إليها التوقيع بدلا عنه[٢].

ولمكانتها العلمية عدّها السيوطي ضمن طبقات اللغويين والنحاة[٣] وعلى الرغم من المكانة التي أحتلتها (لبنى) في كونها كاتبة، وشاعرة، وأديبة، وعالمة في قصر الخليفة إلّا أنّها لم تحظ برواية بيت شعري واحد من قبل المؤرخين، فهي قليلة الحظّ في هذا الجانب.

وقال بعضهم: إنّها كانت كاتبة الخليفة المستنصر بالله[٤]، وهذا صحيح؛ لأنّ الحكم بن عبد الرحمن تلقّب بهذا اللقب،وقد دام حكمه من

---

(١) وردت أخبارها في: الصلة: ٣: ٩٩٢ رقم الترجمة (١٥٤١)، وبغية المتلمس: ٢: ٧٣٢ رقم الترجمة (١٥٩٦)، وبغية الوعاة للسيوطي: ٣٨٣، والشعر النسوي: ١٣٦، وأعلام النساء: ٣: ١٣٥٨، وتاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ٣: ٣٠٢، ضمن ضمن أدبيات الأندلس والإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي (رسالة دكتوراه) منجد مصطفى بهجت: ٢٢، والمرأة في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير): ١٣ – ١٤.

(٢) الصلة: ٣/ ٩٩٢

(٣) بغية الوعاة: ٣٨٣.

(٤) أنظر: أعلام النساء: ٣: ١٣٥٨.

(٣٥٠ -٣٦٦)، وكانت وفاتها سنة ٣٧٤هـ[١]، وأنفرد صاحب (أعلام النساء) فذكر أنّ وفاتها كانت سنة ٣٩٤هـ[٢].

١٧.عائشة[٣] بنت أحمد القرطبيّة:

وهي عائشة بنت أحمد بن محمّد بن قادم القرطبيّة، شاعرة، رقيقة، قديرة، عفّة، جريئة، أديبة، خطّاطة، ديّنة، أسترعت الأنظار، وهي من طبقة سراة العاصمة (قرطبة)، لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علمًا، وفهمًا، وأدبًا، وشعرًا، وفصاحة[٤].

كانت حسنة الخطّ تكتب المصاحف، وتمدح الملوك، وتخاطبهم في غير ما خنوع أو مذلّة، وكانت ترتجل الشعر إرتجالًا، فقد دخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه (ابن) له، فخطر لها أن تحييه وتمدحه، فقالت بعض الأبيات نذكر منها[٥]:

---

(١) اتّفقت جميع مصادر ترجمتها على ذلك عدا أعلام النساء.
(٢) ينظر: أعلام النساء: ٣: ١٣٥٨.
(٣) تنظرترجمتها في: الصلة: ٣: ٩٩٢ ترجمة رقم (١٥٤٣)، والوافي بالوفيات للصفدي: ج١٦/ ٣٨٤، ونزهة الجلساء: ٦١ - ٦٢، والنفح: ٤: ٢٩٠، والدر المنثور: ٢٩٢، وشاعرات العرب: ٢٢٢، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢٠، والشعر النسوي: ٥٨ - ٥٩، ومعجم النساء الشاعرات: ١٦١ - ١٦٢، والأدب الأندلسي: ١٣٢ - ١٣٥، وتاريخ الأدب العربي: ٤: ٣٣٤، والأعلام: ٤: ٤، وتاريخ الفكر الأندلسي: ٧٣، وأعلام النساء: ٦/٣، وبحث تربية وتعليم المرأة في المجتمع الإسلامي، دريد عبد القادر نوري: ١٩٨.
(٤) ينظر: نفح الطيب: ٦: ٢٦ نقلًا عن المقتبس لابن حيّان.
(٥) نزهة الجلساء: ٦٢.

أراك الله فيه ما تريد ولا برحت معاليه تزيد

إنّ هذه الشاعرة تحمل إباء المرأة العربية وكبرياءها قبل أن تفسده الحضارة، والتقدّم، والإختلاط بالأجناس الأخرى، فلم تقل غزلًا، ومعنى ذلك أنّ استقامتها، وعفّتها، وشرفها، ودفعها إلى العزوف عن مخالطة الرجال، فامتنعت عن الزواج، فعندما طلب يدها أحد الشعراء كتبت إليه توبخه ببيتين من الشعر سنذكرهما في موضعهما.

وذكرها ابن سعيد في المغرب وقال عنها: ((إنّها من عجائب زمانها، وغرائب أوانها، وأبو عبد الله الطبيب عمّها، ولو قيل: إنّها أشعر منه لجاز))[1].

كما عرف عنها حبّها لجمع الكتب، فكانت لها خزانة كتب كبيرة في مكتبتها الخاصّة.

إذن كانت عائشة القرطبيّة محبّة للعلم والمعرفة، ذات فصاحة وبلاغة.

أمّا شعرها، فكان في عمومه غاية في الروعة والجمال. ولها بعض المطالع الرقيقة في بعض الرؤساء سنذكرها في موضعها.

وماتت عذراء ولم تتزوج سنة ٤٠٠هـ[2] في قرطبة، ولم يصل إلينا من شعرها سوى عشرة أبيات.

---

(١) ينظر: نزهة الجلساء: ٦١ نقلًا عن المغرب.

(٢) ينظر: نزهة الجلساء نقلًا عن المغرب: ٦١.

١٨.صفيّة[١] بنت عبد الله الربي [٢]:

أديبة شاعرة، موصوفة بحسن الخطّ، وهي شابّة كانت تجيد النظم، رقيقة الألفاظ، واضحة المعاني، ذات ثقة عالية، واعتداد بنفسها، هذه الشاعرة الرقيقة لم تعشْ طويلًا، فقد ودّعت الحياة وهي في عزّ الشباب، ودّعتها وهي تتألق بهجة، وحيوية، ونضارة، وذلك في آخر سنة ٤١٧هوعمرها لم يتجاوز الثلاثين[٣].

قال عنها الحميدي: ((ذكرها أبو عليّ بن أحمد، وأنشدني: قال: أنشدني أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن حرج لها.

وقد عابت امرأة خطّها، فأجابتها بثلاثة أبيات منها:

وعائبة خطّي فقلتُ لها اقصــري فسوف أريك الدرّ في نظم أسطري))[٤].

وأخبار هذه الشاعرة قليلة؛ وذلك لقلّة الأعوام التي عاشتها، فسكتت المصادر عن أخبارها وأشعارها، ويبدو أنّها أشتهرت بنسخ المخطوطات[٥]، لذا عابت امرأة خطّها، فأجابتها بتلك الأبيات التي لم يصل إلينا من شعرها سواها.

---

(١) تنظر ترجمتها في: جذوة المقتبس: ٣٨٨ ترجمة رقم (٩٨٢)، والصلة: ٣: ٩٩٣ رقم الترجمة (١٥٤٥)، وبغية المتلمس: ٢: ٧٢٩ ترجمة رقم (١٥٩٠)، ولب اللباب: ١٢١، ومعجم البلدان: ٢: ٨٩٢، والشعر النسوي: ٦٦، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٥٠، وأعلام النساء: ٢: ٣٤٠، وفي ظلال الأندلس، سلمى الحفار: ١١٧.

(٢) الربي: نسبة إلى (رية) وهي مدينة كبيرة وكورة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء. أنظر: لب اللباب: ١٢١، ومعجم البلدان: ٢: ٨٩٢.

(٣) الصلة: ٣: ٩٩٣.

(٤) الصلة: ٣: ٩٩٣.

(٥) في ظلال الأندلس: ١١٧.

و/ المتعففات المتظلمات:

١٩. حسّانة[١] التميمية:

وهي أوّل شاعرة أندلسيّة بالولادة حيث ولدت في مدينة (ألبيرة)، تعلّمت ودرست على يد أبيها الشاعر أبي الحسين الذي مدح الحكم الريضي، فنشأت نشأة الطهر والعفاف، وجمعت بين الشعر والأدب، وكانت أحسن نساء زمانها، وأفصحهن مقالًا.

فلمّا مات أبوها التجأت إلى الحكم بن هشام، فبعثت إليه قطعة شعرية تستعطفه، وتطلب منه أن يكون عونًا وناصرًا لها، ومادحة إيّاه بأبيات هذا مطلعها[٢]:

إنّي إليك أبا العاصي موجعة ... أبا الحسين سقته الواكف الديم

---

(١) تنظرترجمتها في: النفح: ٥: ٢٩٩ – ٣٠١، وشاعرات العرب: ٧٠، وأعلام النساء: ١: ٢١٦، وفصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة عليّ الأوسي: ١١٣، والشعر الأندلسي: ٣١، والشعر النسوي: ٤٧، ومجلة دعوة الحقّ المغربية العدد:٢ لسنة ١٣٨٨هـ(بحث للمستشرق الأسباني إلياس تيرس)، وتاريخ الفكر الأندلسي: ٥، ٥٧، ٥٨، والأدب الأندلسي: ١٢١ – ١٢٦، ومعجم النساء الشاعرات: ٥٤، واتجاهات الشعر الأندلسي، نافع محمود: ٦٤، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل: ١٠٧ – ١٠٩، وفي الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي: ٩٧، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢١٣، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٤٣ – ١٤٤، والدر المنثور: ١٦٤، وملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق: ٥٧ – ٥٩، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ٤: ٩٧.

(٢) النفح: ٥: ٢٩٩.

واستطاعت حسّانة أن تنفذ إلى قلب الحكم بأسلوبها الأنثوي، وعباراتها البسيطة، وتحصل على عطاياه، فأمر عامله على مدينة (البيرة) المدعو (جابر بن لبيد) أن يكرمها، ويحسن إليها.

وعندما توفّي الحكم نكث عامل البيرة العهد، ولم يحرر لحسّانة أملاكها، ولم ينفذ ما خطّته أنامل الحكم، فاضطرت إلى اللجوء للأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط بن الحكم، فأنشدته من شعرها بعض الأبيات تشكو ظلم عامل بلدتها مطلعها[1]:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحط تصلّى بنار الهواجر [2]

وعندما انتهت من إنشاد أبياتها سلّمت للأمير خطّ والده، فأخذه، ووضعه على عينيه، ثمّ قال: تعدى ابن لبيد طوره حتّى رام نقض رأي الحكم، وحسبنا أن نسلك سبيله بعده، ونحفظ بعد موته عهده، وقال لشاعرتنا: انصرفي يا حسّانة فقد عزلته لكِ، ووقّع لها بمثل أبيه، وأمر لها بجائزة، فانصرفت إلى بيتها، ثمّ بعثت إليه بقصيدة مدح وشكر.

واضح ممّا تقدّم أنّ حسّانة عاصرت الحكم وابنه عبد الرحمن، فقد عاشت في العقد الأخير من القرن الثاني ومطلع القرن الثالث للهجرة.

أمّا أشعارها فكانت خليطًا من المدح، والرثاء، والشكوى الحارّة الملتهبة، والاستصراخ والإستنجاد، ففي شعرها نضج فني وأصالة تنمّ عن ثقافة عربية

---

(١) نفح الطيب: ٥: ٣٠٠ – ٣٠١.

(٢) شحط: البعد.

أصيلة، ومن خلال مقدرتها الشعرية استطاعت أن تحصل على كلّ ما تريد، وتدفع عنها الظلم بكلماتها المعبرة عن حاجة المرأة لمن يحميها، فكان شعرها سلاحًا ماضيًا في صدور أعدائها، ومؤثرًا على قلوب الحاكمين، فأثبتت من خلاله جدارتها الفنيّة.

وقد وصل إلينا من شعرها ستّة عشر بيتًا موزعة على ثلاث مقطوعات.

٢٠. أسماء[١] العامرية:

وهي شاعرة، أديبة، فصيحة، أريبة، طريفة، لطيفة، عذبة المنطق، سلسة الألفاظ، لها أشعار جميلة ذات معان شيّقة، وقصائد مطولة تمدح فيها خلفاء عصرها، وهي من مدينة (إشبيلية) الجميلة المشهورة بنهرها، وقد تميّز أهل هذا النهر بخفّة الروح والطباع.

وكانت أسماء ناثرة أيضًا نثرها جميل منسجم، لطيف العبارة، ومنه الرسالة التي أرسلتها إلى عبد المؤمن بن عليّ تعرّفه بنسبها العامري، وتسأله أن يرفع الضريبة عن دارها، والمصادرة عن أموالها، وفي آخر الرسالة كتبت قصيدة تمدحه فيها أوّلها[٢]:

عرفنا النصر والفتح المبينا لسيّدنا أمير المؤمنينا

---

(١) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٤: ٢٢٨، والدر المنثور: ٤٠، ومعجم النساء الشاعرات: ١٥، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٢٩ – ٢٣٠، والشعر النسوي: ١١١، وتاريخ آداب العرب للرافعي: ٣: ٣٠٢، وصور من الأدب الأندلسي: ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢) نفح الطيب: ٤: ٢٢٨، والشعر النسوي: ١١١، والدر المنثور: ٤٠.

ولمّا اطّلع على رسالتها وقصيدتها أجاب طلبها في جميع ما سألته عنه، ورفع الظلم عنها.

وهي من شواعر القرن السادس الهجري؛ لأنّها عاصرت عبد المؤمن بن عليّ ملك الموحدين، وكلّ ما وصل إلينا من أشعارها ثلاثة أبيات فقط.

٢١. الشلبيّة[١] الأندلسيّة:

هكذا عرفت هذه الشاعرة باسم بلدتها (شِلِب)[٢]، وكانت شاعرة، رقيقة، أديبة، فاضلة، ناثرة بارعة، ذاع صيتها بالأندلس ونواحيها حتّى أنّها كانت تجالس الملوك، وتناظر الشعراء، ولها جملة قصائد ومقطّعات، ولكنها لم تجمع بديوان.

ومن شعرها ما كتبته إلى يعقوب المنصور[٣]، صاحب غرناطة تتظلم فيه من عامل بلدتها، وألقت بأبياتها وشكواها على مصلّى المنصور يوم الجمعة، فلمّا قضى صلاته، فضّها وقرأها فإذا فيها بعض الأبيات هذا مطلعها[٤]:

---

(١) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٤: ٢٩٤، والدر المنثور: ٢٥٦، والشعر النسوي: ١١٨، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٣٢ – ٢٣٣، وشاعرات العرب، عبد البديع صقر: ١٨٣، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣٥ – ١٣٦، ومعجم الشاعرات: ١٣٨.

(٢) شِلِب: بكسر الشين واللام وأخره باء موحدة هكذا أهل الأندلس يتلفظون بها، وقد وجد بخطّ بعض الأدباء (شَلب مفتوحة الشين، وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين (باجة) ثلاثة أيّام وهي غربي قرطبة. معجم البلدان: ٣: ١٥٧.

(٣) حكم يعقوب المنصور بين سنتي ٥٩٥هـ ٦٠٩هـ. تنظر أعمال الأعلام: ٢٦٩ – ٢٧٠

(٤) النفح: ٤: ٢٩٤، والدر المنثور: ٢٥٦، والشعر النسوي: ١١٨.



قـد آن أنْ تبكـي العيون الأبيّـة ولقـد أرى أنّ الحجـارة بـاكيـة

وبعد أن قرأها السلطان يعقوب المنصور بحث عن القضية فوقف على حقيقتها، فأنصف الشاعرة بعدله، ووصلها بجزيل عطائه، ولمّا كانت هذه الشلبيّة قد عاصرت السلطان يعقوب المنصور أصبح بإمكاننا تحديد مدّة حياتها، فقد عاشت نهاية القرن السادس الهجري وبداية السابع الهجري؛ وذلك لتعذر معرفتنا بسنة ولادتها ووفاتها.

وإنّ هذه الشاعرة لم تستطع تحمل الظلم والاستبداد من قبل حكّام بلدتها، وصاحب خراجها، فرفعت صوتها تشكو ظلمهم وتعسفهم بكلّ جرأة إلى أنّ وصل صوتها إلى السلطان فجاء ردّه بعزلهم.

وكم تميننا أن نعثر على المزيد من أخبارها وأشعارها، ففي شعرها الجزالة والسلاسة، ولها شخصية قويّة جريئة غير ماجنة، ولا متخاذلة، فليس من السهل على الإنسان لاسيّما المرأة أن يشكو حكام بلده دونما شجاعة وصراحة وعلو همّة.

وكلّ ذلك كان لديها ممّا دفعها إلى الوصول إلى مصلّى السلطان الموحدي، وبين الجموع الكبيرة المحتشدة لتضع شكواها وأبياتها عليه.

ز/ المتعففات بنات القضاة:

٢٢/ أمّ الهناء[١] بنت القاضي أبي محمّد عبد الحقّ:

أوردها المقري من غير أن يذكر اسمًا لها، بينما أكّد ابن عبد الملك[٢] بأنّ اسمها (أمة الرحمن)، وكنيتها (أمّ هاني) معتمدًا في ذلك على ما وجده في تأليف لها في الأدعية وقف عليه بنفسه[٣].

وقد درست أمة الرحمن عن أبيها، فكانت مثال المرأة المثقفة، وتميّزت بحضور البديهة، ورجاحة العقل، وسرعة التمثيل.

ألّفت كتابًا في موضوع القبور، وآخر في الأدعية، واتّسمت أمّ الهناء بكونها من أهل العلم، والفهم، والعقل، وكان والدها يلقّب بالشيخ الإمام[٤]؛ ذلك لأنّه كان من العلماء الأفاضل، وكان شديد التعلق بوطنه (قرطبة) حتّى أنّه عُيِّن قاضيًا لمدينة (المُريّة) أنشد يودّعها[٥]:

---

(١) تنظر ترجمتها في: الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي القسم المخطوط ج٢ ترجمة (٢٠٠٠)، والنفح: ٦: ٢٨و ٤: ٢٩٢، والشعر النسوي: ١٤١، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٣٠ – ٢٣٢، والتجديد في الأدب الأندلسي، د. باقر سماكة: ١٣٧.

(٢) ابن عبد الملك: هو محمّد بن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ) وصاحب كتاب: (الذيل والتكملة الموصول والصلة) نشأ في مراكش، وتوفّي في تلمسان، وتولّى القضاء، ثمّ رحل إلى الأندلس.

(٣) ينظر: الشعر النسوي: ١٤١.

(٤) النفح: ٢: ١٤٦.

(٥) النفح: ٢: ١٤٦، والأدب الأندلسي: ٢٣١.

أســـتـودع الله أهـل قـرطـبـة حيـث وجـدت الحيـاء والكرمـا
والـجـامـع الأعظـم الـعتـيـق ولا زال مـدى الـدهر مـأمنًـا حرمـا

وعندما دخل داره كانت عيناه تذرفان الدموع من جرّاء مفارقة وطنه قرطبة، فتلاحظ أمّ الهناء الدمع يترقرق في عين أبيها الشيخ العالم الورع القاضي، فتنشد على سبيل التأسي[1]:

يـا عين صـــار الدمع عندك عادة تـبـكـيـن فـي فـرح وفـي أحـزان

وهذا البيت من جملة أبيات رقيقة قالتها في الغزل؛ لأنّها عفيفة، بعيدة عن الفحش والمجون، وهذا يعود إلى الثقافة الدينية التي أخذتها عن والدها القاضي ابن عطية، والأبيات هي[2]:

جـاء الكتـاب من الحبيـب بـأنّـه ســيزورني فـاســتعبرت أجفـاني
غلـب الســرور عليّ حتّى أنّـه من عظم فرط مســرتي أبكـاني
يـا عين صـــار الدمع عندك عادة تـبـكـيـن فـي فـرح وأحـزان
فـاســتقبلي بـالبشـــر يوم لقـائـه ودعي الـدموع لليلـة الـهجران

وهي من شعراء القرن السادس الهجري، ولم يصل إلينا من أشعارها سوى الأبيات الأربعة الآنفة الذكر.

---

(١) الشعر النسوي: ١٤١، والأدب الأندلسي: ٢٣١.
(٢) النفح:٦: ٢٨، والأدب الأندلسي: ٢٣٢.

ح/ المتعففات المعارضات:

٢٣. الغسانيّة[١] البجانية:

ذكر بعض الباحثين القدامى ومنهم ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) أنّ هذه الشاعرة ليس لها اسم، وقال: ذكرها الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ولم يذكر اسمها[٢]، وتبعه جملة من الباحثين المحدثين، ومنهم د. مصطفى الشكعة[٣]، ومحمّد الريسوني[٤]، وزينب الفواز [٥]، وغيرهم.

أمّا سلمى سلمان[٦]، فقد قالت أنّ اسمها (الغسانيّة) ولقبها (البجانية) نسبة إلى بجانة [٧]، ولكنها لم تستند إلى دليل قاطع؛ لذلك يتعذر علينا الأخذ برأيها.

---

(١) تنظر ترجمتها في: جذوة المقتبس: ٣٣٨ ترجمة رقم (٩٨٥)، والصلة: ٣: ٩٩٥ – ٩٩٦ ترجمة رقم (١٥٥٠)، وبغية المتلمس: ٢: ٧٣٠ ترجمة رقم (١٥٩٢)، والمغرب: ٢: ١٩٢، ونزهة الجلساء: ٩٣، والنفح: ٤: ١٧٠ – ١٧١، وفي الأدب الأندلسي، جودت الركابي: ٩٧، والشعر النسوي: ٦٢ – ٦٣، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٤٠ – ٢٤٢، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٤ – ١٤٥، والدر المنثور: ٣٥٦، وأعلام النساء: ٤: ١٠، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٤٣، والمعارضات في الشعر الأندلسي، دراسة نقدية موازنة، رسالة ماجستير يونس طركي سلوم البجاري: ٢٢٤– ٢٢٥ جامعة الموصل، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٦.

(٢) الصلة: ٢: ٩٩٦.

(٣) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٤ ــ ١٤٥.

(٤) الشعر النسوي: ٦٢.

(٥) الدر المنثور: ٣٥٦.

(٦) المرأة في الشعر الأندلسي: ٢٤٠.

(٧) بجانة: وهي كورة عظيمة في الأندلس وتشتهر بأقليم المريّة.



لقد عاشت هذه الشاعرة عصرين: عصر الخلافة، وعصر ملوك الطوائف، أي أنّها من الشواعر المخضرمات، ودليلنا على ذلك أنّها مدحت (خيران العامري) المتوفّى سنة ٤١٩هـ، فقد سلمت أعوامًا من عمرها في القرن الرابع، وعاشت بقيّة عمرها في القرن الخامس الهجري.

واتّصفت هذه الشاعرة بالظرف، والأدب، والجمال، واللطف، والبهاء، والكمال، وكانت عالمة بالعروض وضروبه، والشعر وروايته[١].

وتعدّ الغسانيّة من الشواعر الموصوفات في الأندلس، وقد عارضت الشعراء، ومنهم ابن درّاج القسطلي بنونيتها التي لم يصل إلينا منها غير أبيات قليلة، وكان ابن درّاج (ت ٤٢١هـ) قد مدح خيران العامري بقصيدة يقول فيها[٢]:

لـك الخير قـد أوفى بعهدك خيران وبشـــراك قـد آواك عزّ وســـلطـان

هو النجم لا يرعى إلى الصبح شاهد هو الفوز لا يبغي على الشمس برهان

فعارضت الغسانيّة هذه القصيدة بقصيدة هذا مطلعها[٣]:

أتجزع إن قـالوا ســـترحل أظعان؟ وكيف تطيق الصبر ويحك إذ بانوا؟!

ولدى الموازنة بين النصّين وجدنا اتّفاقًا في الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع، ولكن قصيدة ابن درّاج كانت بنفس طويل جدًا، فقد بلغت ثمانين بيتًا، وهي مطوّلة من مطولاته.

---

(١) الدر المنثور: ٣٥٦.

(٢) ديوان ابن درّاج القسطلي: ٨٦.

(٣) المعارضات في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير): ٢٢٤.

أمّا قصيدة الغسانيّة فلم يصل إلينا منها سوى ستّة أبيات كما أوردها الحميدي في الجذوة[1]، وقد تكون قصيدتها بالطول نفسه أو أقلّ منها بقليل؛ لذلك لا نستطيع الحكم عليها.

ويقال: إنّ لها قصائد أخرى، وأشعار غير التي ذكرناها[2]، ومن المحتمل أن تكون قد ضاعت مع ما ضاع من الأدب النسوي المهضوم الحقّ، فأين المؤرخون؟! وأين الباحثون؟! من ثروة شعرية عظيمة كهذه، فالذي وصل إلينا من شعرها ينمّ عن قوّة شاعريتها، وتمكنها من النظم، فقد كانت على درجة كبيرة من الثقافة.

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٩.

(٢) ينظر: الدر المنثور: ٣٥٦.

ط/ الشواعر الظريفات:

٢٤. زوجة قاضي[١] لوشة:

اتّصفت هذه الزوجة الشاعرة بالملاحة النادرة، والانطباع الزائد، والفكاهة الحلوة، كما أنّها فاقت العلماء في معرفة الأحكام والنوازل[٢]، وكانت قبل أن يتزوّجها قاضي (لوشة) ذُكِرَ له وصفها فتزوّجها.

وكان في مجلس قضائه تنزل من النوازل، فيقوم إليها فتشير عليه بما يحكم به، فكتب إليه بعض أصحابه مداعبًا بقوله[٣]:

بلوشة قاضٍ له زوجة وأحكامها في الورى ماضية
فياليته لم يكن قاضيًا وياليتها كانت القاضية

فأطلعَ زوجته عليه، وحين قرأته قالت: ناولني القلم، فناولها، فكتبت بديهة[٤]:

هو شيخ سوء مُزدري له ثيوب عاصية
كلّا لئن لَمْ ينته لنسفعًا بالناصية

واضح أنّ هذه المرأة أقتبست من القرآن الكريم ووشحت أشعارها بكلماته العطرة.

---

(١) تنظر ترجمتها في: النفح: ٤: ٢٩٤ – ٢٩٥، وأدب الفكاهة الأندلسي، د. حسين خربوش: ٥١ – ٥٢.

(٢) النوازل: جمع نازلة، وهي المسائل القضائية، ويقابلها الفتاوى عند المشارقة.

(٣) النفح: ٤: ٢٩٤ – ٢٩٥، وأدب الفكاهة: ٥١.

(٤) المصدرين السابقين والصفحات ذاتها.

ي/ الشواعر الماجنات:

٢٥. مهجة[١] بنت التياني القرطبيّة:

شاعرة جميلة الخلقة، عذبة الحديث، ناعمة الروح، تهافتت على الملذات، واندفعت إلى الشهوة تحركها رغبة إلى التبذل، فهي شاعرة ماجنة مغرورة بجمالها، عاشت في القرن الخامس الهجري، وكانت معاصرة لأستاذتها ولّادة[٢] تنتمي إلى عائلة فقيرة، فكان والدها يبيع التين[٣] فنسبت إليه، وأكتسبت لقبها من مهنته، فعرفت بمهجة التياني.

وكانت من أجمل نساء زمانها، وأخفهن روحًا، فأعجبت ولّادة بظرفها، ورقّة شعرها، وجمال محيّاها، فعلقت بها، ولزمت تأديبها، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بينهما، فتصدّت مهجة لهجاء أستاذتها ببيتين من الشعر أولاهما[٤]:

ولّادة قد صرتِ ولّادة بغير بعل فضح الكاتم

---

(١) تنظر ترجمتها في: المغرب: ١: ١٤٣، ونزهة الجلساء: ٨١ – ٨٢، والنفح: ٢: ٦٣٣، والأعلام: ٨: ٢٥٤، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٤٣، وتاريخ الأدب الأندلسي، د. إحسان عبّاس: ١٣٩، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣١، والشعر النسوي: ٨٨ – ٨٩، والدر المنثور: ٥١٣، وأعلام النساء: ٣: ١٥٠٤، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٥١ – ٢٥٣، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢١٣ – ٢١٥.

(٢) ينظر: المغرب: ١: ١٤٣ نقلًا عن المسهب.

(٣) نزهة الجلساء: ٨١.

(٤) المغرب: ١: ١٤٣.

وسنذكر البيتين في موضوع الهجاء، وعلى إثر قولها البيتين السابقين أمر لها نقّاد زمانها بالتقدّم.

ويبدو أنّ مهجة كانت مكثرة على قول صاحبة الدر المنثور: ((ولها أشعار كثيرة لم نشأ جمعها، واقتصرنا منها على هذا المقدرا))[1]، ولكن ما دوّن من أشعارها قليل.

ومهجة شاعرة - كما ذكرنا - ماجنة، في شعرها خلاعة وفحش لاسيّما في معاني الهجاء التي طرقتها، فقد كانت فيه أكثر فحشًا من الرجل، ففي الوقت الذي يفترض فيه أن تتحلى المرأة بالحياء، والرجل بالجرأة حدث العكس من ذلك، فقد وجدنا مهجة أكثر جرأة في شعرها، ليس في الهجاء فحسب، وإنّما حتّى في الأغراض الأخرى، فقد أستعملت الألفاظ البذيئة الفاحشة حينما أهدى إليها واحد من أصدقائها هديّة من الخوخ، فما كان منها إلّا أن تبدأ بداية حسنة لكي تشكره، ثمّ تخرج عن الموضوع بكلمات سخف، وفحش، ومجون.

هذه هي مهجة التي فاقت أستاذتها بهجائها المقذع، ولسانها السليط، فلماذا لم يصدروا عليها أحكامًا جائرة كما أصدروها على ولّادة؟!.

فنحن لم نجد لها شعرًا بريئًا خاليًا من المجون في حين أنّ شعر ولّادة كانت فيه فحولة وجزالة، ولم يكن كلّه هجاء مقذعًا فاحشًا.

---

(١) الدر المنثور: ٥١٣.

أمّا عدد الأبيات التي وصلت إلينا من شعرها فكانت ستّة أبيات فقط موزعة بين مدح، وهجاء، وشكر.

وتوفّيت سنة ٤٩٠هـ[١]، فهي من شواعر القرن الخامس الهجري.

٢٦. نزهون[٢] بنت القلاعي الغرناطيّة:

واسم (نزهون) اسم أندلسي خالص، فقد عمد الأندلسيون إلى التسمية على هذا الوزن لأبنائهم من ذكور وإناث، فسمّوا (نزهون) بين النساء، وسمّوا زيدون، وعبدون، ووهبون، وحمدون بين الرجال[٣].

---

(١) الأعلام: ٨: ٢٥٤.

(٢) تنظر ترجمتها في: بغية المتلمس: ٢: ٧٣٢، والمقتضب لابن الأبّار: ٢١٦ – ٢١٧، والمغرب لابن سعيد: ٢: ١٢١، ورايات المبرزين: ٩١ – ٩٢، والإحاطة: مج١: ٤٣٤، ونزهة الجلساء: ٨٤، والنفح: ٥: ٣١، نقلًا عن المسهب، تحفة القادم نشرها (الفريد البستاني) مجلة المشرق السنة الحادية والأربعون/ ٤/ ت١، ك١: ٥٨٣ – ٥٨٤ لسنة ١٩٤٧، والحلل السندسيّة لشكيب أرسلان: ١: ٢١٤، وشاعرات العرب: ٤٤٨، وفي الأدب الأندلسي: ١١٥– ١١٦، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢٢ – ٢٢٣، والأعلام: ٨: ٣٣٢، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٥٠ – ٢٥١، والشعر النسوي: ٩٠ وما بعدها، والدر المنثور: ٥١٩ – ٥٢٠، وأعلام النساء: ٣: ٥٤٨، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٥٨، ومختارات من الشعر الأندلسي: ١٨٠ – ١٩١، وقصّة الأدب في الأندلس: ١: ٤٢٢، ومجلة علوم إسلامية: ١ – ٦، مجلد (١) لسنة ١٩٦٠م بحث نشره ناكتر س.م استون، موشحة لنزهون، تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ٥٨٣، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٦ – ١٦٦، وأدب الفكاهة الأندلسي: ٣٨ و٥١، ودراسات أندلسيّة، سامي أحمد الموصلي: ٣٦، وتاريخ الفكر الأندلسي: ١٢٥ و١٦٥، والمرأة العربية: ٣: ١٣٤، والمنهل في الأدب العربي: ١٧٠، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢١ – ١٢٢ وديوان الموشحات الأندلسيّة، تحقيق: السيّد غازي: مج١: ٥٥١ موشحة نزهون.

(٣) أنظر: الأدب الأندلسي: ١٥٦.

وكانت نزهون شاعرة ماجنة مرحة، حلوة الحديث، لطيفة المحاضرة، طبعها ندي، ونفسها شفافة، وصفها الحجاري في المسهب بخفّة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال مع جمال فائق، وحسن رائق[1].

كما اتّسمت بالمجون وكثرة النوادر[2]، وأعجبت زينب فوّاز بهذه الشاعرة فوصفتها بما نصّه: ((جوهرة لم يسمح بمثلها الدهر، وفريدة فاقت على نساء العصر، فما الآداب إلّا نقطة من بحرها الرائق، وما الجمال إلّا من نور وجهها الشارق، لها ناد لم يؤمّه إلّا الأفاضل، ومجلس لم يجتمع فيه إلّا كلّ عاقل، وكانت لطيفة المسامرة، حسنة المحاضرة، حافظة لأشعار العرب وأمثالها، ولم يكن لغرناطة إذ ذاك أحد من أمثالها)) [3].

وقد حازت هذه الشاعرة على لقب (شاعرة غرناطة) لما أبدته من تفوق في الحياة الأدبية، فلها مطارحات، ومساجلات، ومهاجاة مع كبار شعراء الأندلس وأعيانها أمثال الوزير أبي بكر سعيد، والأعمى المخزومي الهجّاء الذي كان يلقّب بـ(بشّار الأندلس)، وابن قزمان الشاعر الزجّال المشهور.

---

(١) النفح: ٥: ٣١ نقلًا عن المسهب.

(٢) المغرب: ٢: ١٢١.

(٣) الدر المنثور: ٥١٩.

وكانت تربطها معهم علاقة المودّة، والمزاح، والهجاء المصحوب بالفكاهة، فلم تكن نزهون صاحبة (روح عدوانية) كما وصفها د. مصطفى الشكعة[١]، لا بل اتّصفت بكلّ معاني الظرف والدعابة والمجون[٢]، فما وجه العداوة بين نزهون وشاعر أعمى؟!

وعلى أيّة حال فنزهون شاعرة وشّاحة صادحة[٣] من حرائر الأندلس، عمّرت طويلًا فقد كانت من الشواعر المخضرمات بين القرن الخامس والسادس الهجريين، فكانت وفاتها سنة ٥٥٠هـ[٤].

ومن الباحثين من ذهب إلى أنّ الرواة والنقّاد اتّفقوا على شاعريتها، واختلفوا في صفتها ومنهم د. الشكعة[٥]، والست سلمى سلمان[٦].

والحقّ أنّهم لم يختلفوا في صفتها، ففي رأينا أنّ هذه الشاعرة جمعت بين المجون والنوادر من جهة، وخفّة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة من جهة أخرى.

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٥٦ - ١٦٦.
(٢) المجون لغة: خلط الجد بالهزل، وصلافة الوجه، وقلّة الاستحياء، وعدم مبالاة الإنسان بما يصتع أو يقول، والمجون كفن من فنون الأدب شاع بعد أن رقت الحضارة، وانتشر العمران، وقلّت الضوابط في المجتمع، ومن شعر المجون ما كان مشوبًا بالهزل، ويكون هزلًا صرفً لا جد فيه، وما يكون سخرية تثير الضحك. ينظر: الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق: ٢٥٥.
(٣) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ١٣٤.
(٤) الأعلام: ٨: ٣٣٢.
(٥) الأدب الأندلسي: ١٥٧.
(٦) المرأة في الشعر الأندلسي: ٢٦٠



ولرقّة طبع هذه الشاعرة، وخفّة ظلّها عشقها الكثيرون، وأولعوا بمحادثتها ومراسلتها، فكان أبو بكر بن سعيد الوزير من الذين شغفوا بها، وقد كتب لها يومًا يقول:

يـا مـن لـهـا خـل مـن عـاشـق وصـديـق
أراك خـلـيـت لـلـنـا س مـنـزلًا فـي الـطـريـق

فأجابته برسالة فيها[1]:

حـلـلـت أبـا بـكـر خـلًا مـنـعـتـه سواك وهل غير الحبيب له صدري؟

وقال فيها المخزومي أستاذها[2](هجاء ممزوجًا بالظرف):

على وجه نزهون من الحسن مسحة وإن كان قد أضحى من الصون عاريا
قواصـد نزهون توارك غيرهـا ومن قصـد البحر أسـتقل السـواقيا

فقالت: تردُ هليه بأبيات هذا أوّلها:

إن مـا قـلـت حـقًّـا مـن نـقـض عـهـد كـريـم

ولها مهاترات ونوادر نثرية كتلك التي قالتها في الشاعر الزجّال ابن قزمان حينما جاء ليناظرها، وكان يرتدي (غفارة) صفراء وهي زي الفقهاء يومئذ، وعندما لمحته نزهون قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف: ((إنّك اليوم كبقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها، ولكنّك لا تسرّ الناظرين، فضحك

(١) المقتضب: ٢١٦.
(٢) المقتضب: ٢١٧.

الجميع ممن حضر، وثار ابن قزمان وغضب فأخذ يسبّ، واندفع الحاضرون إليه، وطرحوه في بركة أمام البستان))[1].

ولنزهون موشحة رقيقة في الغزل من خمسة أقفال، ولها مقطوعات شعرية في الهجاء، والفخر، والوصف بلغ عدد أبياتها واحد وعشرين بيتًا.

هذه هي نزهون أشهر شواعر الأندلس في القرن السادس الهجري.

(١) ينظر الشعر النسوي: ٩٣، والدر المنثور: ٥١٩ – ٥٢٠.

ك/ الشواعر المقلات:

٢٧. ابنة فايز[١] القرطبي:

شاعرة أشتهرت بولعها بالعلم والأدب، أخذت عن أبيها فايز علم التفسير، واللغة، والنحو، والشعر، وأخذت عن زوجها أبي عبد الله بن عتاب علوم الفقه.

أرادت أن تأخذ عن أبي عمرو الداني، ولكنها وجدته مريضًا فلم تتقاعس، فذهبت إلى أبي داود المقري أحد أصحابه، وقرأت عليه القراءات السبع وجوّدتها بعد وصوله إلى بلنسية، وذلك في آخر سنة ٤٤٤هـ، ثمّ حجّت، وتوفّيت قافلة بمصر سنة ٤٤٦هـ.

أمّا بخصوص شعرها فلم يصل إلينا منه شيء، وقد يكون ضاع كغيره من الشعر الأندلسي، وقد يكون لقلّته لم يحظ باهتمام المؤرخين، فواضح أنّ اهتمامها كان نحو القراءات، وعلم التفسير، واللغة، والنحو أوفر من الشعر.

٢٨. أمّ العز[٢] بنت أحمد بن عليّ بن هذيل:

عرفت أمّ العز هذه بكنيتها ولم تعرف باسمها، تفوقت بحفظها واستظهارها للأشعار، كما أخذت قراءة نافع عن أمّ معفر زوجة الأمير محمّد بن سعد، وتوفّيت بمدينة (شاطبة) ٦٣٦هـ، ولم نرَ شعرًا في المصادر التي رجعنا إليها.

---

(١) ينظر: التكملة: ٢: ٧٤٦ ترجمة رقم (٢١١٨)، والذيل والتكملة: ٤٩٤/٢/٨، والشعر النسوي: ١٣٩، وأعلام النساء: ٤: ١٥٦.

(٢) تنظر: التكملة: ٢: ٧٤٨ ترجمة رقم (٢١٢٧)، والشعر النسوي: ١٤٣ ــ ١٤٤.



٢٩. ورقـاء[١]:

وهي بنت ينتان الأمازيغية، الحاجة من أهل طليطلة، سكنت مدينة فاس، وكانت أديبة، شاعرة، صالحة، حافظة للقرآن، بارعة الخطّ، وتوفّيت بعد سنة (٥٤٠هـ)، ذكرها أبو العبّاس بن فرتون في كتاب الذيل لتاريخ ابن بشكوال، وقال: كانت في دار جد أبي لأمّه، ولم يصل إلينا شيء من أشعارها.رغم تميز قصائدها بالتنوع والغنى في الموضوعات، حيث تناولت قضايا الحبّ والطبيعة الى جانب قصائد ذات طابع ديني وأخلاقي تعبرفيها عن قيّمها الإسلامية ومبادئها.

ل/ الشواعر الأمّيات:

٣٠. البلشيّة[٢]:

البلشية منسوبة إلى (بلش) [٣]، شاعرة أميّة لم تسنح لها فرصة التعليم، ومن شعرها وهي بكر في دار أبيها:

لـــي حـــبـــيـــب خـــدّه كـالورد حســـنًـا في بيـاض
هـو بـيـن الـنـاس غضـــبـا ن وفـــي الـــخـــلـــوة راض
فمتى ينتصـــف المظـــــــــ ـــــــلوم والظـالـم قـاضـــي

(١) ينظر: التكملة، بتحقيق: د. منجد مصطفى بهجت ترجمة رقم (٥٠)، وينظر: الذيل والتكملة: ٤٩٠/٢/٨، وأعلام النساء: ٥: ٢٨٤.

(٢) تنظر ترجمتها في: بغية المتلمس: ٢: ٧٣١، من المكتبة الأندلسيّة ترجمة رقم (١٥٩٣) تحقيق: إبراهيم الإبياري.

(٣) بلّش: بالفتح والتشديد والشين المعجمة: بلد بالأندلس. ينظر: معجم البلدان: ١: ٧٢٠.

تفرّد في ذكرها الضبي، وقال: أنشدني بعض أصحابنا من شعرها وذكر الأبيات الثلاثة السابقة، ثمّ قال: وأنشدني من شعرها قطعة أخرى لا أذكرها الآن.

ومعنى ذلك أنّ هذه الشاعرة الأميّة كان لها مقطوعات شعرية أخرى، ولكن أين هي؟! فلم نعثر عليها، ولعلّ الزمن كفيل بإظهارها.

أمّا سنة ولادتها، وسنة وفاتها فلا نعلمها، ولكن واضح من ذكر الضبي لها أنّها قريبة العهد به، أو سبقته، فقد توفّي سنة ٥٩٩هـ، فهي في تقديرنا من شواعر القرن السادس الهجري.

م/ الجواري والقيان:

٣١.العجفاء[١]:

من الجواري المغنيات الوافدات إلى بلاد الأندلس، كانت تتقن الغناء، والشعر الوجداني، ولها صوت غرد، جلبت إليها الأسماع، ومالت إليها القلوب، فكانت من أحسن الناس غناء.

ولها قصّة طريفة تصوّر مدى إعجاب الأندلسيين بها نصّها[٢]:

قال الأرقمي: قال لي أبو السائب، وكان من أهل الفضل والنسك: هل لك في أحسن الناس غناء؟ فجئنا إلى دار مسلم بن يحي مولى بني زهرة فأذن لنا، فدخلنا بيتًا عرضه اثنا عشر ذراعًا، وفي البيت نمرقتان قد ذهب عنهما اللحمة، وبقي السدى، وقد حشيتا بالليف، وكرسيان قد تفككا من قدمهما، ثمّ أطلعت علينا عجفاء كلفاء عليها هروي[٣]، أصفر غسيل وكأن وركيها في

---

(١) تنظر ترجمتها في: النفح: ٤: ١٣٧ – ١٣٩، أعلام النساء: ٣: ٢٥٥ – ٢٥٧، والدر المنثور: ٣٣٠، والشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه: ٣٢، وفصول في الأدب الأندلسي: ٦٤، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٣: ٦٠ – ٦٢، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢١٦، ومجلة الأبحاث، العدد ١٦ أذار سنة ١٩٦٣م: ٤، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١١٩ – ١٢١، ومعجم النساء الشاعرات: ١٧٨ – ١٧٩، وتاريخ الأدب العربي عصر سيادة قرطبة: ٥٣، وصور من الأدب الأندلسي: ٨٩ – ٩١.

(٢) ينظر: نفح الطيب: ٤: ١٣٧ – ١٣٩، وبقية المصادر.

(٣) هروي: نوع خشن من الثياب يجلب من هراة إحدى مدن خراسان (أفغانستان) حاليًا.



خيط من وسخها، فقلتُ لأبي السائب: بأبي أنت ما هذه؟ فقال: اسكت، فتناولت عودًا، فغنّت (بعض الأبيات وهي):

بيد الذي شغف الفؤاد بكم ... فتزيح ما ألقى من الهم
فاستبقني إن قد كلفت بكم ... ثمّ أفعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا ... فجعلت قبل الموت بالصرم

قال: فتحسنت في عيني، وبدا ما أذهب الكلف عنها، وزحف أبو السائب فزحفتُ معه، ثمّ تغنّت (بأبيات منها):

برح الخفاء فأيّما بك تكتمُ ... ولسوف يظهرُ ما تسرّ فيعلمُ

فقال أبو السائب: وربت العجفاء في عينيكما يربو السويق بماء مزنة، ثمّ انتقلت العجفاء على عودها إلى لحنٍ آخر وشعرٍ آخر، فجعلت كلّا من الأرقمي وأبي السائب يفقدان صوابهما، ويجولان في البيت.

وحمل أبو السائب ما وقع عليه بصره من قوارير الزيت، والدهن على رأسه، فاصطكت، وتكسرت، وسال الدهن عليه، وأخذ صاحب البيت يصيح -وكان ألثغ - قوانيني، قوانيني، أي قواريري، قواريري، فقال أبو السائب للعجفاء: لقد هيّجت لي داء قديمًا.

وسوف نذكر الشعر الذي غنّته العجفاء، وتسبب في هياج المشاعر والأحاسيس لديهما في مواضعه من الفصل الثالث.

وعندما سمع الخليفة عبد الرحمن الداخل بأدب هذه الجارية، وبراعتها في الغناء، بعث إلى صاحبها فاشتراها، وحملت إليه.

ومن المعروف أنّ وفاة الداخل كانت في سنة ١٧٢هـ، إذن نستطيع أن نقدّر المدّة التي عاشتها العجفاء، فهي من شواعر القرن الثاني الهجري.

أمّا مجموع ما وصل إلينا من أشعارها فكان تسعة أبيات.

٣٢. فضل وعلم المدنيتان[١]:

وهما من الجواري الوافدات إلى الأندلس، وأصل (فضل) جارية لإحدى بنات هارون الرشيد، نشأت وتعلّمت ببغداد، ثمّ ذهبت إلى المدينة المنورة، وتعلّمت الغناء هناك، فأصبحت حاذقة فيه، وتميّزت بكمال الخصال، وأشتريت للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتها (علم المدنيّة)، وكان الأمير يفضّلهما لجودة غنائهما، ونصاعة ظرفهما، ورقّة أدبهما.

وقد عرفت هؤلاء المدنيّات بشرف النفس، ونبل الخلق، وكمال الخلال، ولم يكن منهن ما في بنات الروم، والصقالبة، والجلالقة من خلابة ودعابة، فهن لا يصلحن لذلك، وفيهن السوداء، والحسناء، والعجفاء[٢]، فلم يجلبن إلّا للغناء والعزف، وقد حرر بعضهن وتزوجن، وأصبح بعضهن معلمات يعلمن الأندلسيات الأدب، ويروين لهن الشعر، ويلقنهن الغناء في حشمة ووقار.

---

(١) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٤: ١٣٦ - ١٣٧، وبحث الغناء والمغنين في مجلة الأبحاث، العدد: ١٦ لسنة ١٩٦٣م: ٤، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ٦٠، والمرأة في الشعر الأندلسي: ١٢٩، وفصول في الأدب الأندلسي: ٦٣، وتاريخ الفكر الأندلسي: ٥٤، وتاريخ الأدب الأندلسي: ٥٣، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٤٤.

(٢) المرأة في جاهليتها وإسلامها: ٢: ٦٠.

وعاشت فضل وصاحبتها علم في الأندلس في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

٣٣. قلم الأندلسيّة[١]:

وهي أندلسيّة الأصل، رومية من سبي (البشكنس)، وحملت صبية إلى المشرق، فوقعت بالمدينة المنورة، وتعلّمت هنالك الغناء، وأصبحت حاذقة فيه.

وكانت (قلم) أديبة من أديبات الأندلس، عالمة بضروب الأدب، حافظة للأخبار، حسنة الخطّ، راوية للشعر.

وعند رجوعها إلى الأندلس مع (فضل وعلم) المدنيتين، وضعت معهما في (دار المدنيات) [٢] الذي أبتناه عبد الرحمن الداخل في قرطبة للمغنيات الوافدات من المدينة المنورة.

وقد أشتريت هذه الجارية المغنية لعبد الرحمن الداخل، وكان الأمير يؤثرها لجودة غنائها، ونصاعة ظرفها، ورقّة أدبها.

وتكاد تنفرد قلم بكونها أندلسيّة الأصل، وبقية المغنيات من الوافدات عليها، أو ممن لا يعرف أصلهن.

---

(١) تنظر قائمة المصادر في ترجمة (فضل وعلم) الذي مرّ ذكرهما.

(٢) ينظر: نفح الطيب: ٤: ١٣٦.

٣٤. عزيز وبهجة أو (مهجة) وفاتن[١]:

وكن جوار للحكم أستخلصهن لنفسه، وملكن أمره، ويبدو أنّ هؤلاء الجواري كن من حظاياه.

وكان الحكم كثيرًا ما يقترح الشعر الذي تغني فيه الواحدة من جواريه؛ لأنّه هو نفسه كان شاعرًا، ويشجع الجواري على نظم الشعر.

فقد استدعى (عزيز) ذات يوم، وظلّ يقترح عليها وعلى سائر جواريه ما يغنينه طوال يومهن حتّى حلّ الليل، فقال لهن: هل فيكن من تنظم في هذا الشعر، فبدرت (عزيز) فقالت[٢]:

قد تقضى النهارُ إلّا بقايا ... من شعاع مخلق للأصيل

وأتانا الظلام من قبل الشـ ... ـرقِ فأهلًا منه بخير تشريل

دام هذا وذا بطول بقاء الـ ... ـحكم السيّد الفتى المؤمل

فأعجب الحكم بشعرها، ثمّ أمرها فصاغت فيه لحنًا، وغنّت فيه ليلتها كلّها، فلمّا أصبح الصباح أمر لها بعشرة آلاف درهم، وكارة جليلة من القماش، وزاد في قدر راتبها، ثمّ نقلها إلى خواص الحظايا، وأمّهات أولاده.

---

(١) ينظر: مجلة الأبحاث، العدد: ١٦ لسنة ١٩٦٣، بحث أخبار الغناء والمغنين في الأندلس: ٤ - ٥، نقلًا عن مسالك الأبصار: ١: ٣٦٩ مخطوطة آيا صوفيا رقم (٣٤٢٣)، وتاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ٥٣ - ٥٤.

(٢) الخبر والأبيات في: تاريخ الأدب الأندلسي: ٥٣، والبحث السابق: ٤ - ٥.

ولا نعلم أصل هؤلاء الجواري إن كن من المشرق أو من الناشئات بالأندلس، والذي نعرفه أنّهن معاصرات للحكم الذي دام حكمه من (١٨٠هـ-٢٠٦هـ) أي إنّهن من شواعر القرن الثاني الهجري.

٣٥. قمر البغدادية[١]:

جارية بغدادية وفدت على بلاد الأندلس مع من وفد عليها من النساء المشرقيات، بذل إبراهيم بن حجّاج اللخمي صاحب إشبيلية فيها أموالًا عظيمة ليشتريها ويقدّمها إلى الأندلس.

فازدرى بها نساء العرب، وكانت شاعرة، ومغنية، وعازفة، وهي مِن أهل الفصاحة، والبيان، والمعرفة بصوغ الألحان، وجمعت أدبًا، وظرفًا، ورواية، وحفظًا مع فهم بارع، وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها، ومن شعرها أنّها مدحت مولاها بأبيات تبين مدى فضله وكرمه عليها، أوّلها[٢]:

---

(١) تنظر ترجمتها في: التكملة لابن الأبّار (ت٦٥٨هـ): ج٨/ ص ٢٤٥، والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ): ٢: ١٩٤ – ١٩٥، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، ونفح الطيب: ٤: ١٣٧، وأعلام النساء: ٣: ١٢٩٨، والدر المنثور: ٤٥٢، ومجلة آداب الرافدين، العدد العاشر، آذار ١ جامعة الموصل: ١٩٨، وشاعرات العرب: ٣٢٦ – ٣٢٧، والشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه: ٣٢، وفصول في الأدب الأندلسي: ٦٤، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢١، وقضايا أندلسيّة، بدير متولي حميد: ٤٠، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢١٦، ٢١٩، ومجلة الأبحاث، العدد: ١٦، لسنة ١٩٦٣م: ١١، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٢٩ – ١٣٤، والشعر النسوي: ٥١ – ٥٢، ومعجم النساء الشاعرات: ٢١٥ – ٢١٦، وصور من الأدب الأندلسي: ٩٩ – ١٠١.

(٢) نفح الطيب: ٤: ١٣٧، والشعر النسوي: ٥١، والدر المنثور: ٤٥٢، وأعلام النساء: ٣: ١٢٩٨.

مـا في المغـارب من كريم يُرتجى إلّا حـلـيـفُ الـجـودِ إبـراهـيـمُ

وقد وصفها الريسوني بأنّها: ((جميلة الصورة، رقيقة الحاشية، ظريفة الحديث، مثقفة ذكيّة، أنقادت إليها الكلمة الشعرية الموحية بود، فعبّرت بها عن خفقة الفؤاد في صدق، وانصاعت لها ريشة العود بإخلاص، فصاغت منها ألحانًا تفيض رقّة وعذوبة))[1].

ووصفها ابن عذاري المراكشي بقوله: ((وكانت كالبدر المنير، ذات بيان وفصاحة، ومعرفة بالألحان والغناء))[2].

وعاشت (قمر) في إشبيلية في القرن الثالث الهجري، وأخذت نساء إشبيلية يتهامسن إذا مرّت، ويتغامزن إذا غنّت لما حظيت به من مكانة عالية، وما لقيت من حظوة واهتمام عند الجميع، فقالت لهن بعض الأبيات، أوّلها[3]:

قـالوا أتـت قمر في زي أطمـار من بعد مـا هتكت قلبًا بـأسـفـار

ولها مقطوعة أخرى تتشوق بها إلى وطنها (بغداد)، وسنذكرها في الفصل الثالث ضمن غرض الحنين إلى الوطن.

بقيت هذه المغنية لدى مولاها صاحب إشبيلية في عزٍّ وإقبال إلى أن ماتت، فأسف عليها أسفًا شديدًا، وكان عدد الأبيات الشعرية التي وصلت إلينا ثلاثة عشر بيتًا.

---

(١) الشعر النسوي: ٥١.

(٢) البيان المغرب: ٢: ١٩٤.

(٣) معجم النساء الشاعرات: ٢١٥.

٣٦. نزهة[١] الوهبية:

جارية الكاتب أبي عبد الله محمّد بن وهب الحميري كاتب الوزير أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن مسلمة[٢].

كانت أحد عجائب القيان بالأندلس، حذقًا وطبعًا، وحسنًا وظرفًا، تنشد الأشعار، وتورد الحكايات والأخبار، وتذكر أيّام العرب، وتشارك في حفظ الأمثال والنسب حتّى كأنّها من قيان المشرق المتقدّمات، ولم يصل إلينا من أشعارها شيء.

٣٧. منفعة[٣] جارية زرياب:

شاعرة مغنّية، ذات حسن وجمال، كانت لزرياب فأدّبها، وعلّمها أحسن أغانيه حتّى شبّت وغنّت بين يدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعض الأبيات بعد أن لاحظت إعجابه بها، فقالت[٤]:

---

(١) التكملة رقم الترجمة (٢١١٦)، والتكملة بتحقيق: منجد مصطفى بهجت برقم (١٧)، مجلة المورد، مج ١٩، ع الأول، السنة ١٩٩٠م، وأعلام النساء: ٥: ١٦٧..

(٢) أنظر ترجمته في الجذوة رقم (٥٣٩)، والبغية رقم (٨٩٠).

(٣) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٢: ٧٥٣ ضمن أخبار زرياب، وتاريخ الفكر الأندلسي: ٥٤، وأخبار الغناء والمغنين، مجلة الأبحاث، العدد: ١٦ لسنة ١٩٦٣م، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٤٢، والمرأة في الشعر الأندلسي: ١٢٩، وبللاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف: ٢٠ – ٢١، وفصول في الأدب الأندلسي: ٥٠، وتاريخ النقد في الأندلسن محمّد رضوان الداية: ٢٦، وتاريخ الأدب الأندلسي: ٥٦، وأعلام النساء: ٣: ١٥٠٠، وقضايا أندلسيّة: ٣٩.

(٤) معجم النساء الشاعرات: ٢٤٢، أعلام النساء: ٣/ ١٥٠٠



يـا مـن يـغـطـي هـواه ... مـن ذا يـغـطـي الـنـهـارا
قـد كـنـت أمـلـك قـلـبـي ... حـتّـى عـلـقـت فـطـارا
يـا ويـلـتـا أتـراه ... لـي كـان أو مسـتـعـارا
يـا بـأبـي قـرشـي ... خـلـعـتُ فـيـه الـعـذارا

فلمّا أنكشف أمرها لزرياب أهداها إليه، فحظيت عنده، وهذه الجارية المغنّية لا نعلم أصلها، أمشرقية جاءت مع زرياب أم إنّها أندلسيّة وعند مجيء زرياب إلى الأندلس أشتراها وعلّمها؟!.

كما أنّ الروايات أختلفت في اسمها، فمنهم من سمّاها (منفعة)، ومنهم من سمّاها (متعة)، والواقع إنّ الاسمين لها، فالخبر والأبيات الشعرية ذكرت لهما، وأعتقد أنّ الإختلاف في اسمها جاء نتيجة التصحيف والتحريف، فالفاء أدغمت مع النون فأصبحت (تاء) والله أعلم.

أمّا أشعارها فلم يصل إلينا منها سوى تلك المقطوعة المذكورة آنفًا.

أمّا بخصوص وفاتها فلم نقف على سنة محددة، ولكن بإمكاننا أن تقدّر الفترة التي عاشتها، وبما إنّها عاصرت الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت ٢٣٨هـ)، إذن هي من شواعر القرن الثالث الهجري.

٣٨. مرجان[١] جارية الأمير الناصر:

تمتّعت هذه الجارية بالحيلة والدهاء، فاغلبت على ضرّتها القرشيّة (فاطمة بنت المنذر)[٢]، فقد أبتاعت منها ليلتها مع الناصر؛ وذلك بعد أن تناولت العود فقرعته مغنية بإيقاع هزّ أعطافها لها[٣]:

يا ليلة لو أنّها تبتاع لي أو تشترى شـــريتها بكلّ ما أطلبه من المنى

ودار بين الأثنين حوار ومناقشة، فقالت لها القرشيّة ــ بفضل وقارها ــ: ((أعطيني بها عشرة آلاف دينار وأنا أبيعها منك))، وكان قولها مخلوطًا بالمهازلة، فقالت مرجان: ((قد قبلت واشتريت واغتبطت)).

ثمّ قالت: ((لابدّ لي والله من أن آخذ خطّ يدك العزيزة أيّتها السيّدة الكريمة ببيعك حين هذه الليلة، واستحقاقي إيّاها لأستظهر به عند مولانا أمير المؤمنين فيعطيني بحقّي))[٤].

فاستخفّت القرشيّة بالشأن ولم تنتبه للعواقب، فكتبت لمرجان رقعة بخطّها، وأشهدت لها من حضرها من كرائم الخليفة.

---

(١) تنظر ترجمتها في: المقتبس لابن حيّان: ٥: ٧ – ٩، ونقط العروس لابن حزم: ٦٩، برواية الحميدي نشر الدكتور شوقي ضيف، مج١٣، ونفح الطيب: ١: ٣٣٨، وأنظر: الأدب الأندلسي، أحمد هيكل: ٢٣٠، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٢ – ٢٤، وقصّة الأدب في الأندلس: ١: ٤١ – ٤٢.

(٢) نقط العروس: ٦٩.

(٣) المقتبس: ٥: ١٠.

(٤) المقتبس: ٥: ١٠.

ولمّا وصلت الرقعة بيد الناصر نظر فيها، وعظم عليه، فأزبد وجهه، وهاجت نفسه غضبًا على ابنة عمّه، وارتاح لصدق مودّة مرجان، وقال لها: (يا مرجان حملتك الرغبة في قربي، والحرص على الاستكثار منّي أن بذلت له مثل هذا المال الذي أهديته لك في ثمن ليلة تعجلتها منّي، لم تكن لتفوتك بدنو نوبتك.

فأجابت: والله، والله، والله، لو إنّي ملكت هذا القصر وما يحويه لما رأيته ثمنا منك بهذا المال الذي جادت به يدك الكريمة.

قال لها: يا مرجان، فابشري، ثمّ ابشري، فقد ربحت تجارتك، وزكت صفقتك، ودللت على شرف نفسك، وصدق مودّتك، وتبت يدا ابنة عمّي التي جهلت حقّي، وباعتني بالثمن الخسيس زهدًا فيّ، والحقّ أولى بي فيك، فاقتاديني إلى قصرك فإنّي طوع يمينك، وحبيس هواك))[1]. وأعطاها المال الذي حملته الى حُرتهِ القرشيّة.

وبذلك أصبحت مرجان سيّدة نساء الناصر، وكبرى حظاياه، وسمّاها (السيّدة الكبرى).

ولم تزل منزلتها ترتفع حتّى ملكت زمام قياده، وقيل لا تصل النساء إلى مطالبهن من كرائمه وحظاياه إلّا بشفاعة مرجان لغلبتها على قلب الناصر.

رزقها الله منه ببنتين هما (هند وولّادة)[2]، وثلاثة ذكور، أمّا فاطمة القرشيّة التي كانت (من النساء المعرقات في الخلافة)[3]، فلم تستقل

---

(١) المقتبس: ٥: ١١.

(٢) المصدر نفسه: ٥: ١٢ – ١٣.

(٣) نقط العروس: ٦٨ – ٦٩.

عشرتها لديه، وأقسم ألّا يدخل إليها وهكذا أستطاعت مرجان بحليتها، وسعة عقلها، ودهائها، وفطنتها، ورشاقتها، وحلاوة صورتها، وعذوبة منطقها، علاوة على حسن أخلاقها أنّ تفوز بقلب الناصر، وتتغلب على ضرّتها.

كانت مرجان مهتمة بنظم الشعر وحفظه ممّا جعلها تعلّمه وتلقّنه للطيور، فقد ذكر أنّ (الناصر) أحضر طبيبًا لعلاجه[1]، وجلس لذلك بالبهو المشرف بأعلى الزهراء، ولمّا أخذ الطبيب الآلة ليقوم بالجراحة أطلّ (زرزور)، وصعد على إناء من ذهب كان بالمجلس وأنشد[2]:

أيّها الفاصد رفقًا ... بأمير المؤمنينا
إنّما تفصد عرقًا ... فيه محيا العالمينا

واضح أنّ مرجان كانت بارعة في ذلك، ففاجئت به الناصر، فوهب لها ما يزيد على ثلاثين ألف دينار.

ولم يصلنا من أشعارها إلّا الثلاثة أبيات التي ذكرناها.

أمّا وفاتها فلم نقف على سنة وفاتها، ولكن واضح أنّها كانت معاصرة لعبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ) فهي من شواعر القرن الرابع الهجري.

---

(١) نفح الطيب: ١: ٣٣٨.

(٢) نقط العروس: ٧٣ - ٧٤.



٣٩. أنس القلوب[١]:

وهي جارية المنصور بن أبي عامر المتوفّى سنة (٣٩٢هـ)، وكانت جميلة بارعة الغناء، فكانت من رقّة الشعر، وحذق الغناء في مكان رفيع[٢]، وكان المنصور ذا غرام بها، ولكن (أنس القلوب) كانت مغرمة بالوزير أبي المغيرة عبد الوهّاب بن حزم (ت سنة ٤٢٠هـ)، فغنّت ذات يوم بعض الأبيات أوّلها[٣]:

قدم الليل عند سير النهار ... وبدا البدرُ مثل نصف سوار

فأحسّ الوزير أبو المغيرة بأنّه هو المعني، فقال:

كيف؟ كيف؟ الوصول للأقمار ... بين سحر القنا وبيض الشفارِ

لو علمنا بأنّ حُبّكِ حقٌّ ... لطلبنا الحياة منكِ بثارِ

وإذا ما الكرامُ همّوا بشيءٍ ... خاطروا بالنفوس في الأخطار

فعند ذلك بادر المنصور لحسامه، وغلظ في كلامه، وقال لها: ((قولي وأصدقي إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين؟)) فقالت الجارية: ((إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلّا نظرة، ولّدت في القلب فكرة، فتكلّم الحبّ عن لساني، وبرح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك

---

(١) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٢: ١٤٦ – ١٤٧، وتاريخ الفكر الأندلسي: ٦٩، وشاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٢٠، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢١١، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ١٤٥، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٤، وأعلام النساء: ١: ٩٧ – ٩٩، ومختارات من الشعر الأندلسي: ٤: ٤٨٩، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٣٠ –٢٣٢.

(٢) نفح الطيب: ٢: ١٤٦، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٤٤.

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٤.

عند المقارة، ثمّ بكت، فكأنّ دمعها درٌّ تناثر من عقد، أو طلٌّ تساقط من ورد))[1]، فطلبت منه العفو بمقطوعة شعرية أوّلها:

أذنبت ذنبًا عظيمًا وكيف منه اعتذاري؟

وقد نسبت هذه المقطوعة لأبي المغيرة، والحقيقة أنّها لها، ودليلنا على ذلك: أنّ في هذه الأبيات ما يدلّ أنّها صادرة من امرأة تطلب العفو.

كما أنّ صاحب تاريخ الفكر الأندلسي، ومعجم النساء الشاعرات، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام وغيرها أثبتوها لها[2]، وحينما سمع المنصور أبياتها تلك عفا عنها، وعن أبي المغيرة، ووهبه الجارية[3].

إنّ ما أوردناه عن أنس القلوب يشير إلى أنّها كانت شاعرة قديرة أستطاعت بموهبتها الشعرية، وما تمتّعت به من ذكاء مفرط، وسرعة بديهة أن تحصل على ما تريد بعد أن أستمالت قلب المنصور إليها، فحقّقت رغبتها، وفازت بحبيبها أبي المغيرة.

ولكن ما وصل إلينا من شعرها كان قليلًا فلم يتجاوز تسعة أبيات فقط، وهي من شواعر القرن الرابع الهجري، وقد تكون أدركت القرن الخامس الهجري؛ لأنّها عاصرت المنصور بن أبي عامر المتوفّى سنة (٣٩٢هـ).

---

(١) نفح الطيب: ٢: ١٤٦ - ١٤٧، وأعلام النساء: ١: ٩٧ - ٩٩، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) ينظر مصادر ترجمتها التي ذكرناها.

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي: ٧٠.



٤٠. العبادية[١]: جارية المعتضد:

شاعرة، وأديبة، وكاتبة، ذاكرة لكثير من اللغة، فصيحة العبارة، لطيفة الإشارة، حاضرة الرواية، قريبة (النادرة)، لها إلمام تام بضروب الغناء، وكان يميل إليها المعتضد ميلًا شديدًا، ويشغف بها شغفًا زائدًا حتّى ألهته عن متابعة أمور دولته، وقد أهداها مجاهد العامري المتوفّى سنة (٤٣٦هـ) من دانية إلى المعتضد على الله بن عبّاد بن محمّد بن عبّاد المتوفّى سنة ٤٦١هـ[٢]، وسكنت إشبيلية.

وكانت شاعرة اتّسمت بتوقد القريحة، وحضور البديهة، ترتجل الشعر والأمثال [٣]، ومن ذلك أنّها كانت نائمة ذات يوم، وكان المعتضد سهران لأمر حزبه، فدخل عليها وهي نائمة، فقال[٤]:

تنام ومدنفها يسرُ وتصبرُ عنه ولا يصبرُ

فأجابته على الفور بقولها:

---

(١) تنظر ترجمتها في: نفح الطيب: ٦: ١٩، والدر المنثور: ٣٢٧، وأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ٣: ٢٢٧، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢١٧ ــ ٢١٩، ومعجم النساء الشاعرات: ١٦٩، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٦، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ١٤٥، والشعر النسوي في الأندلس: ٩٨.

(٢) المعجب: ١٠١.

(٣) نفح الطيب: ٦: ١٩.

(٤) المصدر السابق والصفحة ذاتها، والشعر النسوي: ٩٨، ومعجم النساء الشاعرات: ١٦٩. والمدنف هنا بمعنى العاشق، المتهالك في حبه.

لـــئـــن دام هـــذا وهـــذا لـــه ســـيهلـــك وجـدًا ولا يشـــعر

ولها غير ذلك من الأشعار والنوادر، ولكن أين هي؟! لا نعلم، والله أعلم.

أمّا وفاتها، فلا نعلم متى توفّيت، ولكننا نستطيع أن نقول: بأنّها من شواعر القرن الخامس الهجري؛ لأنّها عاصرت المعتضد (ت ٤٦١هـ).

٤١. اعتماد[1] الرميكيّة:

وهي اعتماد جارية (الرميك بن حجّاج) فنسبت إليه، وقد لعبت الصدفة دورًا هامًا في حياتها، فنقلتها من حياتها البسيطة العادية إلى قصور الخلافة، فاستطاعت أن تسيطر على عقل المعتمد بن عبّاد، وتتربع على عرش قلبه من

---

(١) تنظر ترجمتها في: المعجب: ١٤٦، والحلة السيراء: ٢: ٦٢، ووفيات الأعيان: ٤: ٥٦، والإحاطة: ٢: ١١٩، ونزهة الجلساء للسيوطي: ٩٧ - ٩٨، ونفح الطيب: ٥: ٣٤٢، والدر المنثور: ٤١، والشعر في ظل بني عبّاد، محمّد بن مجيد السعيد: ٣٠، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٣، والمعتمد بن عبّاد وشعراء عصره، د. محمّد زهدي يكن: ٢٨ - ٣٠، ٤٤ - ٥٢، والأعلام: ١: ٣٣٧، وفي الأدب الأندلسي، جودت الركابي: ٩٢، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ٥٨، والمعتمد بن عبّاد بقلم عليّ أدهم: ١٣٤ و ٣١٠ و ٣٣٦، والأعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، عبّاس بن إبراهيم المراكشي: ٢: ٣١٣، والشعر النسوي: ٩٩ - ١٠١، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢١٩، وديوان المعتمد بن عبّاد الإشبيلي: ٦١ - ٦٤، وأعلام النساء: ١: ٧١، والنساء العربيات: ٥٠، وملامح الشعر الأندلسي: ١٦٦، ومختارات من الشعر الأندلسي: ٨٨، ابن عمّار لثروت أباظة: ٥٣، ومحمّد بن عمّار الأندلسي، د. صلاح خالص: ٧٢ - ٧٣، ومجلة الأبحاث، العدد: ١٦ لسنة ١٩٦٣م، بحث: المعتمد بن عبّاد الشاعر، جبرائيل جبّور: ١٩٢ - ٢١٣.

خلال كلماتها العذبة، وسرعة بديهتها، وصوتها الذي حلاوة حين أجابته عندما ركب مع صديقه ووزيره الشاعر ابن عمّار الأندلسي يومًا زورقًا للنزهة في نهر إشبيلية، وإذا هما ينعمان بجوٍّ رائق لطيف إذ هبَّ نسيم عليل على النهر، فأحدث تموجات دغدغت مشاعر الملك الشاعر، وزردت[1]، الريح النهر، فقال المعتمد لابن عمّار أجزْ[2]:

صنــع الريح من المـــاء زَرَدْ ...

فتوقف ابن عمار قليلا، فأجابته اعتماد: (أيُّ درعٍ لقتـــالٍ لو جَمَـــدْ)

فتعجب المعتمد من حسن ما أتت به في حين أنّ ابن عمّار عجز عن ذلك، ونظر إلى صاحبة الصوت وإذا بها فتاة جميلة اسمها (اعتماد الرميكيّة) فاشتراها من مولاها (رميك بن حجّاج)، ثمّ تزوّجها وأنجبت له: عبّادًا الملقّب بالمأمون، وعبد الله الملقّب بالرشيد، ويزيد الملقّب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة[3] المارّة الذكر.

وأصبح المعتمد لا يهتم إلّا باعتماد حتّى أنّه لقّب نفسه (المعتمد) كي يناسب لقبه اسمها بعد أن كان يلقّب بالمؤيد والظافر[4]، وكان يلبي لها كلّ

---

(١) الزرد: الدرع المزرودة بتداخل بعضها ببعض، وزردت الريح النهر جعلته شبيهًا بالدرع المزرودة.

(٢) نفح الطيب: ٥: ٣٤٢.

(٣) الأعلام: ١: ٣٣٧.

(٤) الشعر النسوي: ١٠٠، والشعر في ظل بني عبّاد: ٣٠.

رغباتها وأمانيها، فلم تشعر اعتماد بأنّ في الحياة أمنية عزيزة، أو مطلبًا صعب الحصول عليه، ومن أمثلة ذلك (يوم الطين)، فيحكى أنّها أطلّت يومًا من شرفة قصرها، فلمحت جماعة من النساء يبعن اللبن، ويدُسنَ الأوحال والطين، فاشتهت أن تفعل مثلهن هي وجواريها، لذا أمر المعتمد بطحن كمية من الطيب، والمسك، والكافور في ساحة القصر، وصُبَّ عليه ماء الورد، وعجن كلّ ذلك حتّى أصبح كالطين، ثمّ داسته مع جواريها، وهي تحمل الجرّة التي صنعت من سبيك الذهب[1].

وتغنى المعتمد باسمها في أشعاره مرّات عدّة، ومنها قوله[2]:

فما حلّ خِلٌّ من فؤاد خليله محل (اعتماد) من فؤاد محمّد

وقوله[3]:

حبّ اعتماد في الجوانح ساكنٌ لا القلب ضاق به ولا هو راحل

ولقّبت اعتماد (أمّ الربيع) فقد قال المعتمد وهو يردّ عليها ثقتها به بعد أنْ تزعزت، هذه الأبيات[4]:

تظن بنا أمّ الربيع سآمةً ألا غفر الرحمن ذنبًا تواقعهُ

---

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ٥٨، وينظر: تاريخ الفكر الأندلسي: ٩٥.
(٢) المعتمد بن عبّاد: ١٣٤، والديوان طبعة صلاح خالص.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

كما عرفت اعتماد بـ (السيّدة الكبرى) [1]، وقد تعرضت للنقد اللاذع حتّى وصل إلى درجة البغضاء من قبل رجال الدين والفقهاء؛ لأنّها في اعتقادهم هي التي ورّطت المعتمد فيما ورطته من الخلاعة، والإستهتار، والمجاهرة، وأنّها كلّفته ما لا يطيق كما كلّفت الدولة في طلباتها التعجيزية حتّى كتب عليه أهل إشبيلية بذلك، وعطّلوا صلوات الجمع عقودًا، ورفعوها إلى أمير المسلمين[2]، لكن اعتماد لم تعره أهمية لذلك.

أمّا المعتمد فقد مضى على حاله، فلم يقصر في شيء يجلب إلى نفسها السرور، وقد بلغ من اعتزازه بها أن صنع أبياتًا يبدأ كلّ منها بحرف من حروف اسمها:

أ غـائبـة الشـخص عن نـاظري ... وحـاضـرة في صـميم الفؤادِ
عليـك السـلام بقـدر الشـجون ... ودمع الشـؤون وقـدر السـهـادِ
تـملكـت منّي صـعـب المرام ... وصـادفت منّي سـهـل القيـادِ
مـرادي لـقـيـاك فـي كـلّ حـيـن ... فـيـا لـيـت أنّـي أعطى مـرادي
أقيمي على العهد ما بيننا ... ولا تسـتحيلي لطول البعـادِ
دسـسـتُ اسـمكِ الحلو في طيّه ... وألـفـتُ حبًّـا حـروف اعتـمـادِ

وقد شكك بعض الباحثين بقصّة اعتماد مع المعتمد ومنهم جبرائيل جبور حيث يقول: ((ولم يكن ابن عمّار بالشاعر الهيّن ليعجز، وتنجده مثل

(١) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس: ٢: ٦٢.
(٢) تاريخ الفكر الأندلسي: ٩٥.

هذه الجارية، والذي نراه هو أنّ المعتمد وابن عمّار ألفا التردد إلى ذلك الوادي البهيج للتنزه، والتعرض إلى الحسان، كما كان يفعل أهل اللهو في هذه المدينة في الحجاز يفعلون في متنزه العقيق، وأنّه رأى جمال هذه الفتاة فأعجبته، وحادثها فوقعت في قلبه، وسعى فابتاعها من سيّدها)).

ونحن نقول: إنّ أغلب الجواري كنّ على درجة كبيرة من الفطنة، والذكاء، والثقافة، والأدب، والدراية بالشعر، فكنّ مضطلعات في كلّ فن؛ وذلك لأنّ قيمة الجارية تقاس بقدر ما لها من الجمال، وحسن الصوت، والاهتمام بالشعر[1]، فليس من الغريب والمستبعد أن تكون اعتماد قد أجابت المعتمد، وأكملت البيت الشعري، علمًا أنّ أغلب المصادر القديمة أثبتت ذلك[2].

وأتهمت اعتماد بأنّها حرّضت المعتمد على قتل الوزير ابن عمّار؛ لأنّه هجاها والمعتمد بقصيدة لامية شهيرة منها [3]:

تخيّرتها من بنات الهجان ... رمكيّة ما تساوي عقالا
فجاءت بكلّ قصير العذار ... لئيم النجادين عمًّا وخالا

والحقيقة: أنّ ابن عمّار خان نعمة المعتمد، وعصى أوامره، وعندما أنكشف أمره للمعتمد وضعه بالسجن بضعة أشهر، ثمّ قتله بيده في عام (٤٧٧هـ)؛ وذلك بعد أن التجأ إلى المؤتمن بن هود صاحب (سرقسطة) فأغراه

(١) التجديد في الأدب الأندلسي: ١٣٣.
(٢) ينظر مصادر ترجمتها.
(٣) الدر المنثور: ٤١.

بفتح حصن (شقورة)، لكنه لم يوفق بالمهمة إذ سقط أسيرًا عند صاحب الحصن الذي باعه للمعتمد مقابل مبلغ من المال[1].

هذه نهاية حتميّة لمن يخون بلده، ويجحد نعمته، فهذا هو السبب الحقيقي لقتل ابن عمّار.

أمّا الهجاء الذي قاله في اعتماد وزوجها فقد يكون السبب الثاني لذلك.

وظلّت اعتماد ترفل بالعزّ، والسعادة، والهناء سنين طوال إلّا أنّ ذلك النعيم، وتلك السعادة لم تدم فلكلّ شيء نهاية، فقد شاءت الأقدار أن يأتي يوسف بن تاشفين أمير الملثمين بالمغرب فيخوض البحر، ويصل إشبيلية فيحتلها، وتحلّ الكارثة الكبرى، وينهدم ذلك الصرح الذي بناه بنو عبّاد إذ خلع ابن تاشفين المعتمد، وأخذه أسيرًا مع صاحبته، وبقيّة نسائه، وبناته، وجواريه سبايا إلى (أغمات) في أعماق بلاد المغرب بعد أن قتل ولديه المأمون والراضي، فألقي به مكبلًا بالحديد في غياهب السجن، فقالت اعتماد له[2]: يا سيّدي، لقد هنا هنا، قال:

قالت: لقد هنا هنا ... مولاي أين جاهنا؟

قلتُ: الهنا ... صيّرنا إلى هنا

وحين مرض المعتمد قالت له: ((يا سيّدي ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك)).

---

(١) قلائد العقيان: ٨٦ و ١٠٢.

(٢) نفح الطيب: ٥: ٣٤٣.

وتوفّيت اعتماد بأغمات سنة (٤٨٨هـ) قبل وفاة المعتمد بأيّام[١].

ويقول المقري عندما ذهب لزيارة قبريهما[٢]: ((وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أمّ أولاده حين كنا بمراكش المحروسة سنة ١٠١٠ هجرية، وعُميَّ عليّ أمر القبر المذكور، وسألت عنه من تظن معرفته له حتّى هداني إليه شيخ طعن في السن، وقال لي: ((هذا قبر ملك ملوك الأندلس، وقبر حظيته التي كان قلبه يحبّها خفاقًا غير مطمئن)).

والذي يلفت النظر: إنّ هذه الشاعرة الجارية رغم كلّ ما حصلت عليه من تقدير، واحترام، واهتمام فلم تذكر عنها المصادر سوى ذلك العجز الذي أتمّت به بيت المعتمد، فأين أشعارها؟ فقد تكون قد أتلفت بعد زوال ملك بني عبّاد من قبل أعدائهم.

٤٢. جارية[٣] المعتمد بن عبّاد:

لقد لاحظنا كيف أنّ الجواري كن بارعات في الوصول إلى قلوب الناس ولاسيّما قلوب رجال الدولة للحصول على المكانة العالية، والحظوة الكبيرة، والهدايا الجزيلة من لدنهم، وسلاحهن في ذلك المقدرة الشعرية، والصوت الغرد، والرقّة، والجمال، ولكن بعض الجواري لم يوفقن في توظيف مقدرتهن الشعرية، لا بل كن سببًا في هلاكهن.

---

(١) الأعلام: ٤: ٣٣٨، والدر المنثور: ٤١.

(٢) نفح الطيب: ٥: ٣٥٦.

(٣) ينظر: قصّة الأدب في الأندلس، محمّد عبد المنعم خفاجي: ١: ٤١٨.

ومن ذلك ما فعلته الجارية المغنية التي أهداها يوسف بن تاشفين إلى المعتمد بن عبّاد والتي نشأت بمدينة (العدوة) في شمال أفريقيا، وأهل العدوة لا يحبّون أهل الأندلس، وجاء بها إلى إشبيلية، فخرجت مع المعتمد إلى قصر الزهراء على نهر إشبيلية، وحينما جلس على الراح خطر ببالها أن غنّت عندما أنتشى هذه الأبيات:

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم ... ولووا عمائهم على الأقمارِ

وتقلّدوا يوم الوغى هندية ... أمضى إذا أنتضيت من الأقدارِ

إن خوفوك لقيت كلّ كريهة ... أو أمّنوك حللت دار قرارِ

فاعتقد المعتمد أنّها عرّضت بساداتها فلم يملك غضبه، ورمى بها في النهر فهلكت.

هكذا جنت على نفسها، وعجّلت في منيتها، وكما يقول المثل العربي: (جنت على نفسها براقش).

فأين هذه الجارية من اعتماد التي وصلت أعلى الدرجات بذكائها ودهائها.



٤٣. غاية[١]: المنى:

جارية أندلسيّة ظريفة ذات ثقافة لا غبار عليها، وكانت تقول الشعر، وتحسن المحاضرة، متأدبة متخرجة في فنون الغناء، لها صوت حسن، وصنعة جيّدة بالأصوات، وكان أكثر غنائها من أصوات ((عُريب، وإسحق، ومعبد))[٢]، وهم من أهل الشرق، ومعنى ذلك أنّها قد تأثّرت بأصوات المغنين من المشارقة والتي نقلها زرياب إلى الأندلس.

وقد ذكر لنا صاحب قلائد العقيان[٣]: أنّ المعتصم بن صمادح الذي كان يعمّر مجالس اللهو والغناء قدّمت إليه، فأراد اختبارها ليعرف مستواها الأدبي، وفطنتها، وذكائها، فقال لها:

ما اسمك؟ قالت: غاية المنى.

فقال لها: أجيزي:

اسألوا غاية المنى، فأجابت على الفور:

---

(١) تنظر ترجمتها في: قلائد العقيان: ٥٣، ونفح الطيب: ٤: ٢٨٦ و ٦: ٢٢، والدر المنثور: ٣٥٥، وقصّة الأدب في الأندلس: ٤٢٠، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٢٦، والشعر النسوي: ٩٥ – ٩٦، ومعجم النساء الشاعرات: ١٩٨ – ١٩٩، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٣٣، وأعلام النساء: ٤: ٥، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٦ – ١٤٧، وصور من الأدب الأندلسي: ١١٦ – ١١٨.

(٢) الدر المنثور: ٣٥٥.

(٣) قلائد العقيان: ٥٣ طبعة باريس.

..... من كسا جسمي الضنا

وأراني مولها سيقول الهوى أنا

فأعجب بها واشتراها.

وهذه الحكاية رويت برواية أخرى ذكرها لنا المقري[1].

عن ابن الأبّار، قال: إنّ غاية المنى سيقت لابن صمادح، فأمر أنّ يختبر ذكاءها ابن الفرّاء الخطيب،ولمّا جلست بين يديه، قال لها: ما اسمك؟فقالت: غاية المنى،

فقال: أجيزي:

سل هوى غاية المنى من كسا جسمي الضنا

فقالت تجيزه:

وأراني متيمًا سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك للمعتصم بن صمادح، فاشتراها بمائة ألف درهم، وكانت محظية عنده إلى أن ماتت، وهي من شواعر القرن الخامس الهجري؛ لأنّها عاصرت المعتصم المتوفّى سنة ٤٨٤هـ.

(١) نفح الطيب: ٦: ٢٣.

٤٤. عتبة[١] جارية ولّادة:

وهي جارية الأميرة الشاعرة ولّادة بنت المستكفي التي توفّيت سنة (٤٨٤هـ)، وكانت جارية سوداء حسنة الصوت، بارعة العزف، بديعة الغناء[٢].

وقد غنّت هذه الجارية في أحد مجالس اللهو والغناء هذين البيتين[٣]:

أحبّتنا إنّي بلغت مؤملي وساعدني دهري وواصلني حبّي

وجاء يهنيني البشير بوصله فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

وقد جادت غناءها ممّا دفع ابن زيدون إلى الإعجاب بها، فسألها الإعادة من غير أن يستأذن ولّادة[٤].

وعلى الأرجح إنّ هذين البيتين لعتبة؛ لأنّهما من الشعر المتوسط، فليس لدينا ما يثبت أنّهما لابن زيدون كما ادّعى محقق ديوانه عليّ عبد العظيم[٥]

---

(١) تنظر ترجمتها في: الذخيرة لابن بسّام: ق١ م١: ٤٣١ ضمن ولّادة، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون لخليل بن أيبك الصفدي: ١١، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وفوات الوفيات: ٥: ٢٥١، وأنيس الجلساء: ١٠٢، وشاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٤٨٠، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٧٠، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٢٣٥ - ٢٣٦، والشعر النسوي: ٨١ ضمن أخبار ولّادة، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٨٣ ضمن أخبار ولّادة.

(٢) الذخيرة: ق١ م١: ٤٣١.

(٣) الشعر النسوي. ٨١

(٤) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٨٣.

(٥) ديوان ابن زيدون ورسائله: ١٢٠، تحقيق: عليّ عبد العظيم.

فهما لا يرتقيان إلى شعره الجيّد، ولم يصل إلينا من شعرها سواهما، ولمّا كانت عتبة قد عاصرت ولّادة، وابن زيدون، إذن نستدلّ على أنّها عاشت في القرن الخامس الهجري.

٤٥. هند[١] جارية محمّد بن عبد الله بن مسلمة الشاطبي:

وقيل: هي جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي[٢]، وقيل: إنّها جارية أبي محمّد مسلمة الشاطبي[٣]، وعلى أيّة حال، فهي جارية أحد الشاطبيين، شاعرة رقيقة، وأديبة ظريفة، وكانت لظرفها، ورقّتها أن كتب إليها الوزير أبو عامر يدعوها للحضور عنده بعودها، وكانت تحسن ضرب العود، ولها أبيات شعرية أوّلها[٤]:

يـا هنـد هـل لـك في زيـارة فتيـة نبذوا المحارم غير شرب السلسل

فكتب إليه في ظهر رقعته بيتين أوّلها:

يـا سـيّدًا حـاز العلا عن سـادة شـم الأنوف من الطراز الأوّل

---

(١) تنظر ترجمتها في: المقتضب من تحفة القادم لابن الأبّار: ٢١٨، المستظرف من أخبار الجواري للسيوطي: ٧٢، تحقيق: صلاح الدين المنجد، والنفح: ٤: ٢٩٣، وأعلام النساء: ٣: ١٦١٣، والدر المنثور: ٥٣٣، والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ٢: ١٤٥، والشعر النسوي: ١٤٠ – ١٤١.

(٢) أعلام النساء: ٣: ١٦١٣.

(٣) المستظرف من أخبار الجواري: ٧٢.

(٤) نفح الطيب: ٤: ٢٩٣، والدر المنثور: ٥٣٣، والشعر النسوي: ١٤٠.

وفت هند بعهدها لأبي عامر، وسارت إليه، وأتمّا ليلة قلّما يسمع بمثلها الدهر حتّى عاجلهما طلوع الفجر فتفرقا، وكان كلّ منهما يأسف، ويسخط على يوم الفراق، ويتمنى التلاقي بأسرع وقت ممكن.

إنّ هذه الشاعرة لا نعرف سنة ميلادها، ولا سنة وفاتها، ولكن يمكننا القول: إنّها عاشت في القرن السادس الهجري؛ لأنّها عاصرت الوزير أبا عامر محمّد بن ينق المتوفّى سنة (٥٤٧هـ).

الفصل الثالث

أغراض وفنون شعر المرأة الأندلسيّة

الفصل الثالث

أغراض وفنون شعر المرأة الأندلسيّة

فنون وأغراض شعر المرأة الأندلسيّة:

تُعدُّ ظاهرة (شيوع الشعر) بين عرب الأندلس ظاهرة عامة تسترعي الأنظار، فلم يقتصر قول الشعر على الشعراء وحدهم، وإنّما شاركهم في نظمه العديد من أهل البلاد على اختلاف مستوياتهم وأهوائهم، فقلّما نجد فقيهًا، أو عالمًا، أو أميرًا، أو وزيرًا، أو طبيبًا، أو فلاحًا، أو جزارًا لم يقل شعرًا.

والمرأة كان لها نصيب وافر في هذا الجانب، وكان الدافع لهم حبّهم للشعر ذاته، والمستوى الثقافي الذي حصلوا عليه والذي يستند على علوم اللغة العربية وأدابها، ثمّ تلك الطبيعة الجميلة التي تفاعلوا معها، فأنتجت عقليتهم ما أنتجت من القصائد والمقطّعات، فقد نظموا في جميع فنون الشعر العربي المعروفة، وزادوا عليها فنونًا أستحدثوها من بيئتهم.

والمرأة الأندلسيّة هي الأخرى طرقت كلّ فنون الشعر، وأجادت فيها فلم تترك غرضًا وإلّا ونظمت فيه، وكانت في بعض أشعارها مترسمة المشارقة فيه مقلّدة إيّاهم في الشكل والموضوع دون المضمون؛ لأنّ مضامينها تتسم بسمات الحضارة، والتجديد، والإبتكار في بعض الأحيان[1].

---

(١) ينظر: الأدب العربي في الأندلس: ١٦٥.

وقد مثّلت هذا الاتجاه (حسّانة التميمية، والغسّانية البجانية، وأسماء العامرية)، وأتجهت الأندلسيّة اتجاهًا آخر، فتوسعت في بعض الأغراض التي كانت معروفة لدى المشارقة كوصف الطبيعة، والحنين إلى الوطن، والمساجلات الشعرية، فطبعتها بطابع جديد يتناسب والظروف التي عاشتها، وقد مثّلت هذا الاتجاه (قمر البغدادية، وحمدة بنت زياد المؤدّب، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجازية، ومريم بنت أبي يعقوب، وحفصة بنت الحاج الركونيّة، وزوجة قاضي (لوشة)، ونزهون الغرناطيّة، وهند جارية الشاطبي، وولّادة بنت المستكفي).

وهناك من الشواعر من مزجت بين اتجاه التقليد والتجديد من أمثال: (بثينة بنت المعتمد، واعتماد الرميكيّة، وأنس القلوب، والعجفاء، وغيرهن)، وأنتهجت الأندلسيّة منهجًا جديدًا في نظمها الموشحات، والأزجال، والظرف، والدعابة، فكانت لنزهون موشحة رقيقة في الغزل، ومقطوعات في الظرف والدعابة.

ومن هنا يجدر بنا أن نقول: إنّ الشاعرة الأندلسيّة أستطاعت أن تأتي بما هو جديد ومختلف في بعض نتاجها الشعري عن نتاج المشرقيّات؛ وذلك ((بحكم البيئة المتفرّدة، والظروف المتميزة)) [1]، فقد سجّلت أشعارًا رقيقة، وأثبتت مقدرتها في طرقها كلّ الفنون والأغراض الشعرية، وكانت على النحو الآتي:

---

(١) الشعر الأندلسي لأحمد هيكل: ٥.

١. الأغراض التقليدية:

أ- الغزل:

وجد الغزل في الأندلس البيئة المناسبة لإنتشاره وذيوعه، فكلّ شيء يوحي بالغزل، الماء، والخضراء، والوجه الحسن، فضلًا عن التنعم، وحياة الترف التي تمتّع بها الكثيرون من أبناء الشعب الأندلسي.

واتّسم غزلهم بالرقّة والعذوبة نتيجة للتفنن في استخدام الصور البيانيّة في وصف محبوباتهم، وفي تصوير مشاعرهم، وتجاربهم العاطفية التي تتخللها أحيانًا أوقات من الوصل، والقرب، والتلاقي، وأحيانًا أخرى تتخللها أوقات من الهجران، والبعد، والصدود، ولكن مع ذلك بقي الغزل الأندلسي لدى الشعراء غزلًا حسيًّا بعيدًا عن تصويرخلجات النفوس، وما تفيض به المشاعر من أحاسيس وعواطف، فقد ((وقف الغزل عند حدود الوصف المادي لما يتعشقه الشاعر من أعضاء جسم حبيبته، فالقامة قضيب بان، والوجه قمر، والشعر ليل أو ذهب، والمحاجر نرجس، والأنامل سوسن، والخدود تفّاح والرضاب خمر))[١].

وهذا من طبيعة الأشياء أن تكون المرأة مصدر الجمال والفتنة، ومصدر إلهام الشعراء، والأدباء، وإبداع الفنانين؛ فهي معشوقة لا عاشقة، ومعجب بها لا معجبة بغيرها؛ لذلك تأخّرت المشرقيّة في نظم الغزل، فلم يظفر بنصيبه

---

(١) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٩.

الذي يستحقه من المرأة، بل كان عنصرًا عزيز المنال قد قامت من دونه العوائق، وتكاتفت أمامه السدود؛ وذلك طبيعي للغاية إذا نظرنا إلى البيئة المشرقيّة التي ترعرعت فيها الفتاة.

وعلمنا أنّ من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية الصامتة مفحمة مهما أعتلج في صدرها الشوق، وأستعرّ في فؤادها الحنين[1].

أمّا الغزل عند المرأة الأندلسيّة، فقد نظمت فيه القصائد والمقطّعات دون استحياء أو خجل، كما أنّه أحتلّ مساحة واسعة من ديوان أشعارها، فكان في مقدّمة الأغراض التي طرقتها، وكانت له أنماطًا متنوعة منها:

الغزل العفيف الرقيق:

ولو إننا لا نجد في الأندلس غزلًا عذريًا بالمفهوم الذي نعرفه لهذه اللفظة إلّا أننا وجدنا أبياتًا تفوح منها العفّة موازنة مع بقية أشعار الغزل، وأنّ كمية هذا النوع قليلة، وقد تزعّمته أمّ العلاء بنت يوسف الحجازية الشاعرة العفيفة، فكانت أهدأ صوتًا، وأرهف حسًّا، فنراها تقول شاكية العيش دون حبيبها:

كلّ ما يصدر عنكم حسنُ ... وبعلياكم يحلى الزمنُ
تعكفُ العينُ على منظركم ... وبذكراكم تلذُّ الأُذنُ
من يعش دونكم في عمرهِ ... فهو في نيل الأماني يغبنُ

(١) الغزل في شعر المرأة للشيخ محمّد رجب البيومي: ١١٥٣.

فمن كلمات النصّ تفوح الرقّة، والعفّة، والعذوبة، فالعين تكتفي بالعكوف على منظرهم، والأذن تلتذّ بذكراهم، وأنّ العيش بدونهم يغبن في نيل أمانيه.

وفي غزل الغسّانية البجانية التقليدي وجدنا صورًا عفيفة، وألفاظًا رقيقة بعيدة عن الإبتذال؛ وذلك في المقدّمة الغزلية التي سبقت قصيدتها في مدح (خيران العامري) والتي عارضت بها قصيدة ابن درّاج القسطلي، فتقول فيها[1]:

أتجزع إن قالوا ستظعن أظعانُ ... وكيف تطيق الصبر ويحكَ إنْ بانوا
وما هو إلّا الموت عند رحليهم ... وإلّا فعيش تجتني فيه أحزانُ
ليالي سعدٍ لا يخاف على الهوى ... عتاب ولا يخشى على الوصل هجرانُ
ويسطو بنا لهوٌ فنعتنق المنى ... كما أعتنقت في سطوة الريحِ أفنانُ
ألا ليت شعري والفرات يكون هل ... تكونون لي بعد الفراقِ كما كانوا

هذه الكلمات البسيطة العذبة، والعاطفة الجيّاشة تحملها الأظعان الراحلة إلى الحبيب تشكو الرحيل والفراق، فلا صبر يحتمل، ولا العيش رغيد، وهي تنمّ عن أصالة وعمق كبيرين، وثقافة عربية أصيلة معًا.

وقالت العجفاء في فراق الأحبّة بيتين من الشعر لم تبتعد بهما عن العادات والتقاليد؛ وذلك بعد أن غنتهما بلحن عذب، وصوت شجي أطرب السامعين، والبيتان هما[2]:

---

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٩.

(٢) المغرب: ٢: ٣٨، ونزهة الجلساء: ٢٢ – ٢٣، والنفح: ٥: ٣٠١.

يـا طول ليلي أعـالج السـقمـا أُدْخِـل كـلّ الأحـبّـة الـحـرمـا
مـا كنـتُ أخشـى فراقكم أبـدًا فـاليوم أمسـى فراقكم عزمـا

فنحن لن نجد في هذين البيتين مكاشفة أو صراحة تدلّ على الإبتذال.

أمّا (أنس القلوب) فقد تغزلت وتمنت أن تجد لها سبيلا إلى من تحبّ لتقضي معه سنين عمرها؛ وذلك بعد أن وصفت الليل، والنهار، والبدر، والظلام، والكؤوس، والخمر، كلّ ذلك جنته نظرتها عليها، فكيف يمكن أن تعتذر العين عمّا أقترفته من ذنب؟! ثمّ عزفت على عودها وغنّت كلّ ذلك بصوتها[1]:

قَـدِم الليـل عنـد سـير النـهـارِ وبـدا البـدر مثـل نصـف سـوارِ
فـكـأنَّ الـنـهـارَ صـفـحـةُ خـدٍّ وكـأنَّ الـظـلامَ خـطُّ عِـذارِ
وكـأنّ الـكـؤوسَ جـامـدُ مـاء وكـأنَّ الـمـدامَ ذائـبُ نـارِ
نـظـري قـد جـنـى عـلـيَّ ذنـوبًـا كيف ممّـا جنتـه عيني اعتـذاري
يـالـقـومـي تـعـجـبـوا فـي غـزالٍ جـائـر حيَّ مـهـجتي وهو جـاري
ليـت لو كـان لي إليـه سـبـيـلٌ فـأقضـي مـن حـبّـه أوطـاري

ومن الغزل الرقيق أيضًا ما قالته حفصة بنت الحاج الركونية، وهي تبعث بسلامها وتحياتها إلى حبيبها النازح الذي لا تنساه مهما طال فراقه فتقول[2]:

---

(١) النفح: ٤: ١٣٨.

(٢) المغرب: ٢: ١٣٩.

سـلام يـفـتـحُ عـن زهـره الـ ـكمام وينطـقُ ورق الغصون
على نـازحٍ قـد ثوى في الحشـا وإن كـان تـحرمُ منـه الـعيـون
فلا تحسـبوا البعـد ينسـاكمُ فـذلـك والله مـا لا يـكـون

وقولها[1]:

سـلوا البارق الخفّاق والليلُ سـاكنٌ أظـلُّ بـأحبـابي يُـذكرني وهنـا
لعمري لقـد أهـدى لقلبي خفقـهُ وأمطرَ عن منهل عارضـه الجفنا

أمّا العجفاء فقالت[2]:

برحَ الـخفـاءُ فـأيّمـا بـك تكتمُ ولسـوف يظهر مـا نسـرُّ فيُعلمُ
ممّـا تضـمّن من عزيزٌ قلبـهُ يـا قلبُ إنّـك بـالحسـانِ لمغرمُ
يـا ليت أنّك يا حسـام بأرضـنا تُلقي المراسـي طـائعًـا وتختمُ
فتـذوق لـذّة عيشـنـا ونعيمـهُ ونـكـون إخـوانًـا فـمـاذا تـنـقـمُ؟

أمّا (أمة العزيز) فقد بحثت عن سبب صدود أحبّتها، ولكنّها لم تهتدِ إلى ما يوجب ذلك الصدود، ثمّ تبحث ثانية وتقول: إنّ نظرات حبيبها كما تركت أثرها في الأحشاء والأعماق، فأوجعتها، كذلك نظراتها قد تركت أثرها في خدوده، فكلاهما أصاب الآخر، فليس أحدهما معتديًا على الآخر، فلماذا الصدود إذن؟ فنراها تقول [3]:

---

(١) المغرب: ٢: ١٣٩.

(٢) نفح الطيب: ٤: ١٣٧ – ١٣٨.

(٣) المغرب؟: ١٣٩.

لحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرحٍ فاجعلوا ذابذا فما الذي أوجب هذا الصدود؟

وتدافع (حمدة بنت زياد) بكلّ ما لديها من أسلحة لتمنع الواشين، والذين يودون إيقاع الفرقة بينها وبين حبيبها فتقول[1]:

لمّا أبى الواشون إلّا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنّوا على آذاننا كلّ غارةٍ وقلّت حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

كلمات تفيض رقّة، وعذوبة، ورشاقة، وهي بعيدة كلّ البعد عن ألفاظ الإنحراف أو الميل عن جادّة الصواب؛ لأنّ الشاعرة كانت عفّة متصوفة رغم قولها الغزل.

لم نجد في كلّ ما تقدّم من النصوص مكاشفة، أو جرأة، أو صراحة تدلّ على الإبتذال، والفحش، والمجون.

أمّا النمط الثاني من غزل المرأة الأندلسيّة فهو:

الغزل الصريح والحسّي:

فهذه (زينب المرية) تتغزل بابن عمّ لها يقال له (المغيرة) وتقول[2]:

يا أيّها الراكب الغادي مطيته عرّج أنبيك عن بعض الذي أجدُ

(١) المغرب: ٢: ١٣٨.
(٢) الغزل في شعر المرأة للشيخ محمّد رجب البيومي: ١١٥٣.

ما عالج الناس من وجد تضـــمنهم إلّا ووجدي بـه فوق الذي وجدوا
حســبي رضــاه وإنّي في مســرّته وودّه آخــر الأيّــام أجــتــهــدُ

وازداد حبّها لابن عمّها فتلام على ذلك من أهلها، وتقول[1]:

ألم ترَ أهلـي يـا مـغير كـأنّمـا يفيئون بـاللومـاء منـك الغنـائمـا
ولو أنّ أهلـي يـعلـمون تـميـمـة من الحبّ تشـــفي قلدوني التمائما

وفي هذين البيتين تصرّح (زينب) باسم حبيبها، وبشدّة حبّها وغرامها له ممّا جعل أهلها يبحثون عن تميمة تشفيها منه.

وتصرّح (خديجة المعافرية) باسم حبيبها (أبي مروان)؛ وذلك بعد أن شكت من الوشاة والمغرضين الذين سعوا لفرقتهم، فقالت[2]:

جمعوا بيننـا فلمّـا اجتمعنـا فرّقوا بيننـا بـالزور والبهتـان
مـا أرى فـعلـهـم بـنـا اليـوم إلّا مثل فعل الشـــيطـان بـالإنســـان
لـهـف نـفـس عـلام تـلـهـف منـك إن نـأيـت يـا أبـا مروان؟!

أمّا النمط الثالث من غزلهن فهو:

الغزل الماجن الخليع:

وفيه كانت الشواعر أكثر جرأة، وخلاعةً، ومجونًا، فهذه عتبة جارية ولّادة تتغزل وتغني[3]:

---

(١) معجم النساء الشاعرات: ١١٦.
(٢) نزهة الجلساء: ٥٠.
(٣) ديوان ابن زيدون: ١٢٠، وتمام المتون: ١١.

أحبّتنا إنّي بلغت مؤملي وساعدني دهري وواصلني حبّي[1]
وجاء يهنيني البشير بقربه فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

أمّا حفصة الركونية، فقد فاقت نساء عصرها، ونساء العصور الأخرى[2]:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خبر)
وأنصفها - لا أكذب والله - إنني رشفت بها ريقًا أرقّ من الخمر

ومن هذين البيتين ندرك مدى الحرية التي حصلت عليها المرأة الأندلسيّة في التعبير عن مشاعرها.

وتأتي (ولّادة) لتحدد زمان الزيارة لابن زيدون في جنح الظلام فتقول[3]:

ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيتُ الليلَ أكتم للسترِ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسرِ

وتجاهر (نزهون) بعشقها، وتظهر عواطفها دون خجل، فتقول[4]:

لله درّ الليالي ما أُحيسنها وما أحيسنَ منها ليلة الأحدِ
لو كنت حاضرنا فيها وقد عقلت عين الرقيب فلم تنظر إلى أحدِ
أبصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي أسدِ

مَن من الشواعر المشرقيّات تستطيع أن تقول ذلك؟!.

---

(١) حبي: بكسر الحاء (الحبيب).
(٢) نزهة الجلساء: ٤٢.
(٣) ديوان ابن زيدون: ١٢٠٣٣.
(٤) تحفة القادم: ٥٨٤.

وتعود ولّادة لتقول لابن زيدون وهو ما ينسب إليها[1]:

ودّع الصـــبـر مـحـبّ ودعـك ذائع من سـرّه مـا اسـتودعـك
يـقرع السـن على أن لـم يكن زاد في تلـك الخطـا إذ شـيعـك
يـا أخـا البـدر سـنـاء وسـنـا حـفـظ الله زمـانًـا أطـلـعـك
إن يـطـل بـعـدك لـيـلـي فـلـكـم بـت أشـكو قصـر الليـل معـك

ثمّ تقول له حين أشتدّ شوقها إليه وهي تتمنى اللقاء به لتشكو له معاناتها من حرقة الفراق هذه الأبيات[2]:

ألا هـل لنـا من بعـد هـذا التفرق سـبيل فيشـكو كلّ صـبٍ يما لقي
وقد كنتُ أوقات التزاور في الشـتا أبيت على جمرٍ من الشـوق محرق
فكيف وقد أمسـيت في حال قطعة؟ لقـد عجّـل المقـدور مـا كنـت أتّقي
تمرّ الليـالي لا أرى البين ينقضـي ولا الصبر من رقِّ التشوق معتقي
سـقى الله أرضًـا قد غدتْ لك منزلًا بكلّ سـكوبٍ هاطل الودق مغدق

أمّا الأميرة أمّ الكرم فقد قالت بأعلى صوتها متمنية خلوة مع حبيبها بعيدة عن أعين الناس، وآذان كلّ عذول ومراقب؛ ذلك الحبيب الذي سكن بين أحشائها والترائب فتقول[3]:

ألا ليت شعري هل من سبيل لخلوةٍ يُنزّهُ عنهـا سـمع كـلّ مراقـب؟

---

(١) نفح الطيب: ٣: ٣٣٧.
(٢) ديوان ابن زيدون: ١٣٣.
(٣) المغرب: ٢: ٢٠٣.

ويا عجبًا أشتاق خلوة من غدا ومثواه بين الحشا والترائب
ما ترى في دخوله بعد إذن أو تراه تعارض في انفصال؟!

فقد أستخدمت حفصة هذه العدّة الإغوائية، وهي مفاتن جسدها الانثوي لتستميل قلبه، وتتقرب إليه أكثر فأكثر.

ثمّ تكتب إليه مقطوعة أخرى تطلب منه: إمّا يزورها أو تزوره هي، فلم تعد تحتمل الفراق، وربّما لم يكن مضى على فراقهما زمن طويل، فتبعث إليه هذه الأبيات:

أأزورك أم تزور فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبدًا يميل
وقد أمنت أن تظمي وتضحي إذا وافى إليّ بك القبول
فثغري مورد عذبٌ زلالٌ وفرع ذوابتي ظلّ ظليل
فعجّل بالجواب فما حجبك أناتك من (بثينة) يا جميل

وفي هذين النصّين تبتعد حفصة عن دلال المرأة وكبريائها، فالمرأة مهما أستعرّ الحبّ في قلبها، ومهما صنعت بها الصبابة فالمفروض بها أن تخفي بعض ما تجد، وأن تعزز بنفسها فتكون مرغوبة لا راغبة، ولكنّ حفصة تضرب كلّ ذلك جانبًا، وتسلك هذا النمط الجديد من شعر المرأة الأندلسيّة، فهو سلوك مبتكر في عالم الشعر، وظاهرة لا يكاد يقبلها أي مجتمع من المجتمعات العربية إلّا المجتمع الأندلسي، وأنّ هذه العدّة الإغوائية أعني: (وصف مفاتن جسدها الانثوي لتستميل بها قلب حبيبها) قد زوّدتها الطبيعة بها، وعوّضتها عن عدّة الغلبة، والعزيمة التي يمتلكها الرجل.

ولهذه الشاعرة البارعة نمط آخر من الغزل غير الذي ذكرناه، وهو (الغزل المتّسم بالغيرة) أجل الغيرة من كلّ شيء، فهي تغار على حبيبها من عين الرقيب، ومن الزمان، ومن المكان، فلو كان بمقدورها أن تضعه في عيونها إلى يوم القيامة فلم يكفها ذلك، وفي ذلك تقول[1]:

أغار عليك من عيني رقيبي ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنّي وضعتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

على ما يبدو أنّ أمّ الكرم لم تستطع السيطرة على عواطفها فلم تكتم هواها لذلك الفتى المعروف بـ (السمار) فصاحت بأعلى صوتها أمام الملأ تشكو ما جنته لوعة الحبّ عليها فتقول[2]:

يا معشر الناس ألا فاعجبوا ممّا جنتهُ لوعةُ الحبِّ
لولاه لم يُنزل ببدرِ الدجى من أفقه العُلوي للتُرْبِ
حسبي بمن أهواه لو أنّه فارقني تابعهُ قلبي

فهي تريد أن تشرك الناس معها في التعجب ممّا فعل الحبّ بها، وتلتمس لنفسها المعذرة من لوعة الحبّ، فمن أجل الحبّ ينزل بالقمر من عليائه إلى التراب، وتقول: إنّ حبيبها مهما فارقها تابعه قلبها، فهي معه في لقاء دائم، فهذه المعاني والصيغ هي أكثر ما وصل إلى أسماعنا من صراحة في إعلان العشق، فقد أطرحت أمّ الكرم كلّ معاني الكبرياء التي هي من مستلزمات طبيعة المرأة والتي يجب أن تتحلى بها.

---

(١) النفح: ٥: ٣٠٨.
(٢) نفح الطيب: ٥: ٣٠٢.

والنمط الآخر لغزل المرأة الأندلسيّة هو نمط:

الإغراء والإثارة والتشويق:

وفيه تظهر الشاعرة عاشقة لا معشوقة، فتغري حبيبها لعناصر التشويق والإثارة من خلال وصف مفاتنها، ومحاسنها، ومظاهر جمالها، وتزعّمت هذا النمط (حفصة بنت الحاج الركونية)؛ وذلك حين كتبت لحبيبها أبي جعفر بعض الأبيات تستأذنه بها للدخول عليه، فقالت له[1]:

زائر قد أتى بجيد الغزال ... مطلع تحت جنحة للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ... ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد ... وكذا الثغر فاضح للآلي

أمّا (زينب المرية) فهي الأخرى تشتدّ غيرتها على حبيبها، فتظنّ بأنّه يهوى فتاة أخرى غيرها، فتقول له[2]:

وذي حاجة ما باح وقد بدت ... شواكل منها ما إليك سبيل
لنا صاحب لا نشتهي أن نخونه ... وأنت لأخرى فارع ذاك خليل
تخالك تهوى غيرها فكأنّما ... لها في تظنيها عليك دليل

ولكنّ زينب على ما يبدو لا تملك الدليل القاطع على ابن عمّها.

وتصل الغيرة لدى حفصة إلى حدِّ التشاؤم، فهي تغار من كلّ شيء، وتعده حائلًا، أو واشيًا، أو حاسدًا، فاتّسم غزلها بالخوف من الحسد، والنبرة

(١) النفح: ٥: ٣١١، والمغرب: ٢: ١٣٩.
(٢) معجم النساء الشاعرات: ١٦٦.

التشاؤمية لاسيّما في الأبيات التي تجيب بها أبا جعفر على أبيات بعثها لها، فتقول[1]:

لعمرك ما سـرّ الرياض بوصـلنا ولكنـه أبـدى لنـا الغـلّ والحسـد
ولا صـفق النهر ارتيـاحًـا بقربنـا ولا غرّد القمري إلّا لمّـا وجـد
فلا تحسـن الظن الذي أنت أهلـه فما هو في كلّ المواطن بالرشـد

فهذا لعمري أنواع جديدة من الغزل تبدأ بالحبّ والغرام، ثمّ تتحول إلى الغيرة، ثمّ تنتقل إلى مرحلة الأنانية والتشاؤم، أختصّت بها حفصة الركونية، تلك المرأة العاشقة لا المعشوقة، المتلهفة لا النتلهف إليها.

ويكتب إليها أبو جعفر يطلب منها الاجتماع، فمطلته قدر شهرين وهي المرّة الأولى التي تظهر دلالها، فكتب إليها ببعض الأبيات فأجابته تقول[2]:

يـا مـدّعي في هوى الحسـ ـنِ والـغـرام الامـامـه
أتـى قـريضـك لـكـن لـم أرضَ مـنـه نـظـامـه
أمـدّعـي الـحـبّ يـثـنـي بـأس الـحـبـيـب زمـامـه
ضـلـلـت كـلّ ضـلال ولـم تـفـدك الـزعـامـه
مـا زلـت تصـحـب مـذ كنـ ـت في السـباق سـلامه
حـتّـى عـثـرت وأخـجـلـ ـت بافتضـاح السـامه

(١) النفح: ٥: ٣٠٩ - ٣١٠.
(٢) الدر المنثور: ١٦٥ - ١٦٦.

بـــالله فـــي كـــلّ وقـــت بيدي الســـحاب انســـجامه
والـزهـر فـي كـلّ حـيـن يشـــقّ عـنـه كـمـامـه
لـو كـنـت تـعـرف عـذري كـفـفـت غـرب الـمـلامـه

وفي هذه الأبيات حددت حفصة الركونية مكان اللقاء وهو (قبة الكمامة)، فبادر أبو جعفر إلى ذلك المكان، فما كان إلّا قليلًا وإذا بها قد وصلت، وأراد عتبها، فأنشدت[1]:

دعـي عـدّ الـذنـوب إذا الـتـقـيـنـا تـعـالـي لا نـعـدو ولا تـعـدي

فهي لا تريد أن يعاتبها خوفًا من أن ينتهي العتاب إلى الشجار فتحدث الفجوة بينهما وهناك بعض الشواعر من قالت الغزل عن طريق الإجازة أو الإختبار، ومنهن جارية المعتضد العبادية فحين قال المعتضد لها وهي نائمة[2]:

تـنـام ومـدنـفـهـا يســـهـر وتصـــبـر عنـه ولا يصـــبر

فتجيبه على البديهة:

لـــئـــن دام هـــذا وهـــذا لـــه ســـيـهـلـك وجـدًا ولا يشـــعر

ومنهن (غاية المنى) التي قيل لها أجيزي[3]:

أســـألـوا غـايـة الـمـنـى من كســـا جســـمي الضـــنـا

(١) الشعر النسوي: ١٥٥. وفوات الوفيات، الكتبي، ج٢/ ص ٥٧١
(٢)(نفح الطيب: ٦: ١٩ ــ ٢٠.
(٣) المصدر السابق: ٦: ٢٢.

فأجابت:

وأرانـــي مـــتـــيـــمًـــا سـيـقـول الـهـوى أنـا

هذه هي الأنماط الغزلية التي قالتها الشاعرة الأندلسيّة، فكانت مقلّدة في بعضها، ومجددة في بعضها الآخر.

أمّا ألفاظها ومعانيها، فكانت فيها أكثر جرأة وصراحة من أختها الشرقيّة، لا بل حتّى من الشعراء الرجال.

ب ـ المدح:

وهو غرض تقليدي سار الأندلسيون في نظمه على نهج شعراء المشرق، فقد ذكروا الأطلال، ووقفوا على الديار، ووصفوا الرحلة إلى الممدوح، وكانوا أحيانًا يبدؤون قصيدة المدح بوصف الخمرة، أو وصف الطبيعة، أو المحبوبة، وكانوا في أحيان أخرى يدخلون إلى غرض المدح مباشرة دون مقدّمات.

ومن كبار شعراء المدح في الأندلس ابن هانيء، وابن درّاج القسطلي، وابن حمديس الصقلي وغيرهم، وكانت معظم قصائدهم موجهة إلى أمراء الأندلس، وخلفائها، وملوكها، وإنّ شعراء الأندلس وإن التقوا مع شعراء المشرق في بناء قصيدة المدح من حيث تعدد موضوعاتها إلّا أنّهم يخالفونهم في نوعيتها إلى حدٍّ ما؛ وذلك لأنّ لكل زمان موضوعاته وأساليبه، فللأندلسيين نكهة خاصة تختلف عن المشارقة يستطيع الشاعر من خلالها أن يحصل على إعجاب ممدوحيه به، وينال الحظوة عنده، هذا بالنسبة إلى شعراء الأندلس، فكيف مدحت الشاعرة الأندلسيّة ممدوحيها؟! ولماذا؟!

لقد وجدنا أنماطًا من المدح تختلف عمّا وجدناه عند الشعراء، ولمسنا أسبابًا تتناسب ووضع المرأة جعلتها ترسل بقصائدها إلى من تمدحه، فمن طبيعة المرأة (الحياء والخجل) فبعض النساء العفيفات يصعب عليهن البوح أو الإفصاح عمّا تكنّه من إعجاب لشخص ما - وذلك بحكم تربيتها والبيئة التي عاشت فيها -، فنحاول أن تمدحه بصفات مقاربة للغزل، ومن ذلك ما قالته حفصة بنت حمدون الحجارية وهي تمدح أحد رجال عصرها، فخالطت ذلك المدح بمسحة من الغزل؛ لأنّها كانت معجبة به، فقالت[1]:

رأى ابن جميلٍ أن يرى الدهرَ مُجملًا ... فكلُّ الورى قد عَمّهمُ سـيبُ نِعْمتِهْ
لـه خلقٌ كـالخمرِ بعـد امتزاجهـا ... وحُسـنٌ فمّا أحلاهُ مِنْ حين خِلْقَتِهْ
بوجهٍ كمثل الشـمسِ يدعو ببشـره ... عيونًـا ويعيشـهـا بـإفراطِ هَيْبَتِـهْ

ومن طبيعة المرأة (الشكوى والتظلم) فهي بحاجة إلى من يحميها من جور الجائرين، وظلم المعتدين، وهذا ما وجدناه في مدح حسّانة التميمية للأمير الحكم بن هشام مسترفدة إيّاه بعد وفاة والدها، متسمة شعرها بالشكوى؛ لأنّها أصبحت كسيرة الجناح ليس لها من تأوي إليه، فنراها تقول[2]:

إنّي إليـك أبـا العـاصـي موجعـة ... أبا الحسـين سـقته الواكف الديَمُ
قـد كنـتُ أرتع في نعمـاه عـاكفـة ... فـاليوم آوي إلى نعمـاك يـا حَكَمُ

(١) نفح الطيب: ٦: ٢١.
(٢) نفح الطيب: ٦: ٢١.

أنت الإمام الذي انقاد الأنام له ... وملّكته مقاليدَ النهى الأممُ
لا شيءَ أخشى إذا ما كنت لي كنفًا ... آوي إليه، ولا يعْروني العدَمُ
لا زلت بالعزّةِ القعْساء مرتديًا ... حتّى تذلّ إليك العُرْبُ والعَجَمُ

وفي هذه الأبيات لم تبتعد حسّانة عن روح القصيدة العربية المشرقيّة الأمويّة في صوغها للمعاني، وفي نهجها وأسلوبها، فليس فيها شيء من الأندلسيّة، وهي أنثوية التعبير، وتشاء الأقدار ويموت أبو العاصي (الحكم)، ويأتي بعده ابنه (عبد الرحمن) ويصيب حسّانة الظلم من قبل عامل مدينتها (البيرة) المدعو جابر بن لبيد، فتذهب إلى الأمير عبد الرحمن تشكوه، وتمدح الأمير بهذه الأبيات[1]:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي ... على شحطٍ تصلى بنارِ الهواجرِ
ليجبر صدعي أنّه خير جابر[2] ... ويمنعني من ذي الظلامة جابرِ
فإنّي وأيتامي بقبضةِ كفّهِ ... كذي ريشٍ أضحى في مخالب كاسرِ
جدير لمثلي أن يقالَ[3] مروءةً ... لموت أبي العاص الذي كان سيّدا
سقاه الحيا لو كان حيًّا لما اعتدى ... عليَّ زمانٌ باطشٌ بطشَ قادرِ
أيمحو الذي خطّته يمناهُ جابرٌ ... لقد سامَ بالأملاك إحدى الكبائرِ

(١) النفح: ٥: ٢٩٩.
(٢) يجبر صدعي: ينصف ظلامتي.
(٣) يقال: من أقال العثرة: ساعد وقدّم يد المساعدة والعون.

وبعد أن رُفعت ظلامتها، وردّت إليها حقوقها، كتبت إليه بأبيات تمدحه وتشكره فيها، وتقول[1]:

ابن الهشـــامين خير الناس مأثرةً ... وخـيـر مـنـتـجـعٍ يـومًـا لـروّادِ
إنْ هزّ يوم الوغى أثناء صـــعدتهِ ... روّى أنابيبها من صـرف فرصـادِ
قل للإمـام أيـا خير الورى نسـبًـا ... مـقـابـلًا بـيـن آبـاءٍ وأجـدادِ
جوّدت طبعي ولم ترضَ الظلامة لي ... فهـاك فصـــلُ ثنـاء رائح غـادِ
فـإن أقمـت ففي نعمـاك عـاكفـةٌ ... وإن رحلـت فقـد زودتني زادي

إنّ الذي يقرأ قصائد حسّانة يتذكر أشعار جرير في عبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك، فأشعارها كأشعار سابقيها لا جدّة فيها.

كما وجدنا مثل ذلك عند (أسماء العامرية) حين مدحت عبد المؤمن بن عليّ ملك الموحدين، وطلبت منه أن يرفع ما وقع على أموالها من اعتقال، فقالت[2]:

عرفنـا النصـــر والفتح المبينـا ... لســـيّدنـا أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا
إذا كـان الحـديـث عن المعـالي ... رأيـت حـديثكم فينـا شـــجونـا

وفيها تقول:

رويـتـم عـلـمـتـه فـعـلـمـتـوه ... وصنتم عهـــــــــده فغـــــدا

(١) النفح: ٥: ٣٠١، ومعجم النساء الشاعرات: ٥٤.
(٢) النفح: ٦: ٢٨.

أمّا مريم بنت أبي يعقوب فقد خالطت (لابن المهند) بالشكر والثناء؛ لأنّه أرسل لها دنانير وقصيدة، فكتبت له بعض الأبيات سنذكر منها هذين البيتين؛ لأننا سندوّنها ضمن المساجلات الشعرية في هذا الفصل.

والبيتين هما[1]:

من ذا يجاريك في قول وفي عمل ... وقد بدرت إلى فضل ولم تُسل

ما لي بشكر الذي نظمت في عنقي ... من اللالي وما أوليت في قُبُلي[2]

ومن الشواعر من كانت ترتجل الشعر ارتجالًا، أي إنّها مدحت ممدوحها دون حاجة يقضيها لها، وإنّما جاء مدحها تحية واحترامًا له؛ وذلك كمدح عائشة القرطبيّة عندما دخلت إلى المظفر بن المنصور بن أبي عامر، وكان بين يديه أحد أولاده، فحيّته، ومدحته قائلة[3]:

أراك الله فيه ما تريد ... ولا برحت معاليه تزيدُ

فقد دلت مخايله على ما ... تؤمله وطالعه السعيد

تشوقت الجياد له وهزّ ... الحسام هوى وأشرقت البنودُ

وكيف يغيب شبلٌ قد نمته ... إلى العليا ضراغمة أسودُ

فسوف تراه بدرًا في سماء ... من العليا كواكبه الجنودُ

---

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٨ - ٣٨٩، وبغية المتلمس: ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٢) قبلي: (بضم فضم): من قبل.

(٣) نفح الطيب: ٦/ ٢٦.

(٤) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٣٣ - ١٣٤.

فـأنـتـم آل عـامـر خـيـر آلٍ زكـا الأبـنـاء مـنـكـم والـجـدودُ
ولـيـدكـم لـدى رأي كشـيـخ وشـيـخكـم لـدى حـرب ولـيـدُ

وعائشة حين مدحت الملوك كانت تحافظ على إبائها فلم تذلّ نفسها، وكانت معانيها عذبة رقيقة ممّا جعلت بعض الشعراء يتأثر بها، وينسج على منوالها قصيدة في الهجاء، وهو الشاعر الأندلسي أبو بكر الأبيض المعروف بالهجاء[1]، ومدحت قمر البغدادية مولاها إبراهيم اللخمي بهذين البيتين[2]:

مـا في المغـارب من كريم يرتجى إلّا حـلـيـف الـجـود إبـراهـيـم
إنّـي حللـت لـديـه منزل نعمـةٍ كـلّ الـمـنـازل مـا عـداه ذميـم

ومدحت حفصة الركونية الملك عبد المؤمن بن عليّ ارتجالًا بين يديه[3]:

يـا سـيّـد الـنـاس يـا مَـنْ يـؤمَّـل الـنـاس رفْـدهْ
أمْـنُـنْ عـلـيَّ بصَـكٍّ يـكـونُ لـلـدهـرِ عُـدَّهْ
تـخـطُّ يـمـنـاك فـيـهِ و(الـحـمـدُ للهِ وَحْـدهْ)

إنّ معاني المدح التي طرقتها الأندلسيّة تتجلى في الجود، والفضل، والكرم، والحسب، والنسب، والآباء، والأجداد، وتحقيق النصر والفتوحات، والمعالي، وهذه المعاني لم تكن جديدة، بل طرقها المشارقة والأندلسيون، ولكن الملفت

(١) نفح الطيب: ٤/ ١٣٧.
(٢) نزهة الجلساء: ٤١، وهي تشير في البيت الثالث إلى العلامة السلطانية للموحدين.
(٣) المغرب: ١: ١٤٣، والنفح: ٥: ٢٩.

للنظر إنّ هناك نمط جديد وقليل طرقته حفصة بنت حمدون الحجارية حين خالطت الإعجاب والغزل بالمدح.

أمّا بقيّة الشواعر فقد مدحن من كان لهن كنفًا وسدًّا في الملمات.

كما ظهر نمط آخر وهو مدح المرأة للمرأة، فقد مدحت مهجة القرطبيّة أستاذتها ولّادة ببيتين، وعدّت بهما من المتقدّمات على فحول الذكران، فقد أقرّ لها النقّاد بالتقدّم؛ لأنّها من أجود الشعر وأطيبه، والبيتان هما[1]:

لئن حلأت عن ثغرها كلّ حائم فما زال يحمي عنْ مُطالبه الثغر

فذاك تحميه القواضبُ والقنا وهذا حماهُ من لواحظها السحر

وهناك نمط آخر من المدح قالته ولّادة، فقد مدحت أبا عامر بن عبدوس، وخالطته بالسخرية والفكاهة حينما رأته جالسًا أمام بركة لجمع القاذورات، فقالت [2]:

أنتَ الخصيبُ وهذه مصرُ فتدفّقا فكلاكما بحرُ

هذه هي الأنماط التي جددت بها الأندلسيّة في المدح.

---

(١) المغرب: ١: ١٤٣، والنفح: ٥: ٢٩.

(٢) ديوان ابن زيدون: ٣٢، والذخيرة: م ق: ٤٣٢، والبيت قاله أبو نواس في خاتمة قصيدة بها الخصيب عامل مصر.

ج- الفخر:

من المعروف أنّ شعر الفخر عند العرب يخالطه شعر الحماسة، وأنّ الفخر عند الأندلسيين غالبًا ما كان ممزوجًا بالعاطفة الدينية لتأصلها في نفوسهم، وللعداوة التي كانت بينهم وبين الفرنجة جيرانهم، ولطبيعتهم الهادئة المائلة إلى الإستقرار.

أمّا الفخر عند المرأة الأندلسيّة، فكثيرًا ما فخرت بنفسها، وجمالها، وقدراتها، وعلوّ همتها، وهذا طبيعي؛ لأنّ المرأة عندها غريزة حبّ الظهور، والتباهي أمام الآخرين.

وتطالعنا ولّادة وهي تفخر بنفسها، وتكتب على عاتقي ثوبها بالذهب[1]:

أنـا والله أصـلـحُ لـلـمـعـالـي وأمشـي مشـيتي وأتيـه تيهًـا

وتأتي نزهون لتفخر بجمالها في إجازتها للشاعر الكندي أبي بكر الغرناطي حين قالت [2]:

لـو كنـت تبصـر مَنْ تكلّمـه؟ لـعـدوت أخـرس مـن خـلاخـلـه

الـبـدرُ يـطـلـعُ مـن أزرتـه والـغصـن يمرحُ في غلائلـه

وافتخرت قمر البغدادية بنفسها، وعلو همتها حينما ردّت على النساء اللائي كن يتغامزن إذا غنّت، ويتهامسن إذا مرّت، فقالت[3]:

---

(١) ديوان ابن زيدون: ٣١، والذخيرة: م١ ق١: ٤٢٩.

(٢) المغرب: ٢: ١٢١، ونزهة الجلساء: ٩٩ – ١٠٠.

(٣) شاعرات العرب، عبد البديع صقر: ٣٢٧، ومعجم النساء الشاعرات: ٢١٥.

قـالوا أتـت قمرٌ في زي أطمـار ... من بعد مـا هتكت قلبًا بـأشـفـار
تمشـي على وجلٍ تغدو على سـبلٍ ... تشـقّ أمصـار أرض بعد أمصـار[1]
لا حرّة هي من أحرار موضـعها ... ولا لهـا غير ترسـيل وأشـعار
لو يعلمون لمـا عـابوا غريبتهم ... لله مـن أمّـةٍ تـزري بـأحـرار
مـا لابن آدم فـخرٌ غير همتـه ... بعـد الـديـانـة والإخلاص للبـاري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه ... لا يخلص الجهل من سبٍّ ومن عار
لـو لـم تـكن جنّـة إلّا لـجـاهلـة ... رضـيت عن حكم ربّ الناس بالنار

فليس للإنسان إلّا ما سعى بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ، فهي تفخر بعلو همتها، وتذمّ الجهل وأهله، وترضى بالنار إذا ما كانت الجنّة قد أعدّت لامرأة جاهلة، وهذا الفخر صادر من جارية مغنية ليس لديها من سلعة إلّا الغناء والشعر ومهارتها بهما.

أمّا عائشة القرطبيّة، فكانت رغم أنوثتها ذات إباء، وهمّة، وترفع، ونراها تقول لأحد الشعراء وقد تقدّم لخطبتها، فوجدته غير كفء لها هذين البيتين[2]:

أنـا لـبـوة لـكـنـي لا أرتضـــي ... نفســي مناخًا طول دهري من أحد
ولـو أننـي أختـار ذلـك لـم أجـب ... كلبًا وكم غلقت ســمعي عن أســد

(١) الوجل: الخوف، والسبل: أسبال الدموع.
(٢) نزهة الجلساء: ٦٢، ونفح الطيب: ٤: ٢٩٠.

أمّا الأميرة بثينة بنت المعتمد فقد فخرت بحسبها ونسبها، ومجد عائلتها التليد، وماضيها العتيد ممزوجًا بالشكوى من الزمان، فقالت[1]:

من عزا المجد إلينا قد صدق ... لم يُلم من قال مهما قال حق
مجدنا الشمس سناء وسنا ... من يرم ستر سناها لم يطق
أيّها الناعي إلينا مجدنا ... هل يضرّ المجد أن خطب طرق
لا ترع للدمع في آماقنا ... مزجته بدمٍ أيدي الحرق
حنق الدهر علينا قسطًا ... وكذا الدهر على الحرّ حنق
وقديمًا كلف الملك بنا ... ورأى منا شموسًا فعشق
قد مضى منّا ملوك شهروا ... شهرة الشمس تجلّت في الأفق
نحن أبناء بني ماء السما ... نحونا تطمعُ ألحاظُ الحدَق
وإذا ما أجتمع الدين لنا ... فحقير ما من الدنيا أفترق
حججًا عشرًا وعشرًا بعدها ... وثلاثين وعشرين نسق
أشرقت عشرون من أنفسنا ... وثلاث نيّراتٍ تأتلق

وافتخرت ولّادة بتمسكها بمبادىء الإسلام، وبعفّتها، والمثل التي تحلّت بها، فقالت[2]:

إنّي وإن نظر الأنام لبهجتي ... كظباء مكّة صَيدُهنّ حرام

---

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٦، والمرأة في الشعر الأندلسي: ٣٠٥.
(٢) ديوان ابن زيدون: ٣٠.

يحســـبنّ من لين الكلام فواحشًـــا ويصـــدُهُنّ عن الخنـا الإســـلام

وافتخرت صفيّة بنت عبد الله الربي بمقدرتها في الكتابة، وإجادتها الخطّ؛ وذلك بعد أن عابت امرأة خطّها، فقالت لها[1]:

وعائبة خطّي فقلتُ لها اقصـــري فســوف أريك الدرّ في نظمِ أسـطرِ

ونـاديـت كفّي كي تجود بخطّهـا وقرّبـت أقلامي وورقي ومحبري

فخطـت بـأبيـات ثلاثٍ نظمتـهـا ليبدو لها خطّي فقلتُ لها أنظري

فظهر لنا أنّ الفخر لدى الأميرات أقتصر على الأحساب، والأنساب، والأمجاد، والمعالي، بينما بقيّة الشواعر فقد أفتخرت كلّ منهن بما وجدت في نفسها ما يستحق الإفتخار، فهذه بحسن خطّها، وتلك بعلو همتها،... الخ.

وممّا سبق يتضح لنا أنّ كلّ معاني الفخر لدى شواعر الأندلس هي معانٍ فردية، وأنّ فخرهنّ لا يخالطه شيء من الحماسة.

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٨، والصلة: ٢:٦٦٥.

د- الهجاء والسخرية:

لقد قسّم ابن بسّام صاحب الذخيرة الهجاء قسمين: قسم يسميه العرب: هجو الأشراف، وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابًا مقذعًا، ولا هجوًا مستبشعًا، وإنّما هو توبيخ وتعبير.

والقسم الثاني: هو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته، وكان يقول: ((إن هجوتم فأضحكوا))، ولم يذكر في كتابه نماذج هجاء الأندلسيين من القسم الأوّل، ولكنه أورد بعض نماذج من مليح تعريضه الذي يتضمن هجاء غير صريح، ومعنى ذلك أنّ الشعر الأندلسي لم يخل من الهجاء بنوعيه، فقد أقتفى الأندلسيون أثر المشارقة في هذا الفن أيضًا[1] مع اختلاف بسيط في ما بينهما من حيث طول قصيدة الهجاء وقصرها.

وظهرت اتجاهات عدّة للهجاء في الأندلس منها: هجاء الفقهاء، والمرائين، والمتكسبين بالعلم والزهد وهو أقرب إلى النقد الإجتماعي.

والاتجاه الآخر هجاء المرابطين، واتجاه ثالث يتمثل في هجاء الملوك والحكّام، ونوع آخر هو هجاء الشخصيات العامّة، وهناك اتجاه أخير وهو الهجاء الفاحش المليء بالقذف والسباب ممّا يؤذي المشاعر، ويبعث الإشمئزاز في النفوس، وقد تزعّمه أبو بكر المخزومي الذي كان يلقّب بـ (بشّار الأندلس) و(هجّاء الأندلس).

---

(١) ينظر: الأدب العربي في الأندلس: ٢٤١ ــ ٢٥٤ (الهجاء).

ومن شواعر الأندلس من استهواها هذا النوع من الهجاء كنزهون بنت القلاعي، وولّادة بنت المستكفي، ومهجة بنت التياني، ويرجع السبب في انتشار هذا النوع من الهجاء تلك المساجلات التي كانت تحدث في المجالس، فهي بحاجة إلى نوع من الطرافة والسخرية.

أمّا لجوء المرأة الشاعرة إلى هذا الفن فقد يعود إلى أنّها أرادت أن تلفت أنظار الرجال إليها عن طريق إضحاكهم لتحتل منزلة النديم عندهم[1]. أو لأنّها أرادت أن تظهر جدارتها فيه لتثبت بأنّها ليست أقل من الشعراء الرجال، فقد قالت: ما نقص عن فحول الذكران، فهي كما قال ابن بسّام عنها: ((إن هجت أجرّت لسان جرير))[2]

واعتدنا أن نقرأ في شعر الهجاء كلامًا موجهًا إلى الأعداء للنيل منهم، ولكننا وجدناه عند ولّادة موجهًا حبيبها ابن زيدون، فقد لقّبته بالمسدس لتثير الضحك والسخرية في مجلسها، فقالت[3]:

ولقّبت المسدس وهو نعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارقُ
فلوطي ومأبون وزانٍ وديّوثٌ وقرنانٌ وسارقُ

وما أخفّ ما قالته في هجاء ابن زيدون قولها[4]:

---

(١) المرأة في الشعر الأندلسي: ٣٠٧.
(٢) الذخيرة: م١ ق١: ٣٣ – ٣٤.
(٣) ديوان ابن زيدون: ٣٣ – ٣٤، وتمام المتون: ١١.
(٤) نفح الطيب: ٥: ٣٣٧.

إنّ ابن زيدون على فضله يغتابني ظلمًا ولا ذنب لي
يلحظني شزرًا إذا جئته كأني جئت لأخصي علي

وقالت فيه أيضًا[1]:

إنّ ابن زيدون على فضله يعشق ..... [2]
لو أبصرت ... على نخلةٍ صار من الطير الأبابيلِ

ولم تكتفِ ولّادة بهجاء ابن زيدون، وإنّما هجت الأصبحي هجاءً مقذعًا في قولها له[3]:

يا أصبحي أهنأ فكم نعمة جاءتك من ذي العرش ربّ المنن
قد نلت (...) ابنك ما لن ينل (...) بوران أبوها الحسن

فهجاء ولّادة وصل إلى حدّ الفحش، والبذاءة، والمجون ممّا يعجز عنه لسان الرجال ناهيك عن النساء.

أمّا نزهون فلم تكن أقلّ فحشًا وبذاءة من ولّادة، فقالت وهي تردّ على الشاعر المخزومي عندما هجاها هذه الأبيات[4]:

قل للوضيع مقالا يتلى إلى حين يحشرْ

(١) نفح الطيب: ٤: ٢٠٦.
(٢) ضعنا نقاطًا بدل الكلمات المبتذلة التي لا نرغب في تدوينها.
(٣) نزهة الجلساء: ٨٩.
(٤) الإحاطة: ١: ٤٣٤ وقد سقط البيت الرابع فيها، ومعجم النساء الشاعرات: ٢٥٠ – ٢٥١.



مـن الـمـدور أنشـــئـت والـ ... مـــنـــه أعـــطـــرْ
لـذلـك أمســـيـت صـــبًـا بـكـلّ شـــيء مـدور
خـلـقـت أعـمـى ولـكـن تـهـيـم فـي كـلّ أعـور
جـازيـت شـــعـرًا بشـــعـرٍ فـقـل لـعـمـري مـن أشـــعـرْ
إن كـنـت فـي الـخـلـق أنـثـى فـإنّ شـــعـري مـذكّـر

فعاود المخزومي هجاءها، فردّت عليه بهذه الأبيات[1]:

إن كـان مـا قـلـت حـقًّـا مـن نـقـض عـهـد كـريـم
مضـــار ذكـري ذمـيـمًـا يـعـزى إلـى كـلّ لـوم
وصـــرت أقـبـح شـــيء فـي صـــورة الـمـخـزومـي

ومن صور الهجاء الساخرة تلك التي قالتها نزهون لشخص معجب بها، راغبًا في تحمل العذاب ما دام بقربها، فقال لها: ((ما على من أكل معك خمسمائة سوطًا؟ فأجابته)) [2]:

وذي شـــقوة لمـا رآني رأى لـه تمنيه أن يصلى معي جاحم الضرب
فقلـت لـه كلهـا هنيئًـا فـإنّمـا خلقت إلى لبس المطارف والشرب

وعندما خطبها رجل قبيح المنظر أجابته ساخرة منه[3]:

---

(١) تحفة القادم: ٥٨٤.
(٢) شاعرات العرب: ٤٤٩.
(٣) بغية المتلمس: ٢: ٧٣٢.

عـذيـري مـن عـاشـــقٍ أنـوكٍ سـفيـه الإشـــارة والمنزع[1]
يـروم الـوصـــال بـمـا لـو أتـى يروم بـه الصـــفح لم يصـــفع
بـرأس فـقـيـر إلـى كـيّـة ووجـه فـقـيـر إلـى بـرقـع

أمّا حفصة بنت حمدون الحجارية فقد هجت عبيدها وذمّتهم بقولها[2]:

يـا ربّ إنّـي من عبيـدي علـى جمر الغضـــى ما فيهم من نجيب
إمّـا جـهـولٌ أبـلـهُ مـتـعـبٌ أو فطنٌ من كيده لا يجيب

وقد هجت المرأة المرأة ومثل ذلك هجاء مهجة لأستاذتها ولّادة بقولها[3]:

ولّادة قـد صـــرت ولّادة من غير بعل فضـــح الكـاتم
حـكـت لـنـا مـريـم لـكـنـمـا نـخـلـة هـذي ... قـائـم

ولشدّة وقع هذين البيتين يقول صاحب النزهة عنها: ((فلو سمع ابن الرومي هذا لأقرّ لها بالتقدّم)) [4].

ومع كلّ هذه الأشعار فالهجاء في شعر الأندلسيات قليل نسبيًا.

---

(١) وروي البيت في المقتضب من تحفة القادم: ٢١٦ برواية أخرى، والأنوك: الأحمق.
(٢) نزهة الجلساء: ٤٤.
(٣) المغرب: ١: ١٤٣.
(٤) نزهة الجلساء: ٨١.

هـ - الشكوى:

إنّ شعر الشكوى عند الأندلسيين بدأ مع عبد الرحمن الداخل حين طالت غربته، وبعد عن أهله ووطنه، فكتب لأختٍ له بالشام يشكو لها معاناته، ولوعته من بعده عنهم بمقطوعة شعرية مشهورة أوّلها:

أيّـهـا الـراكـب الـمـيـم أرضـــي أقرّ من بعض الســـلام لبعضـــي

وبعد ذلك ظهر شعر الشكوى عند بعض الأندلسيين الذين قدّر لهم أن يذوقوا مرارة السجن بسبب الصراعات السياسية التي كانت سائدة، ومنهم يحي بن الحكم الغزال، وابن زيدون، وابن عمّار وزير المعتمد، وحتّى الملك المعتمد بن عبّاد الذي وقع أسيرًا، ونفي إلى المغرب.

أمّا الشكوى عند المرأة الأندلسيّة فقد اتّخذت اتجاهات عدّة منها: الشكوى من كبر السن، وذهاب الشباب، والعجز عن المسير، وهذا ما شكت منه مريم بنت أبي يعقوب حين بلغت السابعة والسبعين من عمرها، فرسمت لنا صورة واقعية عن حالتها فتقول[1]:

وما ترتجي من بنت ســبعين حجّةً وســبع كنســج العنكبوت المهلهل

تدبّ دبيبَ الطفلِ تسـعى إلى العصـا وتمشـي بها مشـي الأسـير المكبلِ

كما شكت المرأة الأندلسيّة وحدتها، ووحشتها دون صاحب او رجل يحميها، وهذه مسألة طبيعية بالنسبة للمرأة، وفي ذلك تقول قسمونة[2]:

---

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٨، وبغية المتلمس: ٥٢٨، والصلة: ٢: ٦٩٤.

(٢) نفح الطيب: ٥: ٧٤.

يـا ظبيـة ترعى بروضٍ دائمًـا ان حكيتـك في التوحش والحور
أمســى كلانا مفردًا عن صــاحبٍ فلنصــطبر أبـدًا على حكم القـدر

ولم تكتفِ قسمونة بالشكوى عن الوحشة والتفرد، بل أسفت على ذهاب شبابها وجمالها سدًى دون أن تكمل نصف دينها الآخر فقالت[1]:

أرى روضــة قد حان منها قطافها ولســت أرى جـان يمدّ لهـا يـدا
فوا أسـفًا يمضـي الشـباب مُضـيعًا ويبقى الذي ما أن أســميه مفردا

وهناك اتجاه أخر للشكوى، وهو شكوى جور الزمان، وغدر الأيّام كقول الأميرة بثينة بنت المعتمد وقد خالطته بالحكمة والموعظة[2]:

مـا يعلم المرء والـدنيـا تمرُّ بـه بـأنّ صــرف ليـال الـدهر محذورُ
بين الفتى مُتردّ في مســرّتـه وافى عليـه من الأيّـامِ تـعييرُ
وفرّ خُســرًا فلا الأيّـامُ دُمن لـه ولا بمـا وعـد الأحرارُ محبورُ
من بعد ســبعٌ كـأحلامٍ تمرّ ومـا يرقى إلى الله تـهليـلٌ وتكبيرُ
يحـلُّ ســوء لقومٍ لا مردّ لـهُ ومـا تـردُّ مـن الله الـمـقـاديـرُ

وهناك نوع آخر من الشكوى لديهن وهو الشكوى من جور الحكّام وظلمهم، فلم تحتمل الشاعرة الجريئة صاحبة الصوت المرتفع (الشلبية) التي وجّهت شعرها إلى السلطان يعقوب المنصور أحد ملوك الموحدين رسالة ختمتها ببعض الأبيات الشعرية لم تحتمل الجور والظلم، فقالت[3]:

---

(١) نفح الطيب: ٥: ٧٣.
(٢) مختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٥.
(٣) النفح: ٦: ٢٩ – ٣٠.

قـد آن أن تبكي العيون الأبيـة ... وقـد أرى أنّ الحجـارة بـاكيـهْ
يا قاصـــدَ المصـــر الذي يرجى به ... إن قـدّر الرحمنُ رفعَ كراهيـهْ
نـادِ الأمـيـر إذا وقـفـتُ بـبـابـه ... يـا راعيًـا إنّ الرعيّـة فـانـيـهْ
أرســلتهـا هَملًا ولا مرعى لهـا ... وتركتهـا نهـب الســباع العاديـهْ
(شِــلْبٌ) كلا ســلب وكانت جنّةً ... فـأعـادهـا الطـاغون نـارًا حـاميـهْ
خـافوا ومـا خـافوا عقوبـة ربّهم ... والله لا تخفى عليـه خـافيـهْ[1]

لقد كانت موضوعات الشكوى تتناسب تمامًا مع طبيعة المرأة، وكانت موفقة في استخدام سلاحها المعروف (المقدرة الكلامية، وذرف الدموع) لاستمالة قلوب الآخرين.

و- العتاب:

مثلما طرقت الشاعرة الأندلسيّة أغراض وفنون الشعر العربي المختلفة، أسهمت في نظم العتاب، وقد وجدت فيه سبيلًا سهلًا، ومتنفسًا سريعًا لمن تحبّ، فحين مال ابن زيدون لجارية حبيبته ولّادة كتبت له ولّادة هذا العتاب[2]:

لو كنت تنصـفُ في الهوى ما بيننا ... لـم تـهـوَ جـاريـتـي ولـم تـتـخـيّـرِ
وتركـت غصـنًـا مثمرًا بجمـالـهِ ... وجنحـت للغصـن الـذي لم يثمرِ
ولقـد علمـتَ بـأنّي بـدرُ السـمـا ... لكن دُهيتَ لشـقوتي بالمشـتري

(١) في الدر المنثور: ٢٥٦ وردت كلمة (عاثوا) بدلًا من (خافوا) الأولى هي أنسب للمعنى.
(٢) ديوان ابن زيدون: ٣٣، والذخيرة: م١ق١: ٤٣١.

ومن أجمل ما كتب وأبدع في العتاب ما كتبت به حفصة الركونية تعاتب حبيبها الوزير أبا جعفر وقد بلغها أنّه علق بجارية سوداء سعت إليه من بعض القصور، فقالت حفصة[1]:

يا أظرف الناس قبل حال ... أوقعهُ نحوهُ القدرْ
عشقتَ سوداء مثل ليلٍ ... بدائع الحسنِ قد سترْ
لا يظهر البشرُ في دجاها ... كلّا ولا يبصر الخفرْ
بالله قل لي وأنت أدرى ... بكلّ من هامَ في الصورْ
من الذي هامَ في جنانٍ ... لا نوار فيها ولا زهرْ؟

أمّا خديجة بنت أحمد المعافرية المعروفة بـ(خدّوج) فقد عاتبت أخاها الأكبر؛ لأنّه رفض تزويجها من حبيبها أبي مروان، فكتبت إليه تقول[2]:

أخي الكبير وسيّدي ورئيسي ... ما بال حظي منك حظٌ بخيسِ؟
أبغي رضاكَ بطاعةٍ مقرونةٍ ... عندي بطاعةِ ربّي القدّوسِ
فما زللتُ وجدتُ حلمكَ ضيقًا ... عن زلّتي أبدًا لفرط نحوسي
ولقد رجوتُ بأن أعيشَ كريمة ... في ظلّ طودٍ دائم التعريسِ[3]
ببقاء عزّك - لا عدمتُ بقاءَهُ - ... فإذا أنا أُصلى[4] بحرّ شموسِ

(١) الإحاطة: ١/ ٥٠٠
(٢) نزهة الجلساء: ٥١.
(٣) الطود: الجبل، تعرس: تعرس لامرأته: تودد وتحبب إليها.
(٤) أصلى: أحترق.

يـا سـيّـدي مـا هكـذا حكمُ النهى حقّ الرئيس الرفق بـالمرؤوسِ
فإذا رضـيتَ لي الهوانَ رضـيتهُ وجعلـتُ ثوب الـذلِّ خيرَ لبوسِ

فما أجمل هذا العتاب المشوب بالإحترام والطاعة، وهو دليل على الوشائج العائلية القويّة التي جمعت خديجة بأخيها الأكبر.

ز- الرثـاء:

هو السبيل الوحيد للتعبير عن مشاعر الحزن واللوعة التي يحي بها الإنسان عند فراق أحبّته وأقربائه، ومن الطبيعي أن تختلف عاطفة الحزن عند النساء عن الرجال حيث يتخذ حزن المرأة على فقيدها أشكالًا مختلفة تنطوي تحت مظهرين أساسين هما:

الأوّل: البكاء النسائي الخاص الذي يصحبه إيذاء النفس مع صياح وعويل وما إلى ذلك.

الثاني: بكاء عام يشترك فيه النساء والرجال، ويسوده الهدوء، والتحلي بالصبر والثبات، وقوّة الإيمان، وأبرز علاماته قول الشعر[1].

ويبدو أنّ الشاعرة حفصة الركونية حين فقدت حبيبها الوزير أبا جعفر كانت من النمط الثاني، فرثته ببعض المقطوعات الشعرية منها[2]:

---

(١) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى الخطيب: ١٣٥ – ١٣٨.
(٢) المغرب: ٢: ١٣٩.

ولو لم تكن نجمًا لما كان ناظري وقد غبتَ عنه مُظلمًا بعد نورهِ
سلامٌ على تلك المحاسنِ من شج تناءتْ بنعماهُ وطيب سروره

وفي اعتقادي أنّها كانت مجبرة على ذلك، وهذا واضح من قولها في رثائه أيضًا[1]:

هددوني من أجل لبس الحدادِ لحبيبٍ أردوه لي بالحدادِ
رحِمَ الله منْ يجودُ بدمعٍ أو ينوحُ على قتيل الأعادِي
وسقته بمثل جودِ يديه حيث أضحى من البلاد الغوادي

وقد يأتي الرثاء ضمن أبيات وأغراض أخرى كقول حسّانة التي رثت الحكم، ومدحت ابنه في المقطوعة ذاتها[2]:

جدير لمثلي أن يقال مروعة لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيًّا لما اعتدى عليّ زمانٌ باطشٌ بطشَ قادرِ

هذا كلّ ما وجدناه في الرثاء وقلّة المراثي في الشعر النسوي الأندلسي يدلّ بلاشك على فقدانها؛ لأنّه ليس من المعقول أن لا تقول: ((أشجى الناس قلوبًا عند المصائب))[3] مراثيًا فيمن فقدت من أحبّتها؟![4]

ومن الغريب أن لا تسهم الأندلسيّة في رثاء المدن ذلك الغرض الذي توسّع الأندلسيون فيه كثيرًا، وفاقوا المشارقة به.

---

(١) الإحاطة: ١: ٢٢٧، والشعر في عهد المرابطين: ١٨٣.
(٢) ينظر قصيدتها في غرض المدح في هذا الفصل.
(٣) العمدة لابن رشيق: ٢٦٩.
(٤) ينظر: شعر الرثاء في عصر الطوائف (رسالة ماجستير) عبد اللطيف يوسف، ١٩٨٨م.

ما عدا هذه اللمحة البسيطة التي قالتها (الشلبية) وهي تشكو جور الحكّام، وظلمهم على مدينتها (شلب) وتقول:

أرسلتها هملًا ولا مرعى لها وتركتها نهب السباع العاديهْ
(شِلْب) كلا شلب وكانت جنةٌ فأعادها الطاغون نارًا حاميهْ

وعسى الأيّام أن تكون كفيلة في الكشف عن المزيد من مراثيها.

ح - الإعتذار:

الكل معرض للخطأ، والوقوع في الزلل، وسبحان الذي لا يخطىء، ولكن خير الخطّائين عند الله التائبون، والمثل يقول: ((نعم البديل من الزلّة الإعتذار)) [1]، والمرأة لم تعصم من الخطأ، ولكنها حين وقعت فيه أسفت على ما بدر منها، وطلبت العذر، والسماح من الآخرين.

وأمّ العلاء تعتذر بصوت خافت رهيف، وتقول للشخص الذي ألحّ على قلبها فمالت إليه[2]:

إفهم مطارح أحوالي وما حكمتْ به الشواهدُ واعذرني ولا تكلّم
ولا تكلني إلى عذرٍ أُبينهُ شرُّ المعاذيرِ ما يحتاج للكلِمِ
وكلّ ما قد جئتهُ من زلّةٍ فيما أصبحتُ في ثقةٍ من ذلك الكرمِ

وحين وجدت (أنس القلوب) نفسها مذنبة بادرت إلى الإعتذار، وطلبت العفو والمغفرة، والإستعطاف، فقالت في خشوع وتبتل:

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ٤: ٢٩٤.
(٢) نزهة الجلساء: ٢٣، ونفح الطيب: ٥: ٣٠١ - ٣٠٢.

أذنبتُ ذنبًا عظيمًا فكيف منه اعتذاري؟
واللهُ قدّر هذا ولم يكن باختياري
والعفو أحسنُ شيءٍ يكون عند اقتدارِ

وهي تشير إلى الحكمة العربية التي تقول: ((العفو عند المقدرة)).

ط - الشكر والتهنئة:

أسهمت المرأة من خلال علاقاتها الإجتماعية الواسعة في هذا الفن الشعري، فقد نظمت الشكر لمن أهدى لها هديّة، وأرسلت التهاني في المناسبات لمن ترغب، فهذه مهجة بنت التياني تشكر أحد الأصدقاء؛ لأنّه أهدى لها هديّة من الخوخ، ولكنّ هذه الشاعرة عرفت بالخلاعة والمجون لذا جاء بيتها الثاني يحمل تلك الصفات فنراها تقول[1]:

يا مُتحفًا بالخوخ أحبابَهُ أهلًا به من مُثلجٍ للصدورِ
حلى ثديّ الغيد تفليكهُ لكنه أخزى (...)

أمّا حفصة الركونيّة فقد قدّمت التهاني لأبي جعفر بعد أن تولّى الوزارة، وترسل إليه هذه الأبيات من الشعر العذب فتقول[2]:

رأسْتَ فما زال العداة بظلمهم وعلمهم النامي يقولونَ ما رأسْ
وهل منكرٌ أن سادَ أهلَ زمانهِ جموحٌ إلى العليا حرونٌ عن الدنسْ

(١) النفح: ٥: ٢٩.
(٢) النفح: ٥: ٣٠٨.

وفي أحد الأعياد بعثت حفصة الركونية بأبيات شعرية تهنيء فيها أبا سعيد ملك غرناطة بهذه المناسبة فقالت[١]:

يـا ذا الـعـلا وابـن الـخـلـيـفـةِ والإمـــام الـــمـــرتضـــى
يـهـنـيـكَ[٢] عـيـدٌ قـد جـرى فـيـه بـمـا تـهـوى الـقـضـا
وأتـاك مـن يـهـواهُ فـي قـيـد الإنـابـة والـرضـا
لـيُـعـيـدَ مـن لـذّاتـهِ مـا قـد تصـرَّم[٣]وانقضـى

وفي بعض الأحيان يأتي الشكر ضمن أغراض أخرى كالمدح مثلًا، وهذا ما قالته حسّانة التميمية حين مدحت الأمير عبد الرحمن بعد أن رفع ظلامتها، فقالت من أبيات[٤]:

جوّدت طبعي ولم ترضَ الظلامةَ لي فهـاك فصـلُ ثنـاءٍ رائحٍ غـادِ
فـإنْ أقمـتُ ففي نعمـاكَ عـاكفـةٌ وإن رحلـتُ فقـد زوّدتنـي زادي

وقد بادرت مريم بنت يعقوب إلى شكر (ابن المهند) بعد أن مدحته فقالت[٥]:

ما لي بشـكر الذي نظمت في عنقي من اللآلي ومـا أوليـتَ من قبلي

---

(١) نزهة الجلساء: ٤٢.
(٢) هنيئًا لك وتهنئة بالعيد.
(٣) تصرّم: مضى وانقطع.
(٤) ينظر: المدح في هذا الفصل..
(٥) المصدر السابق.

وهذه النماذج الشعرية تدلّ على أن الشاعرة الأندلسيّة لم تكن في عزلة كما كانت المشرقيّة، بل كانت تربطها علاقات ودية مع أبناء مجتمعها لاسيما كبار الشخصيات.

ي - الحكمة:

قلّما نجد زمانًا من الأزمان يخلو من حكمةٍ، وموعظةٍ، ونصحٍ، وإرشاد، فلكلّ زمان أناس لهم تجاربهم الخاصة التي يستخلصون منها حكمهم، ونصحهم، وإرشادهم لمن سيأتي بعدهم، فهي مبثوثة بين أبيات القصائد كما وجدنا شعراء الأندلس قد أقتفوا أثر المشارقة في هذا الفن وفاقوهم فيه، ((وإنّه لم ينشأ من حكماء العرب وفلاسفتهم شعراء مجيدون قدر من نشأ منهم بالأندلس وحدها))[1].

ومن شعراء الحكمة في الأندلس يحي بن الحكم الغزال، وأبي الصلت أميّة بن عبد العزيز، وابن مرج الكحل، وغيرهم.

وكان للمرأة نصيب يسير في هذا الفن الشعري، فقد قالت بعض الشواعر الحكمة - وزيّنت بها أشعارها فلم تجعلها غرضًا قائمًا بذاته - كبثينة بنت المعتمد في فخرها وشكواها، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجارية في اعتذارها[2].

---

(١) تارخ الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص ٢١١، طبعة ١٩٧٦

(٢) ينظر: أشعار بثينة في غرضي الفخر والهجاء من هذا الفصل.

٢. فنون شعر المرأة الأندلسيّة الموسّعة:

أ - وصف الطبيعة:

لقد فاق الأندلسيون المشارقة في وصفهم لطبيعة بلادهم، وبرعوا فيه، وأبتكروا المعاني الجديدة التي تناسب تلك الطبيعة الجميلة؛ والسبب في ذلك يعود إلى ما وهبه الله تعالى جمال خلّاب، وتصوير رائع لطبيعة هذه البلاد من جهة، وإلى كثرة مجالس الأنس، واللهو، والغناء، والشرب التي توحي للشاعر بتكوين الصور، وتطلق العنان اخياله ليصل إلى أجواء جديدة واسعة فيأتي بما هو جديد مبتكر، ولم يتورع الأندلسيون في إظهار المجون، وخلعهم العذار في هذا الفن الشعري، فهذا الأديب أبو الحسن عليّ بن محمّد بن شفيع البسطي يقول في حسن بلاده وجمالها: ((لو طبعتُ على الزهدِ يحملني حسن بلادي على المجون، والعشق، والراحات))[١].

إنّ التغني بجمال البيئة الأندلسيّة لم يقتصر على شاعر دون آخر، أو أديب، أو فقيه[٢]، وعلى الرغم من ذلك فقد تميّز بعضهم بوصف الطبيعة كالشاعر ابن خفاجة الذي لقّب بـ(الجنّان) لكثرة وصفه الرياض والحدائق، والمرأة الأندلسيّة أحسّت بجمال طبيعتها، وتأثّرت بطبيعة بلادها فوصفتها وصفًا دقيقًا ورائعًا كما فعل الرجل فحمدة بنت زياد عشقت واديها الجميل ووصفته، ورسمت له أروع الصور، وأضفت عليه

---

(١) الروض المعطار: ٤٥.

(٢) في الشعر الأندلسي، د. عدنان صالح مصطفى: ٧٤.

بكلماتها العذبة الرقيقة الحيوية والنضارة، وأضافت عليه من عذوبة أنوثتها ورقّتها، فقالت[1]:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ	سقاهُ مضاعفُ الغيثِ العميمِ
حللنا دوحةُ فحنا علينا	حنو المرضعات على الفطيمِ
وأرشفنا على ظمأٍ زُلالًا	ألذّ من المُدامةِ للنديمِ
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنسيمِ
يروع حصاه حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النظيمِ

فما أروع البيت الأخير من هذه الأبيات، ففيه أكثر من صورة تؤكد جمالها وأدبها.

كما أنّ الأندلسيين لم يكتفوا بوصف طبيعة بلادهم بصورة عامّة، وإنّما وصفوا حتّى مدنهم الصغيرة التي كانوا يعيشون فيها فحمدة تعتزّ بواديها، وترسم له أكثر من صورة، فنراها تقول فيه أيضًا[2]:

أباح الدمع أسراري بوادي	له للحسنِ أثارٌ بوادي
فمن نهر يطوفُ بكلّ روضٍ	ومن روضٍ يرفُّ بكلّ وادي
ومن بين الظباء مهاةُ أنسٍ	سبت لُبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظٌ تُرَقِّدهُ لأمرٍ	وذاك الأمر يمنعني رقادي

(١) النفح: ٦: ٢٤.

(٢) النفح: ٦: ٢٣ ــ ٢٤.

إذا أسدلت ذوائبُها عليها رأيتَ البدرَ في أُفقِ السوادِ
كأنَّ الصبحَ مات له شقيقٌ فمن حُزنٍ تسربلَ بالحدادِ

وهذه الأبيات قالتها حمدة وهي تمرح على ضفاف واديها الجميل، وبعد أن نضت ثيابها عن جسدها ومعها صديقات لها، وأخذت تعوم بمياهه الصافية، فقدّمت لنا هذه الأبيات الرقيقة، فهي تستحق بحقّ لقب (شاعرة الطبيعة).

وقد خالطت حمدة وصفها الطبيعة بوصف إحدى صاحباتها، فبعد أن غنّت لواديها الوارف الظلال، والطبيعة الخلّابة، ونهره الجاري، وصفت إحدى صاحباتها، ولحظها، وذوائبها، ووجهها الصبوح، وعقدت مقارنة لطيفة بين سواد الذوائب وبياض الوجه.

ولم تكن حمدة وحدها معجبة بواديها، والمكان الذي تربّت وترعرعت فيه، فأمّ العلاء هي الأخرى تصف واديها المتواضع، وبستانها الجميل، وتقول[1]:

لله بستاني إذا يهفو به القصبُ المُنَدَّى
فكأنما كفَّ الريا ح قد أُسندتْ بندًا فبندا

ولغرامهم بطبيعة بلادهم نكاد لا نجد غرضًا إلّا وفيه بعض ألفاظ الطبيعة كالشمس، القمر، الليل، الصبح، الرياض، الزهر، الغصن المثمر، البدر...الخ، من ذلك ما قالته ولّادة في عتاب ابن زيدون[2]، وما قالته حفصة

(١) الشعر النسوي: ٩٤.
(٢) ينظر: العتاب في هذا الفصل.

الركونية تعاتب به أبا جعفر[١]، وما كتبته مريم بنت أبي يعقوب وهي تأسف على شبابها[٢]، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

ب - الحنين إلى الوطن:

أرض الوطن عزيزة على القلوب، جميلة في الأحداق، وفضلها لا تنساه أبدًا النفوس، وهذه الغريزة المتأصلة في النفوس الخيّرة المخلصة الصادقة تزداد وتتأجج عندما يغترب الإنسان عن وطنه، ويبتعد لمدة طويلة، ولمسافة نائية، وهذا الغرض قديم في الشعر العربي لكن الأندلسيين توسعوا فيه وأجادوا، فهذه (قمر البغدادية) شاءت بها الأقدار أن ترتحل عن بلادها، وتستقر في الأندلس، فباعد الزمن بينها وبين بغدادها، فتحسرت على فراقها، وتشوقت لرؤيتها، وحنّت إلى أهلها وبلدها العراق، فقالت[٣]:

أهًا على بغدادها وعراقها ... وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجهٍ ... تبدو أهلّتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما ... خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأي محاسنٍ ... في الدهر تشرقُ من سنا إشراقها

(١) ينظر: العتاب في هذا الفصل.
(٢) ينظر: غرض الشكوى في هذا الفصل.
(٣) النفح: ٤: ١٣٧.

فالرحيل هو أحد المواقف الإنسانية التي تعبر عن الغربة عن الوطن، أو الأهل، والأصحاب، والأحباب[1]، وتثير في النفس الأشجان والأحزان، ولم نجد غير هذه المقطوعة في هذا الفن ضمن أشعار المرأة الأندلسية.

ج - المساجلات الشعرية:

أطلقت كلمة (المساجلة) [2] على من قال شعرًا وردّ غيره عليه بمثل صنيعه في اختيار الوزن، وحرف الروي.

والمساجلات الشعرية قديمة فهي أقدم من المناظرات، فقد وجدنا مساجلة شعرية بين امرىء القيس وعلقمة وكانت أمّ جندب تحكم بينهما[3].

أي أنّ ظهورها كان في العصر الذي سبق الإسلام في حين أنّ المناظرات الأدبية ظهرت في العصر العباسي، وكان الجاحظ من روّادها[4].

---

(١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، أحمد حاجم محمّد (رسالة دكتوراه): ٨٣.

(٢) المساجلة في اللغة من السجل، وهي الدلو الضخمة المملوءة ماء، وساجل الرجل بآرائه، أصله في الاستسقاء وهما يتاسجلان، والمساجلة: هي المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي، ومنه قول الفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب:

من يساجلني يساجل ماجدًا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقال ابن بري: أصل المساجلة، أن يستسقي ساقيان فيخرج كلّ واحد منهما من سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيّهما نكل فقد غاب، فضربته العرب مثلًا للمفاخرة. ينظر: لسان العرب لابن منظور: ١١: ٣٢٥ مادة (سجل).

(٣) ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم: ٤٠.

(٤) تنظر: المناظرات في أدب الجاحظ، طالب هادي حميد البياتي (رسالة ماجستير): المقدّمة: (و)، وينظر: العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف: ٥٤٠.

وفي الأندلس انتشرت المساجلات الشعرية، وكانت للمرأة إسهامات فيها، ومنها تلك المساجلة التي دارت بين عبيد الله بن محمّد المهدي الأموي (صاحب إشبيلية)، والشاعرة مريم بنت يعقوب، فكتب إليها في إحدى مساجلاته في قرطاس فيه دنانير بيدي لها الإحترام، ويشبهها بمريم العذراء في نزاهتها، وطهرها وبالخنساء في جودة شعرها هذه الأبيات[1]:

ما لي بشـــكر الذي أوليتُ من قبلِ ... لو أنني حرتُ نطق الأنس والخبل[2]
يا فذّة الظرف في هذا الزمان ويا ... وحيدةِ العصرِ في الإخلاصِ والعملِ
أشـــبهت مريمًا العذراءَ في ورعٍ ... وفقتِ خنســاء في الأشـعارِ والمَثَلِ

فأجابته بقصيدة من البحر ذاته والقافية نفسها تشكره فيها وتمدحه، وتقول[3]:

من ذا يجاريك في قولٍ وفي عملٍ ... وقد بدرتَ إلى فضـــلٍ ولم تَســـلِ
ما لي بشـكر الذي نظمتَ في عنقي ... من اللآلي ومـا أوليـتَ من قبلي
حليتني بحلى أصـــبحـتُ زاهيـةً ... بهـا على كلّ أنثى من حلى عطلِ
لله أخلاقـك الغرّ التي ســـقيـتْ ... مـاء الفرات فرقـتْ رقّـةَ الغزلِ
أشـــبهت مروانَ من غارت بدائعه ... وأنجدت وغدت من أحســـنِ المثلِ
من كـان والدهُ العضـــب المهند لم ... يلد من النسـلِ غيرَ البيضِ والأسـلِ

---

(١) الصلة: ٩٩٥، والبغية: ٩٢٧، (وقيل: إنّها لابن هند).
(٢) الخبل: الجن، ويقال: خبّله وخَبَلَه واختبله إذا فسد عقله، الصحاح للجوهري: ٢٥١، وروي الشطر الثاني في النفح: ٦: ٢٧ على النحو الآتي: لو أنني نطقت اللسن في الخلل).
(٣) النفح: ٦: ٢٧.

إنّ رواية هذه الأبيات تؤكد أنّها ساجلت (المهدي الأموي) صاحب إشبيلية، وليس (ابن المهند) الشاعر، والدليل أنّها شبّهته بمروان جدّه.

ومن المساجلات الشعرية الظريفة التي جرت بين هند جارية الشاطبي والوزير ابن عامر حينما دعاها للحضور عنده بعودها؛ لأنّها كانت تحسن ضرب العود، فقال لها[1]:

يـا هنـدُ هـل لـكِ في زيـارة فتيـةٍ نبذوا المحارم غير شربِ السلسلِ
سـمعوا البلابل قد شـدّت فتذكروا نغمـات عودك في الثقيـل الأوّلِ[2]

فكتبت إليه في ظهر رقعته[3]:

يـا سـيّدًا حـاز العلا عن سـادةٍ شـمّ النـوف من الطرازِ الأوّلِ
حسـبي الإسـراع نحوك إنني كنتُ الجواب مع الرسـول المقبلِ

وكان لحفصة الركونية بعض المطارحات مع حبيبها أبي جعفر، فكتبت له ذات يوم[4]:

أزورك أم تـزورنـي فـإنّ قـلـبـي إلـى مـا تشـتـهـي أبـدًا يـمـيـلُ
وقـد أُمنّـت أن تظمى وتضـحى إذا وافـى إلـيّ بـك الـقـبـول

ويقرأ أبو جعفر أبياتها، فيجيبها بكلّ هدوء بهذين البيتين الرائعين:

---

(١) النفح: ٦: ٢٧.
(٢) في الشعر النسوي: ١٤٠ (وقد شدّوا).
(٣) نفح الطيب: ٤: ٢٩٣، وأعلام النساء: ٣: ١٦١٣.
(٤) المغرب: ٢: ١٦٦.

أُجلكم ما دام بي نهضة عن أن تزوروا إن وجدت السبيلْ
ما الروضُ زوّارًا ولكنّما يزوره هبّ النسيم العليلْ

والمساجلات الشعرية التي بين أيدينا تشير إلى أنّها كانت مساجلات وديّة بالإحترام المتبادل، والإنسجام التام بين الطرفين.

د - الظرف والدعابة (أدب الفكاهة):

ظهر هذا الفن في المشرق العربي في العصر العباسي الأوّل، واستطاع الجاحظ أن يكون رائد هذا اللون الأدبي في أدبنا العربي، فكان يشيع الضحك في مختلف مواضيعه، أيًّا كانت رصانة تلك المواضيع وقداستها فحتّى شروح القرآن، واختلاف المفسّرين يعمد إلى إثارة الضحك، فالظرف والدعابة طبع أصيل في الجاحظ[1].

وفي الأندلس كان للطبيعة دور فاعل في انتشار هذا الفن الفكاهي؛ لأنّها هذّبت النفوس، وأبعدتها عن متاعب الحياة، ومصائبها، ومحنها، فأدخلت السرور إلى قلوبها ((فكانت الطبيعة بمتنزهاتها ومعاهدها من بواعث الملكة النظرية الفكاهية التي يعظم سرور النفس فيها))[2].

ويختص هذا الفن بإظهار الملح، والنوادر، والظرف، والدعابة الممزوجة بالوقار، والحشمة، والنسك، والتبتل، والنفوس إذا بدا عليها الارتياح، وغمرها الفرح والسرور أطلقت العنان لخيالها الفكه ليأتي بما هو ظريف ومليح.

---

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيط: ٦٨.
(٢) أدب الفكاهة الأندلسي، د. حسين خريوش: ٣٠.

ويصدر هذا الفن عن أناسٍ رفيعي الذوق الفني((فهؤلاء الذين ترد أخبارهم في الكتب الأدبيّة من الأندلسيين رفيعو (الذوق الفني) فليس فيهم من ينزل بأفاكيهه إلى السذاجة السخيفة، وإنّما تسمو بهم أذواقهم الفنية درجات عالية))[١].

وعلى الرغم من ذلك فإنّ بعض المصادر الأندلسيّة لا تخصّ هؤلاء بالذكر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر (الذخيرة) لابن بسّام الذي يبرر عدم ذكره لهذا الفن بقوله: ((إنّ إيرادها خارج عن غرض هذا التصنيف، وليست من شرط هذا التأليف))[٢].

إنّ روح الظرف والدعابة تكاد تكون ظاهرة عامة لدى أبناء الأندلس، فعلى الرغم من تميّز الشخصية الإشبيليّة بـ(الحس الفكاهي) كما أكّد ذلك المؤرخون والأدباء كالمقري الذي قال عنهم: ((وأهله - نهر إشبيليّة - أخفّ الناس أرواحًا، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السبّ، قد مَرنوا على ذلك فصار لهم ديدنًا حتّى صار عندهم من لا يبتذل فيه لا يتلاعن ممقوتًا ثقيلًا))[٣].

وكذلك ابن عربي الذي قال عنهم: ((وفيهم -أهل إشبيلية - وفي نسائهم حلاوة وطرافة))[٤].

---

(١) أدب الفكاهة في الأندلس، د. حسين خريوش: ٣٠.
(٢) الذخيرة: ق١ م٣: ٢٧.
(٣) النفح: ٣: ٢١٢.
(٤) روح القدس لابن عربي: ٦٢.

فعلى الرغم من كلّ ذلك التميّز لأهل إشبيلية؛ فإنّ نزهون التي عرفت بالظرف، واشتهرت بالدعاية كانت من (غرناطة)، وزوجة القاضي كانت في مدينة (لوشة)، وولّادة في (قرطبة)، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجارية من وادي الحجارة.

فمن نوادر نزهون وملحها تلك التي قالتها لأبي بكر المخزومي[1]، ومن طرف ودعابة زوجة قاضي لوشة قولها[2]:

هو شيخ سوءٍ مُزدرى له شيوب عاصيه

أمّا ولّادة فقد قالت لابن زيدون بروح فكهة، وكان له غلام اسمه (عليّ)[3]:

ما لابن زيدون على فضله يغتابني ظلمًا ولا ذنب لي
ينظرني شزرًا إذا جئته كأنّما جئت لأخصي عليّ

وأمّ العلاء بنت يوسف الحجازية التي ردّت على رجل أشيب خطبها، وضمّنت قولها الحكمة والدعابة فقالت[4]:

يا صبح لا تبدُ إلى جنحي فالليل لا يبقى مع الصبحِ

---

(١) ينظر: غرض الفخر من هذا الفصل وما قالته نزهون.

(٢) أدب الفكاهة: ٥١.

(٣) النفح: ٣: ٢٠٨.

(٤) نزهة الجلساء: ٢٣، والنفح: ٥: ٣٠١.

الشـــيـب لا يخـدع فيـه الصـــبـا بحليـة فـأســـمع إلى نصـــحي

فـلا تـكـن أجـهـل مـن فـي الـورى يبيـت في الجهـل كمـا يضـــحي

إن حاجة مجالس اللهو، والغناء، والشرب إلى المرح، والفكاهة، والظرف، والدعابة جعلت هذا الفن يلق رواجًا مستقلًا بذاته فقد ساندت المجالس الطبيعة في إزدهار هذا الفن.

٣. الفنون المحدّثة:

الموشحات:

إنّ فن التوشيح فن أندلسي أصيل أستخدمه الأندلسيون، وقد أجمع المؤرخون على صحة ذلك، ونبغ هذا الفن على يد عبادة بن ماء السماء في عصر ملوك الطوائف، ثمّ تألق وأنتشر في عهد المرابطين، فكان هذا العهد العصر الذهبي لفن التوشيح، وكان للموشح مساره الخاص، ويعدّ هذا الفن ثورة على الشعر العربي القديم، وقوالب القافية، ورتابة نظام القصيدة.

وأتّسم الموشح بالايقاع الخفيف الذي يساعد على الغناء، وللموشح أغراض وموضوعات كما للشعر العربي، وقد ذكر لنا ابن سناء الملك في (دار الطراز) أنّ: ((الموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل، والمدح، والرثاء، والهجو، والمجون، والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفّر))[١].

وهكذا أصبح في الأندلس وشّاحون وشعراء، وكان بعضهم يتهيّب نظم الموشحات فقلّما نجد من الشعراء من نظم القصائد والموشحات، ولكن المرأة الشاعرة أستطاعت أن تدخل هذه الحلبة وترتادها، وتحرز التفوق فيها كقسمومة بنت إسماعيل، وأمّ الكرم بنت صمادح اللتين لم تصل موشحاتهما

---

(١) دار الطراز في عمل الموشحات لابن سناء الملك، تحقيق:د. جودت الركابي: ٥، ط٢، دار الفكر بدمشق ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

إلينا، ونزهون الغرناطيّة وهذه موشحاتها وقد عارضت فيها موشحة شاعر مجهول، أو عارضها الشاعر المجهول نفسه، تقول فيها[1]:

بأبي من هدّم جسمي القوى ... طرفه الأحورْ
وسقاني ما سقى يوم النوى ... ويح من غرّرْ
كلّما رُمتُ خضوعًا في الهوى ... تاه واستكبرْ
يا له من شادنٍ صيّرني ... رهن أشجانِ
لم يدع في الحور منه عوضًا ... عند رضوانِ
مرّ بي في ربرب من سربه ... يقطف الزهرا
وهو يتلو آية من حزبه ... آية أُخرا[2]
والذي لو شاء ذكّرني ... بعد نسيانِ
قلّب القلب على حجر الغضا ... فهو في شانِ
حفظ الله حبيبًا نزحا ... خشية الهجرِ
جاءت البشرى به فأنشرها ... عندها صدري
وأستطار القلبُ من فرحا ... ثمّ لا أدري
أمن الأنس الذي بشّرني ... أم من الجانِ

(١) مجلة علوم إسلامية: ٥ - ٦ نقلًا عن المخطوطة الوحيدة التي تفضّل الأستاذ ج س كلين بإعارتها إلى ناشر موشحة س م أسترن فيلو آل سولنر كالج - أكسفورد وديوان الموشحات الأندلسيّة - تحقيق: الدكتور سيّد غازي، المجلد الأوّل: ٥٥١ - ٥٥٢، وقد نشر قسمًا من الموشحة.

(٢) أخر: في الكلمة زحاف (أخرى) وقد وردت بشكلها الصحيح (أخرى) في ديوان الموشحات.

غير أنّي شمت برقًا أومضا ... حين حيّاني
قلت لمّا زارني طيفُ الخيالِ ... من رشا الأنسِ
مرحبًا بالزائر الحلو الخلالِ ... مخجل الشمسِ
والذي سوّاه من ماء الجمالِ ... واحدَ الجنسِ
ما برا جسمي ولا غيّرني ... خوفُ هجراني
إنّما غيّرني جسمي مرضا ... لحظة الراني
لم تزل تظهر فيه الكلفا ... عندما عنّتْ
غادةٌ لو رام منها النصفا ... غيره ضنّتْ
فهو يهواها ويبدي الصلفا ... فلذا غنّتْ
يتمنّاني إذا لم يرَني ... يتمنّاني
فإذا رآني تولّى معرِضا ... كنّ ما راني (١)

وهذه الموشحة تدلّ على مقدرة نزهون في صنع الموشحات، وربّما كان لها غيرها ولم يصل إلينا.

هذه هي الأغراض والفنون التي طرقتها المرأة الأندلسيّة الشاعرة، وهناك بعض المقطوعات الأخرى موزعة على تراجم الشواعر في الفصل السابق نظمت في هذه الأغراض والفنون.

(١) رآني: في لغة أهل الأندلس الدارجة راني، وكأنّه (كَنَّ).

الفصل الرابع

الدراســـة الفنيّـــة

المبحث الأوّل: اللغة

المبحث الثاني: بناء القصيدة

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

المبحث الرابع: الخصائص الفنيّة العامة لشعر المرأة الأندلسيّة

الفصل الرابع

الدراسة الفنيّة

المبحث الأوّل: اللغة

يعدّ الشعر وسيلة من وسائل التعبير الفني، فهو عند (فاليري) [١] فن اللغة [٢]، فاللغة مادّة الأدب يستعملها الشاعر لينقل للناس خبرة جديدة تولّدت له من خوضه بعض تجارب الحياة، ولكنا لا نقصد باللغة مجرد كلمات جامدة؛ فإنّ هدف الشعر يتمثل في إبراز الكلمات بسداها ولحمتها وجميع مظاهرها، وهذا ما عبّرت عنه الشكلية في مرحلتها الناضجة على لسان (ايخينباوم) [٣]، فهي كلمات موحية أبتدعها الشاعر، واختارها بكلّ دقة، ((فالكلمة عنصر مهم من عناصر البناء الفني للشعر، بل هي ركن رئيس لأي عمل أدبي)) [٤]. وأنّها الركيزة التي يرتكز عليها الأداء الفني، وتقاس جمالية العمل الأدبي في وضع الكلمة في موضعها المناسب؛ لذلك تعدّ اللغة عامل من أقوى العوامل التي يتوقف عليها قيمته الجمالية.

---

(١) فاليري: وهو (بول فاليري) الناقد الفرنسي الكبير من روّاد المنهج البنائي في تحليل الشعر.

(٢) نظرية البنائية في النقد الأدبي،د. صلاح فضل: ٣٤٧.

(٣) المصدر السابق: ٨٠.

(٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٢٩ (النسيج اللغوي).

وغالبًا ما تكون اللغة مستوحاة من البيئة التي عاشها الشاعر، فلو رجعنا إلى لغة الشعر الأندلسي لوجدناها قد تأثّرت بالحياة الاجتماعية التي كان فيها خليطًا من اللغات واللهجات، كما تأثّرت بالبيئة المتحضرة، والطبيعة الجميلة، فخرج الشاعر الأندلسي بين كلّ تلك التطورات والعناصر، وجاء بأسلوب متطور وجديد.

وإنّ أوّل ما نلاحظه على لغة الشعر الأندلسي بعامّة والشعر الأندلسي بخاصّة سهولة الألفاظ، والإبتعاد عن التعقيد والغموض، فالمرأة الأندلسيّة ناسقت بين عذوبة ألفاظها ورقّتها كأنثى؛ لذلك جاءت مفردات لغتها متسمة بالآتي:

١. الدقة:

كانت الشاعرة الأندلسيّة حريصة في إختيار ألفاظها؛ لذلك أمتازت بـ (الدقة) سواء في أشعارها، ام في نقد شعر الآخرين، وهذا ما فعلته ولّادة مع ابن زيدون حين أستدركت عليه قوله من قصيدة قالها في (ابن القلاس) مطلعها:

أصـــخ لـمـقـالـتـي واســـمـع وخـذ فـي مـل تـرى أو دَعْ

وعندما وصل إلى قوله:

فـــــإنّ قُصـــارّكَ الـدَهْـلـيـ ـــزُ حين ســـــواك بالمضـجع

أستدركت عليه ولّادة وقالت: قُلْ يا بن زيدون:

فـــــــــإنّ قُصـــارّكَ الاصْـطَبْـ ـــــلُ حين ســـــواك بالمضـجع

فاختيارها لكلمة (الاصطبل) بدلًا من (الدهليز) لم يكن اعتباطًا، وإنّما كان اختيارًا دقيقًا وموفقًا أجادت فيه كلّ الاجادة[1].

٢. السهولة والبساطة:

كما أتّسمت ألفاظهن بـ (السهولة والبساطة) فقد جنحت المرأة الأندلسيّة إلى التحرر من ألفاظ البداوة التي ظلّت مسيطرة على معجم ألفاظ الشعر العربي القديم ردحًا من الزمن فحتّى الشواعر الوافدات على الأندلس واللائي ما زلن تحت التأثير المشرقي أتّسمت ألفاظهن بالسهولة والبساطة، فحتمًا أنّ الطبيعة جذبتهن فرققت ألفاظهن ومنهن حسّانة التميمية، فقد لاحظنا أبياتها التي قالتها في مدح عبد الرحمن بن الحكم والتي أنطوت على البساطة والسهولة في تصويرها لشخصية الظالم وتجبره، وهموم المظلوم وضعفه معًا رغم أنّها بدأت أبياتها بالمعاني التقليدية المألوفة لقصيدة المدح العربية إلّا أنّ القاعدة العامة للشعر الأندلسي تبقى وهي ميلها إلى البساطة والسهولة، واتّضحت السهولة لاسيما في قولها[2]:

لا شـيء أخشـى إذا ما كنت لي كنفًا آوي إلـيـه ولا يـعرونـي الـعـدمُ

لا زلـت بـالعزّة القعســـاء مرتديًا حتّى تـذلّ إليـك العربُ والعجمُ

---

(١) ينظر: الشعر النسوي: ٨٣.

(٢) ينظر: المدح في الفصل الثالث من الرسالة.

كما تجلّت البساطة في أبيات الجارية العجفاء والتي تقول فيها[١]:

بَرِحَ الخفاءُ فأيما بكَ تكتمُ ... ولسوف يظهرُ ما تسرُّ فَيُعْلَمُ

فما تظن من عزيز قلبه ... يا قلبُ إنّكَ بالحسانِ لمُغْرَمُ

٣. الرقّة والعذوبة:

وممّا لاشكّ فيه أنّ الشعر الأندلسي يزداد رقّة وعذوبة كلّما تبلورت الشخصية الأندلسيّة، واتّضحت معالمها، ((إنّها الشخصية الأندلسيّة التي حافظت على مقومات الأصالة، واستجابت في الوقت نفسه إلى دواعي التجديد)) [٢]، فكلّما طال أمد بقاء العرب بالأندلس كلّما ظهرت السمة الأندلسيّة المحلية على أدبهم، وتراثهم، ونمط حياتهم، فلقد كان للحياة الجديدة، والمرثيات الجميلة والبعد عن قرارة العربية الأولى أثر بارز في معاني الشعر وأخيلته، فجنحوا إلى السهولة والرقّة، ونصاعة العبارات، ووضوح الأساليب، وعذوبة الألفاظ التي تدلّ على رقّة أذواقهم، وسهولة طبائعهم، ويروقك من شعرهم اختيار أحسن الألفاظ وقعًا في النفس [٣]. فهل هناك أرقّ وأعذب من أبيات حمدة بنت زياد والتي تنسب أحيانًا لاختها زينب والتي تقول فيها[٤]:

---

(١) ينظر: موضوع الغزل في الفصل الثالث من الرسالة.

(٢) ملامح الشعر الأندلسي د. عمر الدقاق: ٤٥.

(٣) الأدب العربي، أحمد بلا فريج: ١١٤.

(٤) فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم وآخرون، نشرهاد. صلاح الدين المنجد: ٤٧.

ولما أبى الواشون إلّا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ وقلّ حُماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم في مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيفِ والماءِ والنارِ

ففي شعرها سهولة نادرة وعذوبة فائقة فلا تجد أرقّ، ولا أنغم في الآذان، ولا أندى على الأكباد منه.

فالرقّة والعذوبة تفوحان من أشعارهن، وهذه أمّ العلاء تقول في الغزل [١]:

تعطفُ العينُ على منظركمْ وبذكراكمْ تلذ الأُذنُ

فكانت محقّة في اختيارها لفظة (العين) ولفظة (الأذن) فكلاهما أداة للعشق، والغرام، والهيام.

ونحن نقول: إنّ حاستي السمع والبصر أداتان مهمتان لتذوق الرقّة والجمال في الشعر، وتذوقنا عذوبة أبيات (أمة العزيز) في صدود الأحبّة [٢]. كما أعجبتنا أبيات مهجة بنت التياني في مدح ولّادة [٣]، وأبيات حفصة الركونية في الغزل [٤]، وأمّ الكرم [٥] في حبيبها السمار، وغير ذلك من أشعارهن التي تفوح رقّة وعذوبة.

---

(١) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٥) نفسه.

٤. الموسيقى والتناغم الشعري:

لا شكّ أنّ الموسيقى هي غذاء الروح، وهي ((لبّ الشعر وعماده الذي لا تقوم له قائمة بدونه))[١]، وهي الأداة المعبرة عن الأحاسيس والمشاعر من دون كلمات، كما أنّها مصدر للتسلية والارتياح النفسي تنمّ عن الذوق الرفيع، ولهذا - في رأينا- عمد الشاعر العربي إلى نظم قصائده وفق نظام موسيقي متقن يصلح للغناء في أغلب الأحيان؛ لتكون رفيقة دربه وهو يجتاز الصحاري والقفار فتخفف عنه حرارة الشمس اللاهبة، وتصدّ عنه رياح السموم المحملة بالرمال، فجاءت أوزانه متلائمة مع الطبيعة القاسية، طويلة النفس، كثيرة التفعيلة.

ولكن حين بدأت المظاهر الحضارية تدبّ في العصر العباسي بدأت معها بوادر التجديد في الأوزان والقوافي.

وحينما وصلنا إلى حضارة الأندلس وجدنا الشاعر الأندلسي قد قلّد الآباء والأجداد حرصًا منه على ماضيه التليد، فنظم المطوّلات وفق أوزان وبحور الخليل، ثمّ سرعان ما كسر ذلك الطوق، وحطّم تلك القيود، فأحدث التشطير، والتخميس، والتثمين، فنظم الموشحات والأزجال وإن كانت على الأوزان العربية ذاتها، فالبيئة الأندلسيّة الجديدة، ومظاهر التقدم الحضاري ((حوّلت الأندلسيين من بداوة إلى حضارة، وامتازوا بصفاء الأمزجة، وخفّة الأرواح، وارتقى الأدب عندهم وشاع حتّى بين النساء، والعامّة والخاصّة))[٢].

---

(١) فصول في الشعر ونقدهن د. شوقي ضيف: ٢٩.

(٢) الأدب العربي، بلا فريج: ١٢٠.

فالمرأة الأندلسيّة واحدة من ذلك المجتمع تأثّرت كما تأثّر الرجل بمظاهر الحياة الجديدة، وواكبت التطور الحضاري، فجالست الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والشعراء، والأدباء، وكان لها الدور البارز في مجالس اللهو، والغناء، والطرب، تلك المجالس التي شاعت في أغلب أنحاء الأندلس، فكانت تحسن الضرب على الآلات الموسيقية، وتبدع في الغناء، وغالبًا ما كانت القصائد المغنّاة من نظمها[١].

((وحين تكون المغنية للشعر هي المرأة الشاعرة تكون العوامل الباعثة على تهذيبه، وتقويمه، ورعاية قوانينه حسنة قد توافرت له، وساعدت على أن تدفعه إلى الأمام بيد قويّة))[٢]. فولّادة كانت إحدى الشواعر المغنيات تحسن الضرب على الآلات الموسيقية، ومن أبياتها المغنّاة[٣]:

ودّع الصــــبرَ محــبٌ ودعـك ذائعٌ من ســرّهِ مـا أســتودعـك
يقرعُ الســنّ على أن لم يكن زاد في تلـك الخطى إذ شــيّعـك

وهكذا كانت أغلب الشواعر لاسيما الجواري المدنيات، فـ ((من السمات الفنية في شعرهن أنّ بعضهن تعمدن إلى استعمال أوزان خفيفة، وبحور مجزوءة وسهلة تصوّر حالتهن، وتتناسب وذوقهن، ورهافة حسّهن لاسيما في الغزل))[٤]. فأمّ الكرم تتغزل على البحر السريع وتقول[٥]:

---

(١) ينظر: الشواعر المغنيات في الفصل الثاني من هذه الرسالة.
(٢) تاريخ الأدب العربي في الأندلس إبراهيم أبو الخشب: ٢٤٣.
(٣) أنظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) المرأة في الشعر الأندلسي: ٣٤٨.
(٥) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

يا معشر الناس ألا فأعجبوا مما جنتهُ لوعة الحبِّ

ونزهون تتخذ من الأوزان الخفيفة، والألفاظ البديعة مسلكًا في نظم موشحتها الرقيقة والتي قالتها في الغزل[1].

بأبي مَنْ هدّم جسمي القوى طرفُهُ الأحور
وسقاني ما سقى يوم النوى ويح مَنْ غرَّر
كلّما رُمتُ خضوعًا في الهوى تاه واستكبر
يا له من شادنٍ صيّرني رهن أشجانِ
لم يدعْ في الحورِ منه عوضًا عند رضوانِ

فتفننت في تفعيلات (بحر الرمل) وأبدعت، فجاءت تفعيلات (الدور) مثلًا على النحو الآتي:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فا × ٣

فالشاعرة الأندلسيّة ناسقت وأقامت الوشائج الوطيدة بين ألفاظ مقطوعاتها الشعرية وموشحاتها، وبين الموسيقى الداخلية لها، فـ ((ليست الكلمة المفردة قادرة على إعطاء الأسلوب أو البناء اللغوي للقطعة الشعرية كلّ تلك القيم، وإنّما يرجع ذلك إلى طبيعة العلاقات القائمة بين المفردات المتجاورة، وما يتحقق من تآلف وانسجام يضفي على النسيج الجديد ظلالًا فنية، ويمنحه إيقاعات موسيقية تزيد من روعته وإبداعه))[2]، فقد أحسنت

(١) ينظر: الموشحات في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) النثر الفني، د. عبد الحكيم بلبع: ٢٢٤.

الشاعرة الأندلسيّة في تآلفها بين مفرداتها والتراكيب اللفظية الأخرى، ومن ذلك قول الغسّانية [١]:

عهدتهمُ والعيشُ في ظلّ وصــلهم أنيقٌ وروضُ الـدهرِ أزهرٌ ريّـانُ

فقد وردت لفظة (أنيق) وهي لفظة حضارية تدلّ على الأناقة، وكلمة شاعرية رقيقة منسجمة مع غيرها من الألفاظ، ومع غرض الغزل الذي قصدته الشاعرة، فالشاعرة الأندلسيّة محسنة في نسج شعرها، وانتقاء ألفاظها، واختيار معانيها.

وكان للقوافي صدى ورنينًا أكسب قصائدهن روعة، وجمالًا،وتناغمًا موسيقيًا بديعًا يسرّ السامعين، ويبهر القارئين، فالشاعرة تسعى من أجل ((تحقيق الإبداع النغمي بما يخلق تأثيرًا في نفوس السامعين بوسائل عديدة، وطرق مختلفة... كأن تستعين بإيجاد تقفية في حشو البيت... أو يكون بتكرار كلمات متقاربة الحروف والنغم)) [٢]. وهذا ما وجدناه في موشحة نزهون السالفة الذكر، فالكلمات (القوى، النوى، الهوى) فيها تقارب في الحروف والنغم، وتطابق في القافية أكسبت الأبيات موجات موسيقية مترابطة، وهي ما تسمّى بالموسيقى الداخلية التي وجدناها أيضًا في أبيات حمدة بنت زياد التي تقول فيها [٣]:

---

(١) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٤٧.

(٣) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

أباحَ الدمعُ أسراري بوادي له للحسن آثارٌ بوادِ

وفي قافية ولّادة التي اتّخذت من حرف القاف الثقيل ترجيعًا موسيقيًا محببًا لأبياتها، فالكلمات (لقين محرق، أتقي، معتقي، مغدق) المنتهية بحرف القاف أستطاعت أن تخفف من ثقله، وتكسب قافيتها لحنًا منسجمًا، فتكرار الحروف التي فيها جرس موسيقي عالٍ يضفي على الأبيات الشعرية وقعًا موسيقيًا ترتاح له النفس، وتلذّ به الأذن.

واتّخذت بثينة هي الأخرى من حرف القاف قافية لأبياتها؛ لتكون أكثر تأثيرًا في الأسماع فقالت[1]:

من عزا المجد إلينا قد صدقْ لم يُلمْ مَنْ قال مهما قال حقْ
مجدنا الشمس سناء وسنا من يَرُمْ ستر سناها لم يُطقْ
أيّها الناعي إلينا مجدنا هل يضرّ المجد إن خطبٌ طرقْ

وكررت نزهون حرف الحاء في قولها[2]:

حللت أبا بكرٍ محلًا منعته سواك وهل غير الحبيب له صدري
إن كان لي كم من حبيب فإنّما يقدم أهل الحقّ فضل أبي بكر

وهذا التكرار في حرف الحاء أكسب البيتين حلاوة، وطراوة، وحيوية، فـ ((ليس تكرار الحروف قبيحًا إلّا حين يبالغ فيه، وحين يقع في مواضع

(١) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

الكلمات يجعل النطق بها عسيرًا، فالمهارة هنا في حسن توزيع الحروف حين تكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته))[١].

أمّا تكرار الكلمات فهو السبيل الثاني الذي اتّخذته الشاعرة الأندلسيّة وسيلة لتحقيق الابداع الموسيقي في أشعارها لتخلف في النفوس الارتياح والتأثير، كتكرار (أبي بكر) في البيتين السابقين، وتكرار كلمة (اللحظ) و (تجرح) و(ذا) في هذين البيتين لأمة العزيز[٢]:

لحاظكم تجرحنا في الحشا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود

جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجب جرح الصدود

فهل هناك أعذب من هذا القول؟! لفظًا ومعنى وموسيقى؟!

وكررت العبادية كلمة (هذا) في قولها[٣]:

لئن دام هذا وهذا له ... سيهلك وجدًا ولا يشعر

وهو تكرار لطيف غير ممل ولا مستقبح.

وكررت نزهون في موشحتها بعض الكلمات مثل كلمة (جسمي) و (غنت) و (يتمناني) و(راني) فأكسبتها طراوة، ولحنًا شجيًا.

أمّا حفصة بنت حمدون الحجارية فقد قالت وكررت ألفاظها[٤]:

---

(١) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس: ٤١.
(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: ترجمة العبادية في الفصل الثاني من الرسالة.
(٤) الشعر النسوي: ٦١.

يا وحشتي لأحبتي يا وحشةً متماديهْ
يا ليلة ودّعتهم يا ليلة هي ما هيهْ

لتظهر لنا مدى أنينها في الوحشة؛ وذلك الرجع الذي أحدثته ليلة وداع الأحبّة فهي ليلة لا توصف، فقد قضتها ملتاعة الفؤاد، جريحة النفس لم يغمض لها جفن؛ فذلك كلّه أحسسنا به من توازنٍ وتناسقٍ بين أصوات الأشطر الأربعة، فأذن الإنسان موسيقية بالطبع، وإنّ للمرأة أذنًا أكثر قدرة على التقاط الأصوات، والكلمات الموحية، والمرتبطة بحياتها العاطفية، ولهذا نجدها تستعذب همس الرجل في أذنها مجاذبة أطراف الحديث معه[1]، وهي لم تمتلك الأذن الموسيقية فحسب، بل إنّها صاحبة ذوق رفيع، وثقافة عالية، وإحساس مرهف، وشعور رقيق.

٥. الدلالات اللفظية:

لكلّ شاعرة من شواعر الأندلس ألفاظ خاصّة بها نابعة من فكرها وثقافتها عاكسة لواقعها وبيئتها التي عاشت فيها، فجاءت ألفاظهن صدى لكل تلك المنابع، فالمعجم الشعري النسوي حوى الكثير من الألفاظ التي دلّت على مظاهر عدّة وسمات تكاد تكون الشاعرة الأندلسيّة قد تميّزت بها دون غيرها، فقد دلّت ألفاظهن على تمتع البعض منهن (بثقافة دينية) عالية، واستيعاب لآيات القرآن الكريم، فهذه نزهون تضمّن موشحتها بعض ألفاظ القرآن الكريم كقولها[2]:

---

(١) الشعر النسوي في العراق: ٥٢ – ٥٣.

(٢) ينظر: الموشحات في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

كلّما رُمتُ خضوعًا في الهوى تاه واستكبر

وقولها منها:

وهو يتلو آية من حزبه يبتغي الأجرا
بعدما ذكرني من حبّه آية أخرا
قلّب القلب على حجر الغضا فهو في شانِ

وزينت الشلبية أبياتها بالعديد من الألفاظ القرآنية كـ (الرحمن، فانية، جنة، ونار حامية) فقالت[1]:

يا قاصد المصر الذي يُرجى به إن قدر الرحمنُ رَفْعَ كراهيهْ
نادِ الأميرَ إذا وقفت ببابهِ يا راعيًا إنّ الرعيةَ فانيهْ
شلبٌ كلا شلب وكانت جنّة فأعادها الطاغون نارًا حاميهْ

وتأثّرت مهجة بنت التياني بسورة (مريم) فقالت[2]:

حكت لنا مريمُ لكن نخلة هذي ...

وطرّزت أمّ السعد أبياتها بكلمات (جنّة الفردوس، السلسبيل) وقالت[3]:

لعلّي أحظى بتقبيله في جنّة الفردوس أسنى مقيل

(١) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الهجاء في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) نزهة الجلساء: ٢٩.

في ظلّ طوبى ساكنًا آمنًا أُسقى بأكواس من سلسبيل

كما وردت في أشعارهن أسماء بعض الأماكن المقدسة مثل (طوبى) المارّة الذكر، و(مكّة) في قول ولّادة[1]:

إنّي وإن نظر الأنام لبهجتي كظباء مكّة صيدُهنّ حرامُ

ومن الدلائل الأخرى على ثقافتهن الدينية التمسك بالله، والإيمان المطلق به، والإخلاص للباري عزّ وجلّ، كقول قمر[2]:

ما لابن آدم فخرٌ غير همتهِ بعد الديانة والإخلاص للباري

وكذلك الإيمان بحكم القدر وما كتبه الله عزّ وجلّ على البشر كقول بثينة[3]:

يحلّ سوءٌ بقومٍ لا مردّ لهُ وما تُرَد من الله المقاديرُ

وأنس القلوب هي الأخرى مؤمنة بالقضاء والقدر في قولها[4]:

والله قدّر هذا ولم يكن باقتدارِ

وهذه قسمونة التي صبرت على حكم القدر وقالت[5]:

---

(١) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة، وديوان ابن زيدون: ٣٠.
(٢) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) ينظر: الاعتذار في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٥) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

أمســـى كلانا مفردًا عن صـــاحبٍ فلنصـــطبر أبـدًا على حكم القـدرْ

وظهرت النفحات الدينية جليّة في التبرك بالأثر[1] لاسيما التبرك بتمثال (نعل) الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت سعدونة بعد أن تمنّت أن تدخل الفردوس بتكريمها لتمثال (نعل) الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت[2]:

وامســـحُ الـقـلـبَ بـه عـلّـةٌ يســكن مـا جـاش بـه من غليـلِ

فطـالمـا أســتشـــفى بـأطلالِ مَنْ يهواهُ أهـلُ الحـبّ في كـلّ جيـلِ

وأبتعدت الشاعرة الأندلسيّة عن الزهد والتصوف، واقتصر اهتمامها بإتباع التعاليم الإسلامية، والتمسك بالعقيدة النابعة من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة؛ لذلك ورد في معجمها الشعري ألفاظ الشريعة الإسلامية مثل: (الحقّ، الموت، النيّة، النعمة، السبيل، ربّ المنن، ربّ العرش، الصدق، الإسلام، الدنيا، حرام، يوم القيامة، أهل الحقّ، الله، الكبائر) ... الخ.

ودلّت ألفاظهن على بعدهن من التعقيد كما بيّنا ذلك فكانت أساليبهن سهلة جميلة.

ومن معجمها الشعري وجدنا ألفاظًا دلّت على معاناتها، فلم تكن الحياة معها حلوة على الدوام، وإنّما كانت كما يقال: (يوم لك ويوم عليك)، ومن تلك الألفاظ (التوجع) و(التحسر) و(إصدار الآهات) كقول حسّانة وهي تتوجع[3]:

---

(١) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٢٧٢ (قصيدة التبرك بالأثر).

(٢) نزهة الجلساء: ٢٩.

(٣) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

إنّي إليك أبا العاصي موجعةٌ أبا الحسين سقته الواكف الديمُ

وقسمونة وهي تتحسر وتأسف لضياع شبابها وتقول[١]:

فوا أسفًا يمضي الشباب مضيعًا ويبقى الذي من أسميهِ مُفردا

وقمر البغدادية تصدر الآهات من جرّاء طول البعاد عن أرض الوطن، وشدّة الحنين إلى الأهل تقول[٢]:

أهًا على بغدادها وعراقها وضبائها والسحر في أحداقها

والعجفاء أختارت كلمة (السقم) لتصف لنا ولأحبّتها مدى خوفها من الفراق فقالت [٣]:

يا طول ليلي أُعالج السقما أدخل كلّ الأحبة الحرما

ما كنت أخشى فراقكم أبدًا فاليوم أمسى فراقكم عزما

ووجدنا ألفاظًا تدلّ على الكبرياء، والشموخ، والرفعة، والاعتداد بالنفس، والزهو، والفخر كقول ولّادة[٤]:

أنا والله أصلحُ للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

فهي تمشي مشية الخيلاء، والمعالي لا تصلح إلّا لها.

---

(١) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الحنين في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ثمّ فاخرت بنفسها فجعلتها بدر السماء فقالت[1]:

ولقد علمت بأنني بدر السما ... لكن ولعت لشقوتي بالمشتري

وقول حفصة بنت حمدون[2]:

قال لي: هل رأيت لي من شبيه؟! ... قلت أيضًا: وهل ترى لي شبيهًا

فقد ردّت عليها بالمثل: فليس هو بأحسن منها.

وقول عائشة القرطبيّة حين خطبها أحد الشعراء ممن لا ترضاه[3]:

أنا لبوةٌ لكنني لا أرتضي ... نفسي مُناخًا طول دهري من أحد

ولو أنني أختار ذلك لم أجبْ ... كلبًا وكم غلقتُ سمعي عن أسد

فقد جعلت من نفسها (لبوة) مزهوة بنفسها لا تستطيع الأسود الدنو منها، فكيف لها أن تجيب طلبًا كهذا.

ووردت في أشعارهن ألفاظ لها مدلول (سياسي) و(عسكري) كتلك التي وردت في أشعار بثينة بنت المعتمد، ومريم، وولّادة، واعتماد وغيرهن، كلفظة (الجيوش، الأسير، المكيل، المسدس، القواضب، البيض، الخطب، القنا، الوغى، السيف، الدرع، القتال، الثغر، المهند، الأسل، غارة، هنديّة، كريهة، البنود، الجياد، الحسام، الحرب، الغزوة).

---

(١) ينظر: العتاب في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) ظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ومن الألفاظ السياسية: (الإمام المرتضى، ابن الخليفة، ابن الهشامين، يا سيّد الناس، ويا ذا العلا...)، وأنتشرت هذه الألفاظ في أشعارهن لتعطي لنا صورًا لحالة البلاد، وما شهدته الأندلس من اضطرابات وفتن، ولكن كان تناول المرأة الشاعرة لتلك الألفاظ تناولًا رقيقًا، سلسًا، واضحًا بعيدًا عن القوانين العسكرية الصارمة، والروح القتالية التي تتطلب من الخشونة في اختيار ألفاظه، فـ ((المرأة تكتب وعبيرها يفوح في كلّ ما تكتب؛ ذلك لأنّ لكتاباتها طابعًا خاصًّا، ونكهة مميزة بمعاني حميمة لصيقة بتكوينها الأنثوي حتّى أننا نلاحظ أنّ وصف المعركة جميل بقلم المرأة، وحتّى الموت تحت قلم المرأة يكون أقلّ عذابًا)) [1].

واحتوى معجمهن الشعري على ألفاظٍ تدلّ على (تطورهن الحضاري)، واعتنائهن بالزي، والحلي، والزينة، ومن تلك الألفاظ لفظة: (سوار، عقد، لؤلؤ، الدر، خلخال، اللالي، حالية العذارى...).

ولمّا كانت (الخمرة) مصاحبة لمجالس الأنس، والطرب، والغناء، فلابدّ للبعض منهم أن تتأثر بها؛ ولذلك وردت لفظة (الخمرة) في أشعارهن، فقالت حفصة الركونية[2]:

وأنصـــفـهـا لا كـذّب الله أنـنـي رشـــفـتُ بهـا ريقًـا من الخمرْ

---

(١) أدب المرأة في الكويت، ليلى محمّد صالح: ١٧.

(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

كما قالتها حفصة بنت حمدون في وصف خلق وحسن حبيبها في هذا البيت[١]:

لـه خُلُقٌ كـالخمرِ بعـد امتزاجهـا وحُسْـنٌ فمـا أحلاه حين خلقتـه

ووردت كلمة (المدامة) في شعر أمّ العلاء، فقالت[٢]:

لـولا مـنـافـرة الـمُـدا مـةِ لـلصـبـابـةِ والـغـنـا
لـعـكـفـتُ بـيـن كـؤوسـهـا وجـمـعـتُ أسـبـابَ الـمُـنـى

ولكنها تأبت وأحجمت، فامتنعت عن شرب الخمرة؛ لأنّها العفيفة الشريفة من وادي الحجارة، فقد يتناول الشاعر ألفاظًا متداولة بين الشعراء من دون أن يطبقها فعلًا، فهذه حمدة بنت زياد المؤدب المعروفة بعفافها وصونها تقول في أحد أبياتها[٣]:

وأرشـفـنـا عـلـى ظـمـأ زلالًا ألـذّ مـن الـمـدامـةِ لـلـنـديـمِ

وكأنّها شربتها وتلذذت بها مسبقًا.

أمّا حفصة الركونيّة، فقد اتّخذت لفظة (بنت الدوالي) في قولها[٤]:

بلحاظ من سـحرِ بابل صـيغتْ ورضـابٍ يفوقُ بنـتَ الـدوالي

---

(١) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الشعر النسوي: ٩٤.
(٣) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ومن خلال ذلك المعجم الشعري وجدنا تفاوتًا في ألفاظهن، فألفاظ الفرح والسرور انتشرت في الغزل،والمدح، والفخر،واتّسمت بالرقّة،والبساطة، والظرافة، والوضوح بينما ألفاظ الهجاء كانت فاحشة بعيدة عن الحياء، وفيها قوّة وصلابة.

كما وجدنا تفاوتًا بين شاعرة وأخرى، فمنهن من تميّز شعرهن بالقوّة، والمتانة، والجزالة بعيدًا عن التكلف كأشعار أمّ العلاء، ومريم، وعائشة، وأمّ الكرم الغسّانيّة، وحفصة وغيرهن، في حين تميّز شعر البعض الآخر منهن بالبساطة والسهولة، فكان دون المستوى اللفظي[1]:

٦. بعض ألوان البديع:

أثبتت الشاعرة الأندلسيّة مقدرة في توشيح أشعارها بألوان البديع المعروفة من جناسٍ، وطباق، ومقابلة، وافتنان، ومراعاة النظير، وغير ذلك.

ففي الجناس قالت ولّادة[2]:

يـا أخـا البـدر سـنـاء وسـنـا ... حـفـظ الله زمـانًـا أطـلـعـك

إنْ يـطـلْ بـعـدكَ لـيـلـي فـلـكـمْ ... بـت لأشـكـو قصـر الليـل معـك

فقد جانست بين (السناء) و(السنا) جناسًا ناقصًا[3] ثمّ طابقت[4] بين (طال) و(قصر) وبين (بعدك) و(معك) في البيت الثاني.

---

(١) المرأة في الشعر الأندلسي: ٣٣١.

(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير: ٤٥١، أنواع الجناس.

(٤) نفسه: ٤٣٩ أقسام الطباق.

وطابقت العباديّة بين (دام) و (هلك) في قولها[١]:

لــئــن دامَ هــذا وهــذا لــه ســيــهلــك وجـدًا ولا يشــعرُ

وقد برعت مهجة بنت التياني في أستخدامها لألوان البديع من جناس، وتورية، ونشر ولف في قولها[٢]:

لئن حلأت عن ثغرهـا كـلّ حـائمٍ فمـا زال يحمي عن مطـالبـه الثغر

فـذلـك تحميـه القواضـــب والقنـا وهذا حماهُ من لواحظها الســحر

ممّا حدا ببعض النقاد ليقول فيها: ((أنّها تقدّمت بهذين البيتين فحول الذكران))[٣].

أمّا حمدة بنت زياد فقد جعلت من قولها صناعة بديعية منسوجة فيها لف ونشر، فاللف ألفاظ (مقلتيك) و(أدمعي) و (نفسي)، والنشر هي الكلمات المقابلة وهي (السيف) للمقلتين، و (السيل) للأدمع، و(النفس) للنار في قولها[٤]:

غزوتـهم من مقـليتـك وأدمـعي ومن نفسي بالسيف والسيلِ والنارِ

وجانست حسّانة بين اسم عامل مدينتها (جابر) وبين اسم الفاعل (جابر)، وتقصد بالثانية الأمير الذي أجبرها، وأنصف ظلامتها.

---

(١) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) المغرب: ١: ١٤٣.

(٤) نزهة الجلساء: ٤٥.

كما جانست بين الحيا وحيا فالأولى معناها المطر، والثانية تعني الحياة؛ وذلك في مدحها للأمير الأموي بقولها[١]:

ليجبر صـــدعي إنّــه خير جـابرٍ ويمنعني من ذي الظلامــة جـابرِ

ثمّ تقول:

ســـقاه الحيا لو كان حيًّا لما اعتدى عليّ زمــان بــاطشٌ بطشَ قــادرِ

وجانست حمدة بنت زياد بين (بوادي) و (بواد) في قولها[٢]:

أبــاح الــدمعُ أســـراري بـوادي لــه فــي الــحســـنِ أثــارٌ بــوادِ

فالأولى تعني (الوادي) والثاني تعني آثار (ظاهرة).

ومن التجنيس المغاير قول أسماء العامرية التي جانست بين الاسم والفعل (علم وعلم)، و (صنتم ومصونا) في قولها[٣]:

رويــتــم عــلــمــهُ فــعــلــمــتــمــوهُ وصُـــنتمْ عهدهُ فغدا مصـــونـا

وطابقت أمّ الهناء بين الفرح والحزن في قولها[٤]:

يـا عين صـــار الدمعُ عندك عادة تــبــكــيــن فــي فــرحٍ وفــي أحــزانِ

ومن الطباق الجميل ما قالته حفصة الركونيّة[٥]:

---

(١) أنظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) أنظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) أنظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) أنظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.
(٥) ينظر: الرثاء في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ولو لم تكنْ نجمًا لما كان ناظري وقد غبتُ عنه مظلمًا بعد نورهِ

فقد طابقت بين (ناظري) و (غبت)، وبين (مظلم) و (نوره).

وطابقت الشلبيّة بين غضبان وراضي، وبين المظلوم والظالم في قولها[1]:

هو بين الناس غضبا ن، وفي الخلوةِ راضي
فمتى ينتصفُ المظلو م، والظالم قاضي

أمّا في المقابلة[2] فقد خلقت الشاعرة الأندلسيّة صورًا رائعة بين الأضداد وغير الأضداد، ومن أجمل ما قيل في المقابلة قول حفصة بنت حمدون الحجارية وهي تردُّ على حبيبها[3]:

لي حبيبٌ لا ينثني بعتابٍ وإذا ما تركتهُ زادَ تيهًا
قال لي: هل رأيت لي من شبيه؟ قلتُ أيضًا: وهل ترى لي شبيهًا؟

وهذه المقابلة التي قالتها حفصة بنت حمدون وهي تذمّ عبيدها في بيت واحد[4]:

إمّا جهولٌ أبلهٌ متعبٌ أو فطنٌ من كيدهِ لا يجيبْ

---

(١) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٢) المقابلة: وهي أعظم من الطباق، ومعنى هذا أنّهما يتلازمان تلازم العام والخاص، وتكون المقابلة بالأضداد، وغير الأضداد، وأنّ ما يكون بالأضداد أعلى رتبة. البلاغة والتطبيق: ٤٤٢.

(٣) نزهة الجلساء: ٤٤.

(٤) نفسه.

وهذه المقابلة لبثينة[١]:

وإذا مــا اجـتـمــع الـديـن لـنــا فحقيرٌ مــا من الـدنيــا افترق

فهذا هو الشعر النسوي الذي ترتاح له النفوس فهو فن الشعر العذب الرقيق، ندي النفحات، صفي النسمات، وأنّ براعة الشاعر تظهر من خلال مدى استخدامه لألوان البديع ليطرّز بها شعره دون عناء، أو تكلف، أو إقحام، وإنّما ينساب انسيابًا على السليقة والعفوية، وإنّ ((الجملة الشعرية قد تستعين ببعض الوسائل البلاغية لأجل زيادة تحسين اللفظ، وإكسائه بحلّة قشيبة، موفقة زاهية تترك أثرًا ملحوظًا في نفس سامعها)) [٢].

وقد أحسنت الشاعرة الأندلسيّة استعمال تلك الوسائل البلاغية لتجمل ألفاظها، وتكسيها بحلّة زاهية رائعة الجمال، ففضلًا عن أنّ الجناس، والطباق، والمقابلة هناك فنون أخرى تعرفنا عليها من خلال استقرائنا لألفاظهن كـ (مراعاة النظير)، ومن ذلك قول ولّادة[٣]:

يــا أصـــبحيُّ هنّــأ فكم نـعمــةٍ جـاءتك من ذي العرش ربّ المنن

فقد راعت ولّادة بين معنى (ربّ العرش) و (ربّ المنن).

والفن البلاغي الآخر (الإفتنان) فقد جمعت ولّادة بين المدح والسخرية في قولها[٤]:

---

(١) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٣٦.
(٣) ينظر: الهجاء في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) ينظر: الهجاء في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

أنت الخصيبُ وهذه مصرُ فتدفقا فكلاكما بحرُ

فقد بدأت البيت بالمدح، وجعلت العجز محطًا للسخرية.

وجمعت مهجة بنت التياني بين المدح، والهجاء، والسخرية في هذين البيتين[1]:

يا متحفًا بالخوخ أحبابه أهلًا من مثلجٍ في الصدورِ

حكى ثديّ الغيد تفليكهُ لكنه أخزى(.....)

فبعد أن تقدّمت بالشكر، والثناء، والمدح لمن أهدى لها الخوخ في البيت الأوّل، عرّجت في البيت الثاني لتسخر منه وتهجوه.

ومن فنون البديع الأخرى التي حسّنت ألفاظها بها (التورية)[2]، وفي هذا اللون كانت لها براعة فائقة اتّسمت بالظرف والدعابة، فهذه نزهون تقول[3]:

حللتَ أبا بكرٍ محلًا منعتهُ سواكَ وهلْ غيرُ الحبيب له صدري

وإن كان لي كم من حبيب فإنّما يُقدّمُ أهلُ الحقّ حُبّ أبي بكرِ

ففي الشطر الثاني من البيت الأخير تورية لطيفة في لفظة (أبي بكر)، فيتبادر إلى الذهن لأول وهلة الخليفة الراشدي الأوّل أبو بكر الصدّيق رضي

---

(١) نزهة الجلساء: ٨٢.

(٢) التورية: أن يذكر معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفيّة، فيقصد المتكلّم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقريب. البلاغة والتطبيق: ٤٢٧.

(٣) نزهة الجلساء: ٨٤

الله عنه، ثمّ يتبادر إلى الذهن (أبو بكر بن سعيد) الذي كانت تقصده الشاعرة.

وهذه حفصة الركونيّة تتخذ من التورية سبيلًا للأغراء، والغواية، والإثارة والتشويق ليعجّل حبيبها أبو جعفر بوصالها فتقول[1]:

فعجّلْ بالجوابِ فما جميلُ أناتكَ عن بثينة يا جميل

فهذا والله من الشعر الرقيق العذب، وكن محسنات في اختيارهن لتلك الفنون البديعية الجميلة.

(١) نزهة الجلساء: ٤٣.

المبحث الثاني: بناء القصيدة:

١. المقدّمات والمطالع:

أكّد الأقدمون على حسن المطالع والمقدّمات، أو ما يعرف بــ (حسن الإبتداء) [١] في القصيدة العربية؛ لأنّ الشيء يعرف من أوّله، وقد قال بعض الكتّاب: ((أحسنوا الإبتداءات فإنّها دلائل البيان)) [٢]، واشترطوا فيها أن تأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها، وأرقّها، وأسلسها، وأحسنها نظمًا وسبكًا، وأصحّها مبنى،وأوضحها معنى، وأخلاها من الحشو، والركّة، والتعقيد[٣]، ولذلك حرصت الشاعرة الأندلسيّة على التأنق بمطالع مقطوعاتها، ومقدّمات قصائدها، وسارت على نهج الأقدمين في بعض منها كتلك المقدّمة الغزلية التي سبقت المدحة التي تقدّمت بها الغسّانيّة، فمدحت خيران العامري، وعارضت بها الشاعر ابن درّاج القسطلي وهذا مطلعها[٤]:

أتجزعُ إن قـالوا ســتظعنُ أظعـان وكيف تطيق الصبرَ ويحكَ إن بانوا؟!

أو ذلك المطلع الذي أستهلت به حسّانة التميمية مدحها للأمير عبد الرحمن، فقد وضعت فيه الرحلة إلى الممدوح، والمعاناة التي لاقتها من جرّاء البعد، فتقول[٥]:

---

(١) ينظر: البلاغة والتطبيق: ٤٦٢.
(٢) البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وآخرون: ٢٨٥.
(٣) البلاغة والتطبيق: ٤٦٢.
(٤) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٥) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شــحطٍ تُصــلى بنارِ الهواجرِ

ومطلع قصيدة بثينة بنت المعتمد في الفخر بالأمجاد حيث تقول[١]:

ربَّ ركـبٍ قـد أنـاخوا عيســهم في ذرى مجـدهم حين يســقْ

فضمّت تلك المقدّمات والمطالع ألفاظًا قديمة تداولها شعراء العرب منذ القدم كالظعن، الركائب، الركب، العيس، أناخوا، المجد، وغير ذلك، وظلّوا يتداولونها إلى أن أصبحت جزء لا يتجزأ من بناء القصيدة العربية القديمة، وهي بمحاكاتها للأقدمين في هذا الجانب أرادت أن تدلل على مقدرتها الشعرية من جهة، وعلى اعتزازها بتراث الآباء والأجداد من جهة أخرى، ثمّ أخذت بعد ذلك تجدد، وتبتكر المطالع الجديدة لمقطوعاتها، فأجادت فيها كالمطلع الذي ذكرته عائشة بنت أحمد القرطبيّة في مقدّمة أبيات لها أرسلت بها إلى بعض الرؤساء، ولكن لم تصل إلينا تلك الأبيات ما عدا المطلع وهو[٢]:

لولا الدموعُ ممّا خشــيتُ عذولا فهي التي جعلـت إليـك ســبيلا

فقد قال عنها صاحب الصلة بأنّها: ((تصرفت فيه أحسن تصرف))[٣]، ومنهن من جعلت مطلع أبياتها حكمة كبثينة بنت المعتمد، فقد قالت في الشكوى[٤]:

---

(١) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) الصلة: ٣: ٩٩٣.

(٣) الصلة: ٣: ٩٩٣.

(٤) البديع في نقد الشعر: ٢٨٥.

مــا يعلمُ المرءُ والـدنيــا تمرُ بــه بأنّ صــــرفَ ليالي الدهر محذورُ

واشترط بعض الأقدمين على الشاعر أن يبتعد عن الكلام المسنحقر والذي يتطير منه، فقالوا: ((ينبغي للشاعر أن يتحرز في ابتدائه ممّا يتطير منه، ويستحقر من الكلام)) [1]، لذلك حرصت الأندلسيّة على الابتعاد عن معاني التشاؤم، والاستحقار، والاشمئزاز، وتأنّقت في مطالعها، فأجادت حفصة الركونيّة في اختيار مطلع مقطوعتها التي بعثتها إلى حبيبها أبي جعفر، وحمّلته سلامها وتحياتها وتقول[2]:

ســـلامٌ يفتـح فـي زهرهِ الكمـا مُ ويـنـطـقُ ورقَ الـغصـــون[3]

فهو مطلع جميل بعيد عن التشاؤم، والاستحقار، والاشمئزاز.

٢. وحدة الغرض:

ليس من المعقول أنّ الشاعر كان ينظم أشعاره دون فكرة خطرت بباله، أو غرض محدد سعى إلى تحقيقه حتّى وإن كانت أشعاره وليدة الساعة مرتجلًا إيّاها، فلابدّ من وجود فكرة معينة في ذهنه يحاول أن يجد لها مخرجًا فنيًّا، فيناسق بين ألفاظه ومعانيه، ويعتني بأسلوبه، ويبذل قصارى جهده ليأتي بوحدة أسلوبية توضح للسامع تلك الفكرة، وذلك الغرض، فالشاعر العربي

---

(١) نفح الطيب: ٢: ١٤٦ ــ ١٤٧.

(٢) نزهة الجلساء: ٤٢.

(٣) الكمام: جمع ركم، وهو البرعم قبل أن ينفتح عن رائحته العطرة الفوّاحة، الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة.

القديم عني بوحدة الفكرة، ووحدة الأسلوب ليظهر لنا وحدة موضوعية في قصيدة محبوكة، ونسق شعري واحد ((تأخذ موضوعاتها برقاب بعضها بواسطة جسور لفظية، ونقلات شعرية لها شكل واحد)) [١]، فهي على الرغم من تعدد أغراضها وفنونها، وكثرة لوحاتها تعدّ وحدة موضوعية متكاملة.

وحينما نصل إلى الشعر النسوي في الأندلس نجد وحدة الغرض هي الطاغية على أشعارهن، فنادرًا ما نجد أكثر من غرض واحد في مقطوعاتهن، وهذا يعود إلى قصر نفس المرأة الذي عزا الحوفي إلى كونهن ((ملولات لا يصبرن على قرض الشعر مدّة طويلة، والقصيدة الطويلة تحتاج إلى جهد، وجد، وعزيمة)) [٢].

كما أنّ من متطلبات التطور الحضاري، والتقدم، والازدهار السرعة، ومسابقة الزمن، فهي لا تجد الوقت الكافي للتعمق والتفكير لذا غلب على شعرها الارتجال، وكثرة المقطوعات.

وليس معنى ذلك أنّ الشعر النسوي خلا من (الفكرة الواحدة) كما شكّ بعضهم في ذلك بقوله: ((ولا نستطع أن نقدّر التزامهن بالفكرة الواحدة أثناء تعبيرهن)) [٣]فمنهن من حوت قصائدها أكثر من غرض كحسّانة التميمية، فقد ناسقت بفطنتها، ومزجت بين المدح، والرثاء، والشكوى في قصيدة واحدة

---

(١) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د.نوري حمودي القيسي: ٧ ــ ٨.
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي، د. الحوفي: ٦٦٨.
(٣) المرأة في الشعر الأندلسي: ٣٢١.

حوت وحدة موضوعية متكاملة، وهذه لا تأتي إلّا بانسجام وحدة الفكرة مع وحدة الأسلوب، والشاعرة الثانية هي الغسانيّة البجانية التي جمعت بين الغزل والمدح رغم أنّ المدح لم يصل إلينا، وبثينة بنت المعتمد التي ضمّت قصيدتها الفخر والحكمة، وكانت مجيدة في إخراج قصيدتها، وجعلها وحدة متكاملة.

وكان للغناء سبب في جعل أغلب أشعارهن مقطوعات قصيرة تتلاءم مع الألحان والموسيقى لكي تكون أخفّ وقعًا على النفس، وأكثر تأثيرًا فيها.

وحافظت أغلب الشواعر على الوحدة المعنوية في البيت الشعري الواحد، وأحيانًا حتّى في نصف البيت كما رأينا ذلك عند اعتماد الرميكية[1].

٣. الخاتمة أو ما يسمّى بـ (حسن الانتهاء):

تأنّقت الأندلسيّة في اختيار أواخر مقطوعاتها كما تأنّقت في اختيار حسن الابتداء، وجودة المطلع، فقد تذوّقنا حلاوة ذلك، ونحن نستقرىء أشعارها؛ لأنّ ((أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظامًا يتسق به أوّله مع آخره فإن قدّم بيت على بيت دخله الخلل)) [2].

فقول بثينة منتظم لا خلل فيه؛ لأنّها بدأته بالحكمة، وختمته بالحكمة والموعظة أيضًا؛ وذلك بعد أن شكت ما أصابها من مآسي، فنراها تقول في النهاية [3]:

---

(١) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.
(٢) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري و د. محمّد زغلول سلام: ١٢٦.
(٣) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

يحل سوءٌ بقومٍ لا مردّ له وما تردّ من الله المقاديرُ

وأحسسنا من قول (الشلبية) بأنّ هذا البيت هو خاتمة المقطوعة؛ لأنّها فوضت أمرها إلى الله، وحذّرت أعدائها من عذاب الله، وأنّه لا تخفى عليه خافية، فتقول[١]:

خافوا وما خافوا عقوبة ربّهم والله لا تخفى عليه خافيهْ

ومنهن من ختمت مقطوعتها بحكمة لتشعر السامع بأنّها قد أنتهتن من ذلك قول أنس القلوب وهي تعتذر[٢]:

والعفو أحسن شيءٍ يكون عند اقتدار

وأحسنت حفصة الركونية اختيار نهاية لمقطوعتها التي تقول فيها[٣]:

فلا تحسن الظن الذي أنت أهلهُ فما هو في كلّ المواطن بالرشدِ

فقد جعلتها حكمة وموعظة.

وقد لا يفي البيت الأخير بالغرض، فلا نشعر بالنهاية فيه، ومعنى ذلك أنّ الخاتمة قد تكون أكثر من بيت واحد كتلك الخاتمة التي قالتها عائشة القرطبيّة في مدح المظفر بن منصور بن أبي عامر، وكان بين يديه أحد أولاده، فقالت تحييه وتمدحه[٤]:

---

(١) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة..
(٢) ينظر: الاعتذار في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٤) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

فأنتم آل عامرٍ خيرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدودُ
وليدكمُ لدى رأي كشيخٍ وشيخكمُ لدى حرب وليدُ

فلم تكمل المعنى إلّا بالبيتين الأخيرين.

وقد تكون الخاتمة أكثر من بيتين كتلك التي وجدناها في الرسالة الشعرية التي بعثت بها بثينة إلى أبيها (المعتمد) وهو في الأسر، ولكن هذه الخاتمة بحاجة إلى جواب، فتقول فيها[1]:

وأرادني لزواج نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجادِ
ومضى إليك يسوم رأيكَ في الرضا ولأنت تنظرُ في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرّفني به إن كان ممنْ يرتجى لودادِ
وعسى رميّكيّة الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن والإسعادِ

فالخاتمة بحاجة إلى موافقة والدها، ودعاء والدتها (اعتماد الرميكيّة).

هكذا كانت الأندلسيّة محسنة مجيدة في اختيار ما تختم به أواخر مقطوعاتها الشعرية.

(١) نفح الطيب: ٦: ٢٠، والدر المنثور: ٨٩ – ٩٠، ومختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٤ – ١٠٥، وأعلام النساء: ١: ١١٨ – ١١٩.

٤. حسن التخلص:

ويعرّف حسن التخلص بأنْ يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر بتخلص سهل يختلسه اختلاسًا رشيقًا، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع في الثاني لشدّة الممازجة، والالتئام، والانسجام بينهما حتّى كانّهما أفرغا في قالب واحد[١].

وغالبًا ما يكون حسن التخلص في قصائد المدح كالمدحة التي تقدّمت بها حسّانة التميمية في مدح الأمير الأموي، فقد أحسنت التخلص من غرض المدح إلى الشكر والثناء في بيت واحد، فنراها تقول[٢]:

جودت طبعي ولم ترضَ الظلامةَ لي فهاكَ فصلُ ثناءٍ رائحٍ غادِ

فإن أقمتُ ففي نعماك عاكفةٌ وإنْ رحلتُ فقد زوّدتني زادي

ويبدو أنّ حسّانة كانت من الشواعر البارعات في حسن التخلص، فلها مقطوعة أخرى أستطاعت بمقدرتها الشعرية أن تنتقل من معنى المدح إلى الشكوى، ثمّ إلى الرثاء ومطلعها[٣]:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي على شحطٍ تُصلى بنارِ الهواجرِ

وأجادت بثينة في تخلصها من الفخر إلى الشكوى في قولها[٤]:

---

(١) البلاغة والتطبيق: ٤٦٥.

(٢) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) نفسه.

(٤) مختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٦، وينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

مجدنا الشــمس ســناء وســنى من يروم ســتر ســناها لم يطقْ
أيّـهـا الـنـاعـي إلـيـنـا مـجـدنـا هل يضــرُّ المجدُ إنْ خطبٌ طرق
لا تُـرعْ لـلـدمـع فـي آمـاقـنـا مـزجـتـه بـدمٍ أيـدي الـحـرقْ

ومن هذه الشواهد نرى مدى حرص الأندلسيّة على بناء القصيدة.

٥. المعاني والأفكار:

وهي ركن أساسي في بناء القصيدة، وتقاس سهولة الشعر بنفاذ معانيه إلى الذهن أسبق من ألفاظه، فلا يكون الشعر سهلًا إلّا إذا كانت معانيه تسبق ألفاظه في الوصول إلى الذهن.

ولا يستطيع الشاعر أن يكون بارعًا في اقتباس معانيه، والتقاطها الألتقاطة السريعة إلّا إذا كان ذا ثقافة واسعة.

ومن المعروف أنّ الشاعرة الأندلسيّة قد تثقفت ثقافة عالية ممّا جعلها أوسع أفقًا، وأقدر كفاءة على اقتباس المعاني، والألفاظ المناسبة لها من الشواعر اللاتي لم يتثقفن هذه الثقافة، من أجل ذلك لم يكن طريق الشاعرة الأندلسيّة في اختيار معانيها وعرًا شائكًا، وإنّما كان سهلًا يسيرًا، فـ((من النادر أن نجد في أشعارهن اكتظاظ الألفاظ بالمعاني اكتظاظًا يؤدي إلى التعقيد، والإخلال بالمعنى))[1].

كما وقع في شعر ابن خفاجة وهو السبب الذي جعل بعض الناقدين يعيبون عليه كثرة معانيه، وازدحامها في البيت الواحد.

---

(١) الأدب العربي في الأندلس: ١١٤.

وتناولت الأندلسيّة العديد من المعاني رغم قلّة ابتكارها لها، وفي مقدّمتها (معاني الحب) لاسيّما بعد ظهور كتاب (طوق الحمامة)[١] لابن حزم الأندلسي (ت سنة ٤٥٦هـ)، فكانت حفصة الركونيّة وهي من شواعر القرن السادس السبّاقة في ابتكار معانٍ جديدة للحبّ والغرام، فقد أغرت حبيبها، وأثارت فيه الشوق واللهفة للقاء بها في قولها[٢]:

أزورك أم نــزور فــإنّ قــلــبــي إلى مــا تشــتــهي أبــدًا يــمــيــلُ
فــثــغــري مــوردٌ عــذبٌ زلالٌ وفــرعُ ذؤابــتــي ظــلّ ظــلــيــلُ

فهذا لعمري لون جديد من الغزل، وسلوك مبتكر يصدر من امرأة، فلم نجد مثل تلك المعاني، والأفكار الغزلية في الشعر النسوي القديم؛ لأنّ ((الذوق العربي كان ينفر من تصوير الحبيبات يبادلن تصوير المرأة في قصائدهم عاشقة، أو طالبة للرجل متهالكة عليه، فقد وجدوا ذلك غضًّا من أنوثتها وحيائها؛ لأنّهم أحبّوا المنعة [٣]، فتميّز شعر الأندلسيّة ((بخصائص مضمونية وشكلية عن غزل الرجال الذي نشأ، وتطور، وساد في جو القصيدة العربية منذ الجاهلية إلى يومنا هذا، وهي قصيدة لم تكن المرأة فيها سوى معشوقة مستسلمة للرجل انعكاسًا لاستسلامها له في الحياة)) [٤].

---

(١) ينظر: كتاب (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) لابن حزم الأندلسي، حقّقه وقدّم له: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الدار التونسية ١٩٨٦م.
(٢) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) المرأة في الشعر الجاهلي،د. الحوفي: ٦٥٦ – ٦٥٧.
(٤) الشعر النسوي في العراق (رسالة ماجستير): ٣.

ومن المعاني المبتكرة الأخرى في الغزل، الغيرة العالية التي حملتها حفصة الركونية، فقد كانت أكثر اندفاعًا من طبيعة المرأة المحبّة تصل أحيانًا إلى الأنانية والخوف من كلّ شيء، وبلغت شدّة خوفها حتّى من (العتاب) فهي لا تريده أن يعاتبها لأنّها تخشى أن ينتهي الحبّ بالقطيعة[1].

واستوحت المرأة الأندلسيّة معانيها من التراث العربي الأصيل، ولكنها أخرجتها بصيغ جديدة، وروح مفعمة بالطراوة، وأضفت عليها حُللًا، فأصبحت ملائمة لروح العصر، وهذه نتيجة طبيعية لتشرّب ثقافتها بالموروث الثقافي، ومن ذلك قول (مهجة القرطبيّة) في ولّادة [2]:

لشــن حلأت عن ثغرها كلّ حائمٍ فما زال يحمي عن مطالبه الثغرُ

فذلك تحميه القواضــب والقنا وهذا حماهُ من لواحظها الســحرُ

فالثغور، والقواضب، والقنا، واللواحظ معانٍ تراثية قديمة، ولكنها حين شبهت ثغر ولّادة الذي طردت عنه كلّ الحائمين حوله بحرّاس الثغور الذين يحمون ويدافعون عن الثغور الإسلامية، أكسبت النصّ روحًا جديدة، ونكهة طيّبة، وظرافة، ولطافة، ورشاقة، فالثغور يحميها الحرّاس بالسيوف والرماح، وولّادة تحمي نفسها بلواحظ سحرها ونظراتها، فهي قريبة من وقع السيوف، ورمي السهام؛ لذلك جاء نصّها من أجمل الأشعار.

---

(١) ينظر: الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ومن المعاني التي آمنت بها، وجسّدتها في أشعارهن (الإيمان المطلق) بالله سبحانه وتعالى، والأيمان بالقضاء، وحكم القدر[١].

كما أعتزت بالمعاني السامية، والأخلاق الفاضلة، والصفات المحمودة، والشيم العربية الأصيلة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان العربي لاسيّما في قصائد مدحها كعراقة الأصل، والجود، والكرم، وعلو الهمّة، ونصرة المظلوم.

وحرصت الشاعرة الأندلسيّة الحرّة على الأواصر الأسرية من خلال احترامها لأبيها وأخيها، فعلاقة قسمونة[٢] بأبيها علاقة ودٍ، واحترام، وتفاهم.

وكذلك علاقة بثينة[٣] بأبيها المعتمد التي أبت إلّا أن تستأذنه بالزواج على الرغم من بعد المسافة بينهما، ومقدرتها على اتّخاذ القرار بنفسها، فهي راشدة عاقلة ذكيّة.

أمّا خديجة[٤] فقد تنازلت عن حقّها الشرعي في اختيار شريك حياتها مجاراة لأخيها، طاعة منها له واحترامًا.

أمّا الجارية، فقد حرصت على طاعة سيّدها واحترامها له، كما رأينا ذلك من خلال أشعار هند جارية الشاطبي، وأنس القلوب، والعجفاء، والجارية مرجان زوج الناصر التي جسّدت معاني الوفاء لزوجها، ومدى حبّها له،

---

(١) ينظر: الدلالات اللفظية في المبحث الأوّل من هذا الفصل.
(٢) أنظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.

وحرصها عليه ممّا جعلها تلقن طائر (الزرزور) بعض أشعارها، وترسله لينشدها أمامه، وتناولت معاني الحرمان والظلم من خلال تحسرها، وآهاتها، وشكواها[1].

وتناولت المعاني الفاحشة المقذعة في هجائها، وأتت بما هو جديد، وبما لا يستطيع الرجل أن يقوله[2]، فأعطتنا مؤشرًا لما كان يدور في مجالس اللهو، والأنس، والطرب من أبتذال وتهتك، فهذه الألفاظ التي سخفت معانيها كألفاظ نزهون في استعمالها للقاذورات، وولّادة في استعمالها للعورات تتلاءم والغرض الذي قيلت فيه، فهي حريصة على الملاءمة بين ألفاظها ومعانيها، فلم نجد عندهن سخيف معنى في غير ذلك.

وظهرت تلك المعاني الفاحشة في هجاء المرأة للمرأة، وهذا دليل على غيرتها، وحسدها لمن هي أفضل منها، فمهجة تهجو ولّادة لأنّها أفضل منها حسبًا، ونسبًا، ومكانة، وشاعرية وقد وقع بالوهم من أعتقد أنّ النفاق كان طاغيًا، وأنّ الوفاء بين الأصدقاء كان مفقودًا، فهجاء مهجة لولّادة، وهجاء ولّادة لابن زيدون لم يشكلا ظاهرة، وإنّما هو أمر طبيعي غالبًا ما يحدث بين الأصدقاء في كلّ زمان ومكان.

وأستمدت الشاعرة الأندلسيّة أغلب معانيها من الطبيعة، فقد أنعطفت معظم أشعارها إلى الطبيعة الخلّابة، و((لانكاد نظفر بقصيدة في أي مجال

---

(١) أنظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) أنظر: الهجاء والسخرية في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

من فنون الشعر إلّا ونجد فيها وصفًا للطبيعة))[1]، فإنّك تجد بصمات الطبيعة من زروع، وطيور، وأنهار، ومناظر جميلة...الخ مبثوثة هنا وهناك في كلّ قطعة شعرية، فولّادة تعاتب ابن زيدون حين نظر إلى جاريتها، وتطرّز عتابها بألفاظ الطبيعة لتضفي على أبياتها حيوية ونضارة فتقول:

وتركتَ غصنًا مثمراً بجمالهِ وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ونزهون تجيب الكتندي وتجيزه بقولها:

البدرُ يطلعُ من أزرتهِ والغصنُ يمرحُ في غلائلهِ

وقسمونة تشكو وتقول متأثرة بالطبيعة:

أرى روضة قد حان قطافها ولستُ أرى جانٍ يمدُّ لها يدا

والأمثلة كثيرة عندما نطّلع على بقية أشعارهن.

أمّا معاني التفلسف والمصطلحات العلمية فلم تشغل حيزًا من شعرها؛ لأنّ الأندلسيين ((لم يشتغلوا بالفلسفة، أو يدرسوا المنطق إلّا قليلًا؛ولذلك كان شعرهم في تركيب معانيه...وتكوينه بعيدًا عن الأقيسة، والتصورات العميقة، فالمعاني مفردة متفرقة غير مربوطة بسلسلة واحدة))[2].

وأخيرًا لابدّ أن نشير إلى أنّ تأثير الحضارة كان طاغيًا على معاني أشعارهن، فمعاني الفخر والمدح مثلًا أصبحت سهلة رقيقة لا قوّة فيها، ومعاني الغزل جنحت إلى الرشاقة والعذوبة، وما إلى ذلك من المعاني الحضارية الأخرى.

---

(١) في الشعر الأندلسي، د. عدنان صالح مصطفى: ٧٤.

(٢) الأدب العربي في الأندلس، أحمد بلا فريج: ١١٩.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

تعدّ الصورة الشعرية وسيلة من وسائل التعبير عن تجارب الشاعر، وقد عرّفها العديد من الأدباء، والمؤلفين، والنقّاد، وفي نظرنا أنّ أقرب تعريف لها هو ما ذكره د. محمّد حسين الصغير بأنّها: ((أداة فنيّة لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون بما لها من مميزات، وما بينهما من وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلًا)) [١]ويرى الأستاذ أحمد الشايب: أنّ مقياس الصورة الأدبية هو قدرتها على نقل الفكرة[٢]؛ولذلك ينبغي أن تكون لها عناصر لتحقيق غايتها في نقل تلك الفكرة أو التجربة الشعرية.

ويعدّ الخيال العنصر الأوّل والأساس في تشكيل الصورة الأدبيّة تشكيلًا جديدًا، ولنرى ما للخيال من أهمية كبيرة في تكوين الصورة الشعرية لدى الشاعرة الأندلسية فقد عرف عن الشعر الأندلسي أنّه مترع بالخيالات والصور الشعرية، وللخيال دور فعّال في إخراج تلك الصور الشعرية، وأنّه ((قدرة على بعث الصورة بالكلمات والجمل)) [٣]، وهو ((العنصر الذي يساعد على تشكيل الواقع الخارجي تشكيلًا جديدًا في العمل الأدبي)) [٤].

---

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمّد حسين الصغير: ٢٧.
(٢) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: ٢٤٨، النهضة المصرية،ط٧، ١٩٦٤م.
(٣) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، محمّد غنيمي هلال: ٣٩٠.
(٤) في النقد الأدبي، د.كمال نشأت: ٢٨.

وممّا لاشكّ فيه أنّ الشعر ليس مجرد صور، وألفاظ، وتراكيب، وإنّما هو نسج من العواطف، والشعور، والملكات يصنعه الخيال الإبداعي الخلّاق، وهذا لا يتحقق إلّا باستعمال المحسنات البديعية، فقد أدركت الشاعرة الأندلسيّة شأنها شأن الشعراء بأنّ (المجاز أبلغ من الحقيقة)[1]، لذا عمدت بقصد، أو بدون قصد، بدهائها وفطنتها أن تمزج الحقيقة بالخيال لتأتي بصور تناسب الذوق العام، وأحيانًا تكون تلك الصور جديدة ومبتكرة، فأطلقت لخيالها العنان، وفسحت المجال أمام المحسنات البديعية لترسم لنا صورًا شعرية إبداعية ومبتكرة كتلك الصورة التي رسمتها أمّ العلاء لبستانها المتواضع، وتقول[2]:

لله بستاني الذي ... يهفو به القصبُ المندا
فكأنما كسف الريا ... ح قد أسدت بنداً فبندا)

والصور التي رسمتهاحمدة بنت زياد لواديها (وادي آش)، فقد كانت صورًا جميلة أنيقة، واسعة الخيال، فنراها تقول[3]:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... رقاهُ مضاعفُ الغيث العميم
حللنا دوحهُ فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

فأكسبت واديها حياة وحركة، وجعلته يحنو عليها كحنو المرضعات على الطفل المفطوم، وخصّصت الطفل الفطيم؛ لأنّه بحاجة إلى حنان أوفر من الطفل الرضيع، ثمّ تقول:

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني: ٣٢٧.
(٢) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

وأرشفنا على ظمأٍ زلالاً ألذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروعُ حصاهُ حالته العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ففي البيتين الأخيرين خيال واسع وبعيد، وصور شعرية متلونة زاهية تكاد تغرب عن فكر الكثير من الشعراء رسمتها حمدة لواديها لتصف بها ظلاله، وكيف أستطاع أن يحجب الشمس عنهن، ويسمح للنسيم بالهبوب نحوهن، ثمّ تشبّه حصاه بحبات اللؤلؤ، وعندما رأته العذارى الحاليات أعتقدن بأنّ عقودهن قد أنفرطت على أرض ذلك الوادي.

أمّا مريم، فقد رسمت لنا صورة حيّة للتعبير عن آلام الشيخوخة تعبيرًا لم يستطع كثير من الشعراء الرجال المعمّرين أن يصلوا إلى مقامه، دقّة تصوير، وبراعة تعبير، فقالت[1]:

تدبّ دبيب الطفل تسعى إلى العصا وتمشي بها مشي الأسير المكبل

واتّصفت خيالاتهن بالواقعية والبساطة كالتي ذكرناها، وكتشبيه الشيب بالصباح في بياضه، والثغر بحرّاس الثغور، والفراق بالموت، وساعات اللقاء باعتناق الرياح للأغصان، والنهار بصفحة الخدّ، فهذه تشبيهات مستوحاة من الواقع ليس فيها غرابة، فقول بثينة في الشكوى لم يبتعد عن الواقعية، فقالت[2]:

(١) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

وفرّ من حولـه الجيوش كمـا تفرّ إن عاينت صــقرًا عصــافيرُ

ففرار العصافير من الصقور أمر واقعي وطبيعي.

وقولها[1]:

وقـديـمًـا كـلـف الـمـلـك بـنـا ورأى منّـا شــمـوسًــا فعشــقْ

قـد مضــى منّـا ملوك شــهروا شــهرة الشــمسِ تجلّت في الأفقْ

فتشبيه الملوك بالشموس ليس فيه غرابة؛ لأنّهم أشتهروا كشهرة الشمس، فمن لا يعرف الشمس؟!

ومن الصور البديعة الجمال قول نزهون[2]:

لـو كنـت تبصــر من تكلّمـه لـغـدوت أخـرسَ مـن حـلائـلـه

الـبـدرُ يـطـلـعُ مـن أزرتـه والـغصــنُ يـمـزحُ فـي غـلائـلـهِ

فكثرة الخيالات التي كونت صورهن صنفت على أشعارهن ظرافة وعذوبة، فنحن لا نرى إنغلاقًا في المعاني، أو عسرًا في الهضم، أو صعوبة في حفظ الشعر وبقائه كما ادّعى المستشرق غارسيا غوميس وغيره من الباحثين الذين وصفوا الشعر الأندلسي ((بأنّه مثقل بالخيالات حُمِلَ منها فوق ما يطيق)) [3].

---

(١) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(٣) ينظر: الشعر الأندلسي: ٢٦، ٤٧.

فنحن نذهب إلى ما ذهب إليه د. محمّد مجيد السعيد[1] في أنّ السهولة والوضوح صفتان تغلبان على الشعر الأندلسي دائمًا، وأنّ ادّعاهم أنّ أبيات نزهون السالفة الذكر، وهذه الأبيات لأنس القلوب والتي تقول فيها[2]:

قدم الليل عند سير النهار وبدا البدرُ مثل نصف سوار
فكأن النهار صفحةُ خدٍّ وكأن الظلام خطّ عذار
وكأن الكؤوس جامد ماءٍ وكأن المدام ذائبُ نار

كانت مثقلة بالخيال، ونحن لا نرى ذلك، بل على العكس منه، فتكرار كلمة (كأن) أكسبت النصّ إيقاعًا موسيقيًا عذبًا، وأنّ هذا التنقل من النهار إلى الليل جعل النصّ نابضًا بالحياة، والدليل على ذلك، أنّ هذه الأبيات كانت من وحي البيئة التي عاشتها أنس القلوب، فخيالاتها واقعية خصبة أجادت فيها، وحقّقت غايتها، فوصلت بواسطتها إلى قلب أبي المغيرة.

ولم يكن الخيال هو العنصر الوحيد في تكوين الصورة الشعرية فلابدّ من وجود عاطفة قويّة تصحبه.

فنحن نعلم أنّ للمرأة عاطفة، وشعورًا، وإحساسًا يختلف عن الرجل ((وهناك بعض الناس يخطئون إذ يقيسون المرأة بالرجل، فهم يطلبون من المرأة، وينتظرون منها عملًا كعمل الرجل، وإحساسًا منها كإحساسه، وهي

(١) ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٣٥٨.
(٢) ينظر: المدح في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

ليست رجلًا فللمرأة طريقتها في التعبير، وللرجل طريقته، ومن يريد أن يكون تعبير المرأة عن شعورها كتعبير الرجل فهو كمن يريد أن تصبح المرأة رجلًا)) [١]، فإحساسها مرهف، وعاطفتها تتلون حسب مزاجها، فأحيانًا نراها فرحة مبتهجة، وأحيانًا أخرى نراها حزينة مكتئبة؛ ولذلك جاءت أشعارها متلونة بحسب عاطفتها، فأشعار الغزل عند لقاء الأحبة تتسم بالارتياح والفرح، وأشعار الرثاء والشكوى تتسم بالحزن والألم، فكانت أشعارها صورة صادقة لشعورها ((تضمّ بين الحين والحين لمحات تصوّر أخلد العواطف الإنسانية)) [٢].

وعلى الرغم من أنّ الأندلسيّة عرفت برجاحة العقل، وعمق التفكير، وسعة الثقافة إلّا أنّه مهما نضج عقلها، وعمق تفكيرها، وغزر علمها؛ فإنّها تظلّ مع ذلك كلّه عاطفية المنزع، مزاجية الشعور، تستجيب لما في داخلها من وجدان، وتنفعل لكلّ ما يثير إحساسها المرهف، فقد أظهرت جرأة وصراحة في التعبير عن عواطفها تجاه من تحبّ، لا بل غلبت عاطفتها قلبها، فظهرت نفسها عاشقة وليست معشوقة مغرمة لا مغرمًا بها فكانت أشعار الحبّ عندها ممتعة رقيقة جذّابة؛ ولذلك قال البروفيسور (رينولدنيكلسن): ((ولعلّ أكثر مظاهر الشعر الأندلسي إمتاعًا هي المشاعر الرومانسية الرقيقة التي ظهرت في أغاني الحب)) [٣]،

---

(١) شاعرات عربيات، روحية القليبي: ٥.

(٢) الشعر الأندلسي، غارسيه غومس: ٤٧.

(٣) تاريخ الأدب العباسي، نيكليسن: ٢٣١ - ٢٣٤، ترجمة صفاء خلوصي.

فمثلًا أمّ الكرم عندما أحبّت صرخت بأعلى صوتها ولم تبالِ[١]، وكذلك حفصة الركونيّة[٢] عندما أحبّت أبا جعفر الوزير الشاعر، وولّادة[٣] مع ابن زيدون وغيرهن، فقد جاءت أشعارهن فيضًا من العواطف الجيّاشة، ومتعة عابرة، ونفحة عذبة تنعش القلوب، وتسعد النفوس، وعندما يبتعد عنها الحبيب يعتريها الشعور بالخوف عليه، والخشية من هجرانه، فهذه نزهون تقول في موشحتها[٤]:

حفظ الله حبيبًا نزحا ... خشية الهجر

جاءت البشرى به فانشرحا ... عندها صدري

استطار القلب منّي فرحًا ... ثمّ لا أدري

وكان للطبيعة أثر ظاهر في إثارة العواطف، وتصوير الجمال، وإيقاظ النفوس، فـ((أحدثت الطبيعة حسًّا شعوريًا دلل على رقي عاطفتها التي تمثلت بالإرهاف العاطفي الطبيعي، والتجاوب الذاتي)) [٥].

فالطبيعة هي التي حرّكت عواطفها، وجعلتها تتأثر بما حولها، فتصفه وصفًا دقيقًا بديعًا، وهذا لمسناه في وصف حمدة لواديها، وأمّ العلاء في وصف بستانها[٦].

---

(١) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: أشعارها في الغزل في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) نفسه.
(٤) ينظر: الموشحات في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٥) المرأة في الشعر الأندلسي: ٣٤٥.
(٦) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

إنّ قوّة العاطفة تختلف من شاعرة لأخرى، وهذا مناط بشدّة الموقف الذي الذي تجابهه الشاعرة، فما لاقته بثينة من أحداث وما حلّ بها وبأهلها من نكبات، ومصائب، ومآسي جعلتها تعبر عن كلّ ذلك بعاطفة صادقة ذات نبرة حزينة على الرغم من أنّها بدأت بذكر المفاخر والأمجاد.

وحفصة الركونيّة التي فقدت عزيز قلبها وحبيبها أبا جعفر، فرثته بعاطفة قويّة، وشعور لاهب ينمّ عن حزن شديد، ولوعة كبيرة، ولم تكن العاطفة قويّة في الأحزان والمصائب فحسب، وإنّما حتّى في المسرّات فقد تصل إلى حدّ المجون إذا تطلب الموقف ذلك.

وأنّ (حدّة الإنفعال، وقدرة التعبير عن ذلك الإنفعال) [١] تقاس بعمق التجربة الشعورية التي تمرّ بها الشاعرة، فقد رأينا نصوصًا شعرية لها تتسم بفتور العاطفة، وقلّة الإنفعال، وسطحية المشاعر ولكن هذه النصوص كانت قليلة لا تتعدى النصين أو الثلاثة، ومنها قول صفية[٢] بنت عبد الله الربي وهي تردّ على امرأة عابت خطّها، وقول البلشيّة[٣] في حبيب لها:

لـــي حـــبـــيـــب خـــدّه ... كـالوردِ حســنًـا في بيـاضِ
هـو بـيـن الـنـاس غضـــبـا ... نٌ وفـــي الـخـلـوةِ راضِ
فـمـتـى يـنـتصـــف الـمظـلـو ... م والـــظـــالـــم قـــاضِ

(١) الإسلام والشعر، د. سامي مكّي العاني: ٢٤٠.
(٢) ينظر: الفخر في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: ترجمتها في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

ولمسنا لدى الشاعرة الأندلسيّة عاطفة دينية منبعثة من إيمانها العميق بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وبرسوله الكريم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم، وبالعقيدة الإسلامية، فسارت بها إلى حيث بيت الله الحرام لتؤدي فريضة الحج كما فعلت مريم بنت أبي يعقوب، فقلوبهن عامرة بالإيمان على الرغم من أنّ البعض منهن أنغمس بالملذات، وحياة اللهو والطرب.

كما راينا عاطفة وطنية، واعتزازًا قويًّا يشدّ الشاعرة بوطنها وأهلها؛ وذلك في أشعار قمر البغدادية(١) والشلبيّة(٢) وحمدة بنت زياد، وأمّ العلاء(٣).

وخلاصة القول: إنّ الصورة الشعرية لا يمكن أن تقف وحدها في أي عمل أدبي ما لم تتحد، وتتلاحم، وتنسجم مع عناصرها الأخرى من خيال واسع، وعاطفة جيّاشة، وفكرة واضحة.

واستخدمت الشاعرة ألوانًا شتى لرسم صورها منها:

- التشبيه:

فقد اتّخذت منه لونًا برّاقًا لامعًا لتلوّن لوحاتها الشعرية، فأعطتها بعدًا، وعمقًا فنيًّا بديعًا، فهذه حسّانة تقول:

فـإنّـي وأيتـامـي بقبضـــةِ كفّـهِ كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

---

(١) ينظر: الحنين في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٢) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) ينظر: وصف الطبيعة في الفصل الثالث من هذه الرسالة.

فقد شبّهت صورتها وأولادها اليتامى في قبضة يد الظالم كطائر صغير في مخالب وحش كاسر، وهو تشبيه جميل وواقعي.

ومن التشبيهات المتقنة ما قالته حمدة في واديها:

كـأن الصــبح مـات لـه شــقيقٌ فمن حُزنٍ تســربـل بـالحـداد

فالصبح هو الوجه لبياضه فجع بموت شقيقه، فتسربل بالحداد، وهو الذوائب السوداء.

أمّا حفصة بنت حمدون فقالت:

لــه خلق كـالخمرِ بعـد امتزاجهـا وحســن فما أحلاه من حين خلقته
بوجهٍ كمثل الشــمسِ يدعو ببشــرهِ عيونًـا يغشــيهـا بـإفراط هيبتـه

ومن التشبيهات العذبة الرقيقة والتي جاءت ارتجالًا قول عائشة القرطبيّة:

ولـيـدكـم لـدى رأي كشــــيـخٍ وشــــيـخكـم لـدى حربٍ ولـيـدُ

والأمثلة كثيرة، والتشبيهات متنوعة في أغلب مقطوعاتهن[1].

- المجاز والاستعارة:

ومن ألوان البيان التي طرّزت بها الشاعرة الأندلسيّة أشعارها، ورسمت بها لوحاتها الاستعارة والمجاز، وفي مقدّمتها أبيات حمدة في واديها، فقد رسمت له أكثر من صورة، وعقدت مقارنات، وخلقت تشبيهات ومجازات لواديها

(١) ينظر: بقيّة أشعارهن في الفصل الثاني والثالث من هذه الرسالة.

الجميل الذي طالما أستهوتها مياهه العذبة الصافية، وجذبتها للسباحة فيها مع صديقاتها فقالت:

فمن نهر يطوفُ بكلّ روضٍ ومن روضٍ يرفّ بكلّ وادِ
ومن بين الظباء مهاة أنسٍ سبت لبّي وقد ملكت فؤادي

فمن هذه الاستعارات الجميلة صممت لوحات فنيّة لذلك الوادي ولصاحبتها جعلت الأبيات كلّها حيوية، وحركة، ورشاقة، وأناقة.

أمّا حفصة الركونيّة فبعثت إلى حبيبها بعد أن مرّت أيّام الجفاء، وساعات النكد لتحلّ مكانها أيّام السعد والإنشراح فقالت[1]:

سار شعري لك عنّي زائرًا فأعز سمع المعالي شنفه
وكذلك الروض إذ لم يستطع زورة أرسل عنه عرفه

فاستعارت السير لأبياتها الشعرية لتذهب لزيارة حبيبها بدلًا عنها، وحتّى الرياض إذا لم تستطع زيارته فسوف ترسل إليه طيبها، وعرفها، ورائحتها الزكيّة بدلًا عنها.

وتقول حفصة بنظرة تشاؤمية من شدّة خوفها وحرصها على حبيبها هذه الأبيات التي أضفت عليها بواسطة ألوان البيان التي أستخدمتها حركة ولطافة على الرغم من المعاني التشاؤمية التي حوتها فقالت:

لعمرك ما سرّ الرياضُ بوصلنا ولكنه أبدى لنا الغلّ والحسد

---

(١) الشعر النسوي: ١٢٧.

ولا صــفّق النهرُ ارتيـاحًـا بقربنـا ولا غرّد القمري إلّا لمّـا وجـد

وتتجلى الاستعارة بوضوح في قدرتها على التصوير، وتجسيم المشاهد؛ وذلك بنقلها من معناها المجرد إلى المعنى الحسي المألوف[1].

فأمّ العلاء جسّمت الرياح وشخّصتها بعد أن منحتها كفًّا يسند بندًا فوق بندٍ.

وحمدة حين جعلت من واديها حجابًا للشمس ومصدًا لها، ثمّ يأذن للنسيم العذب بالدخول، فكأنك تجد شخصًا شاخصًا يحجب الشمس بإحدى راحتيه، ثمّ يعطي الإشارة للنسيم براحته الأخرى كي يدخل، وكأنه (شرطي مرور) إن صحّ التعبير.

وغاية المنى التي أستنطقت الهوى، وجعلته يقول (أنا) فهي لم تكتفِ بتشخيصه وتجسيمه، وإنّما جعلته يتكلّم كأي إنسان فيه حركة؛ وذلك في قولها وهي تجيز (ابن صمادح) حين قال لها:

ســـلْ الـهوى غـايـة المنـى من كســـا جســـمي الضـــنـا

وأجابت:

وأرانـــــي مـتـيـمًـا ســـيـقـول الـهـوى أنـا

فلم تكن ألفاظها مجرد كلمات جامدة أو تراكيب هامدة، وإنّما تفيض حياة وحركة، فقد نقلتها من معانيها المجردة إلى معانٍ حسيّة مألوفة.

---

(١) ينظر: الصور البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام وأثر البيئة فيها، ساهرة عبد الكريم (رسالة دكتوراه): ٢٢٨ لسنة ١٩٨٤م.

المبحث الرابع: الخصائص الفنية لشعر المرأة الأندلسيّة وسماته العامة

قبل كلّ شيء نود أن نثبت ما قاله الدكتور نوري جعفر حول الفرق بين المرأة والرجل من الناحية العقلية، فقد قال: ((أثبتت الدراسات الدماغية المقارنة بين (الرجل والمرأة) أنّ هناك فروقًا فردية ملحوظة من ناحية الأجزاء الدماغية السفلى المسؤولة عن المشاعر، والانفعالات، والعواطف تكون عند المرأة أكثر تطورًا من الرجل)) [1]، وعليه فالمرأة وفقًا لذلك مهيّأة فطريًا أن تكون أديبة، وأن تنتج أدبًا مصطبغًا بألوان، وأضواء، وظلال عالمها الأنثوي الخاص وأسراره[2]، لا بل هو انعكاس لسماتها الأنثوية، فللمرأة أدب خاص بها يختلف عن أدب الرجل رغم أنّها لا تختلف عنه في العلوم العقلية كالطب والرياضيات إلّا أنّها تختلف عنه في الأدب؛ لأنّ السمات الشخصية والنفسية تختلف بين الرجل والمرأة ممّا ينعكس ذلك على إحساس كلّ منهما، ومن هنا لابدّ أن يختلف الأدب الرجالي عن الأدب النسوي، ويتجلى هذا الاختلاف في السمات الفنية الآتية:

---

(١) بناء على المقابلة الشخصية التي أجراها د. عليّ الخالدي مع د. نوري جعفر بتاريخ ٢٨/ ١٢ /١٩٨٧. ينظر رسالة: الشعر النسوي في العراق، د. عليّ الخالدي (التمهيد).

(٢) المصدر السابق.

١. انعكاس سمات الأنوثة في أشعارهن:

- فهو رقيق كرقّتها، وعذب كرضابها، وسهل بعيد عن التعقيد كسلاستها، ورشيق كرشاقة قدّها، وأنيق كأناقتها،وساحر جميل كسحر لحاظها، وجمال طلعتها، ومفعم بالحيوية والنضارة كحيويتها ونضارتها، وقد أكّد د. عبد الحي دياب عند دراسته للصورة الشعرية عند الشاعر (صالح جودت) ما ذهبنا إليه في شعرهن ((الرقّة المتداعية في الشكوى مع المبالغة في التذلل، والإفراط في الاستعطاف، وهذه صفات تتفق وطبيعة الأنثى))[١].
- اتّصف شعرهن بـ(اللين) ؛ لأنّ الألفاظ المستكرهة لا تلاءم طباعهن.

وهذا ما ذهب إليه د. الحوفي في قوله: ((وشعرهن ألين من شعر الرجال كثيرًا سواء في الرثاء، أو في الفخر، أو في الهجاء، أو في الغزل؛ لأنّ طباعهن رقيقة لا يلائمها اللفظ الحوشي المسنكره، وتعبيرهن صورة من طبعهن))[٢].

- غلبة العاطفة على أشعارهن، وهذا يتماشى مع طبيعة المرأة، فهي عاطفية المنزع والمزاج، وقد أكّدت ذلك د. بنت الشاطىء في قولها عن المرأة: ((مهما ينضج عقلها، وتتعمق ثقافتها، ويغزر علمها فإنّها تظلّ مع ذلك كلّه عاطفية المنزع والمزاج، وتستجيب لما في نظرتها من وجدان يقظ وتنفعل بما يثير حسّها المرهف))[٣].

---

(١) مشاكسات أدبية، د. عبد الحي دياب: ١١٦.
(٢) المرأة في الشعر الجاهلين د. الحوفي: ٦٦٩.
(٣) الشاعرة العربية المعاصرة، د. بنت الشاطىء: ١٢.

- اتّصفت أشعارهن بالقصر حتّى أنّ البعض منهن تكتفي بنصف البيت كاعتماد الرميكيّة، وهذا يتماشى أيضًا مع طبيعة المرأة، فهي سريعة الملل، قصيرة النفس.

٢. اتّسمت أشعار بعضهن بالجرأة والصراحة لاسيّما في غرضي الغزل والهجاء، فكانت تنادي بأعلى صوتها بأنّها تحبّ وتعشق في غزلها، وعندما تريد الهجاء فإنّها تصوّر المهجو تصويرًا هزليًا ساخرًا لتنال منه، فهي لا تبالي حتّى في ذكر العورات والقاذورات؛ لأنّ مجتمعها يتقبل ذلك ويستسيغه.

٣. رغم تلك الجرأة والصراحة فإنّها لم تبح باسم المحبوب، وإنّما أستعاضت عنه بالرمز، والتستر، والتلميح، وقد عدّ الشيخ البيومي مسألة التلميح في غزل المرأة من أبرز خصائصه الفنية فقال: ((والواقع أنّ المرأة لم تلج باب الغزل صريحة سافرة، بل تلثمت بكلّ ما ملكته من براقع وخمور، فكان غزلها في الغالب يهديك إلى الطريق، ويجعلك تسير وحدك دون أن يرافقك في خطواتك))[١].

وفي رأينا أنّ الرمز والتلميح في شعرها هو نوع من الإبداع الشعري والقدرة الفنية لتجلب القارىء إلى الإستمتاع بقصائدها، و((لأنّ الوضوح والمباشرة في الشعر قد تفقدانه شيئًا من الخيال ممّا يضعف العاطفة، ويوهن الصورة البيانية))[٢] التي أرادتها الشاعرة، ولا أظنّ أنّ لجوء الشاعرة

(١) الغزل في شعر المرأة، الشيخ محمّد رجب البيومي، مجلة الرسالة: ١١٥٣، العدد ٧٥٢٤ لسنة ١٩٤٧م.

(٢) الشعر النسوي في العراق: ١ (رسالة ماجستير).

الأندلسيّة إلى (الرمز) ناتج عن استحيائها كما يرى د. الحوفي بقوله: ((إنّ النساء مطبوعات على الاستحياء بحبّهن)).

فهذا لا ينطبق على أغلب النساء الشواعر في الأندلس، فالكل يعلم علاقة ولّادة بابن زيدون، وحفصة بأبي جعفر، وأمّ الكرم بالفتى المعروف بالسمار كلّ أولئك الشواعر لم يذكرن أسماء الأحبة، وإنّما عمدن إلى التلميح واستخدام الرموز.

فمن تلك التلميحات والرموز لفظة (حبيب، الحبيب، من، الذي، الدر، أخا البدر، النهار،...الخ) ودليلنا على أنّ الأندلسيّة لا تبالي سواء ذكرت اسم حبيبها أم لم تذكره، فزينب المريّة كانت تعشق ابن عمّ لها اسمه (المغيرة) فمرّة تصرّح باسمه، ومرّة أخرى تكنّي عنه[1].

وكذلك خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافريّة التي صرّحت باسم حبيبها أبي مروان، ومعنى ذلك أنّ الأندلسيّة التجأت إلى الرمز والتلميح لتكسب شعرها جمالًا، وروعةً، وإثارة.

٤. ليس للمرأة سلاح سوى (الدموع) كما يقولون، وهذا ما رأيناه في بعض أشعارها [2]، فسرعان ما تذرف الدموع فتتساقط كأنّها حبّات اللؤلؤ، والمثير في شعر المراة وواقعها أنّها لا تذرف الدموع حزنًا فحسب، وإنّما في المسرّات أيضًا، فاصبح البكاء لديها عادة متّبعة كما تقول أمّ الهناء[3]:

---

(١) ينظر: معجم النساء الشاعرات: ١١٦.
(٢) ينظر: الشكوى في الفصل الثالث من هذه الرسالة.
(٣) النفح: ٦: ٢٨، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ٢٣٢.

غلـب الســرور عليّ حتّى أنّــه من عظم فرط مســرّتي أبكـاني
يـا عينُ صـــار الدمعُ عندك عادة تـبـكـيـن فـي فـرحٍ وفـي أحـزانِ

وتبريرنا لإنهمار دموع المرأة يعود إلى سببين هما: إمّا لأنّها ضعيفة أمام المواقف الصعبة، فلا تستطيع الصبر والتحمل؛ لأنّ قلبها رقيق رهيف، أو لأنّها تريد أن تستميل قلوب الآخرين نحوها، وتلفت أنظارهم إليها بعدما رأت أنّ للدمع تأثيرًا قويًّا عليهم، وهو سلاح فتّاك لقلوبهم.

٥. كان للشعر القصصي دورٌ في نقل واقعهن، والظروف التي أحاطت بهن، وفي مقدّمتهن بثينة بنت المعتمد التي حكت لنا قصّة حياتها عن طريق أشعارها، وفهمنا ما حلّ بها بعد نكبة بني عبّاد في إشبيلية، فـ ((الشعر القصصي هو الذي يتخذ السرد شكلًا يقيم عليه بناء قصصيًا يحتمل التداخل في الأحداث، وحرية الشخصيات، وتتسلل فيه (الحبكة) حتّى تفضي إلى نتيجة معينة على أن يصاغ ذلك كلّه وفق أسلوب شعري فني تختفي فيه (الأنا) الغنائية بين ثنايا الموضوعية والقصصية))[١].

وبثينة أجادت في ذلك ونقلت لنا أحداثًا وأخبارًا غفلت عنها أعين المؤرخين، فقالت[٢]:

---

(١) ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي (دراسة نقدية) إنقاذ عطا الله محسن العاني: ١٤ (رسالة دكتوراه).

(٢) نفح الطيب: ٦: ٢٠، الدر المنثور: ٨٩ – ٩٠، ومختارات من الشعر الأندلسي: ١٠٤ – ١٠٥.

أسمع كلامي واستمع لمقالتي ... فهي السلوك بدت من الأجياد[1]
لا تنكروا أنّي سبيتُ وأنني ... بنت لملك من بني عبّاد
ملكٌ عظيمٌ قد تولّى عصره ... وكذا الزمانُ يؤول للأفساد[2]
لمّا أراد الله فرقة شملنا ... وأذاقنا طعمَ الأسى من زاد[3]
قامَ النفاقُ على أبي في ملكه ... فدنا الفراقُ ولم يكن بمراد
فخرجتُ هاربةً فحازني امروء ... لم يأت في إعجاله بسداد[4]
إذ باعني بيعَ العبيد فضمّني ... من صاني إلّا من الأنكاد[5]
وأرادني لزواج نجل طاهر ... حسن الخلائق من بني الأنجاد[6]
ومضى إليك يسومُ رأيك في الرضا ... ولأنت تنظر في طريق رشاد[7]
فعساك يا أبتي تعرفني به ... إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميّكيّة الملوك بفضلها ... تدعو لنا باليمن والإسعاد

فهذه الرسالة الشعرية تمثل الشعر القصصي أحسن تمثيل، وتؤكد أصالة هذا الفن عند شواعر الأندلس.

---

(١) السلك: الخيط (تنظم فيه حبّات اللؤلؤ وغيرها)، الجيد: على الصدر، العنق.
(٢) يؤول: من آل: يعود.
(٣) أذاقنا طعم الأسى: أذلّنا.
(٤) السداد: الصواب.
(٥) كالأنكاد: قلّة الخير، الفقر.
(٦) النجل: الولد (ولد الرجل)، النجد: الرجل ذو العزيمة.
(٧) سام: طلب، تنظر في طريق رشادي: تريد لي الخير.

٦. أحدثت لونًا جديدًا من الغزل فلم تستطع السيطرة على عواطفها، وشعورها، وأحاسيسها تجاه من تحب، فكتبت صراحة تريد اللقاء به، وتسعى إلى الخلوة معه، وهذا اللون لم نألفه من قبل، فمهما تكن المراة جريئة في تعبيرها فهي تميل إلى كتمان هواها، وتريد من الرجل أن يبدأ بمصارحتها، ويتغزل بها، ويصف مفاتنها.

٧. استخدمت أسلوب الإغراء والغواية؛ وذلك بعرض مفاتنها، ووصف معالم جمالها من ثغر عذب، وفرع ذؤابة، كما وصفت نفسها بالغصن المثمر، وأنّها لا تبالي في أن تعطي قبلتها لمن يشتهيها، فهي تلفت نظر الآخرين إليها، وتغريهم بمحاسنها، وما تملكه من جمال أنثوي.

٨. كتبت أشعارها وأزجالها على بطائق بدلًا من النثر، وأرسلت بها إلى محبّيها، وهذا ضرب جديد أبتكرته الأندلسيّة، لم تجده عند النسوة من أمثالهن في العصور الأدبية السابقة.

٩. أثبتت جدارة في خوضها الأغراض التقليدية كالمدح، والغزل، والفخر، والهجاء، والشكوى، والإعتذار، وغير ذلك كما أثبتت مقدرة عالية في نظمها الفنون الموسعة كوصف الطبيعة، والحنين إلى الوطن.

١٠. كانت لها مساجلات شعرية مع كبار شعراء عصرها، وهذه المساجلات تشير إلى عمق الأواصر التي كانت تربطها بالآخرين، فعلاقتها طيّبة معهم يجلّونها

ويحترمونها، كما تشير إلى المهارة الشعرية التي تمتّعت بها، ومنها مساجلة مريم بنت أبي يعقوب لصاحب إشبيلية.

١١. تميّزت الأندلسيّة عن المشرقيّة وحتّى عن بعض فحول شعراء الأندلس بنظمها الموشحات والأزجال، وهذا الفن بحاجة إلى مهارة في نظمه لما يتطلبه من نسق وتكرار في الأغصان، والأقفال، والأدوار، ورغم ذلك أستطاعت أن تخوض غماره، فقد وجدنا موشحة لنزهون في الغزل.

١٢. اتّسم شعرهن بالأصالة والعمق كحسّانة التميمية، والغسّانية البجانية التي لها على القول تمرس وسلطان، فشعرها جميل فيه كبرياء، وحبّ، وتصبر، ولوعة، وفيه قوّة، وفحولة، وتمكن، وبداعة[١].

١٣. تمتّعت الأندلسيّة بقدرة فذّة في ارتجال الشعر، فجاءت بعض أشعارها مقطّعات قصيرة، ولكنها تفي بالغرض، ومحافظة على الوحدة المعنوية وهذه الأشعار رغم أنّها جاءت عن عفو الخاطر، وسرعة البديهة، ولكنها كانت حاوية على سمات القوّة، وملامح الخصب الشعري.

١٤. كان أغلب شعرها من النوع الوجداني الغنائي الذي يصلح للغناء لعذوبته، وخفّة أوزانه، وهذا ناتج من أنّ الشخصية الأندلسيّة صقلتها أسباب عدّة أوّلها: الطبيعة التي حباها الله سبحانه وتعالى بكلّ أسباب الجمال وثانيها: كثرة مجالس الأنس، واللهو، والغناء، وثالثها: الحرية السائدة في المجتمع الأندلسي.

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ١٤٤ – ١٤٥.

١٥. كان من بين شواعر الأندلس عدد من المغنيات، وكان للجواري النصيب الأكبر فيه، وهذا ما لم نجده عند فحول شعراء الأندلس، فمن الحرائر: ولّادة التي كانت تحسن العزف على الآلات الموسيقية، فيستهويها الغناء فتغني في ناديها المفتوح، وكذلك نزهون التي كانت تقضي أغلب ساعات الليل في مجالس الغناء واللهو.

أمّا الجواري، فأغلبهن مغنيات وعازفات لاسيما الجواري المدنيات.

١٦. عارضت الأندلسيّة كبار الشعراء لتثبت جدارة فنية، ومقدرة عالية في نظمها، ودقة فائقة في تعبيرها، فالغسّانية البجانية عارضت ابن درّاج القسطلي في مدح خيران العامري.

١٧. كانت معاني الفخر فردية بعيدة عن روح الحماسة، والحقيقة أننا لم نلمس الحماسة حتّى عند كبار الشعراء الأندلسيين عدا القلّة القليلة منهم من أمثال ابن هانىء.

١٨. كانت فنانة في رسم الصور الشعرية لاسيما وصف طبيعة بلادها.

١٩. أنعكست ثقافتها على أشعارها، فالكل كان مثقفًا ما عدا البلشية فكانت أميّة.

٢٠. فتنتها طبيعة بلادها الغنّاء فوصفتها إمّا بمقطوعات مستقلة، أو من خلال الأغراض الشعرية الأخرى، وقد تميّزت حمدة بنت زيادة عن غيرها من الشواعر في ذلك، فكانت شاعرة الطبيعة الأولى بين شواعر الأندلس، كما

كان ابن خفاجة متميزًا بهذا الفن بين شعراء الأندلس، والصنوبري بين شعراء المشرق العربي.

٢١. كانت الأندلسيّة صاحبة تجربة تتعظ بما أصابها، فكانت حكيمة زمانها توجه النصح والإرشاد لأقرانها ولمن سيأتي بعدها، فقالت الحكمة، وجعلتها مبثوثة بين أشعارها كبثينة بنت المعتمد، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجارية.

٢٢. كان للبيئة التي عاشتها الشاعرة الأندلسيّة، والبيت الذي ترعرت فيه تأثير مباشر على أشعارها، فمن نشأت في بيئة متمسكة بتعاليم الإسلام، ومحافظة على العادات، والتقاليد، والعرف الاجتماعي خرجت محافظة على آدابها، وحشمتها، وعفّتها، فجاء شعرها مرآة عاكسة لذلك، ومن نشأت في بيئة متفتحة خرجت هي الأخرى متفتحة تحبّ الاختلاط، وكان شعرها صورة صادقة لذلك، ولهذا وجدنا أنماطًا من الشعر النسوي هي:

١/ الشعر العفيف:

فقد شكّلت بعض الشاعرات مدرسة في هذا النمط، فاختصّت به شواعر وادي الحجارة، كحفصة بنت حمدان التي فتحت باب الغزل لأول مرّة أمام زميلاتها، واتّسم شعرها بالرقّة والعذوبة، وأمّ العلاء بنت يوسف الحجارية العفيفة ذات الحشمة والوقار، وكان شعرها هي الأخرى يتّسم

بالرقة والعذوبة، وانضمّت إلى هذه المدرسة شواعر المرية كالغسّانية البجانية، وزينب المرية، وشذّت عنهما أمّ الكرم بنت صمادح؛ لأنّها عاشت أميرة في قصور الملوك.

أمّا شاعرات إشبيلية اللائي تميّزن بالعفة، والحياء والوقار والكبرياء رغم أنّ نهر إشبيلية كان منبعًا للحضارة والإنفتاح إلّا أنّ مريم، وبثينة، وأسماء كن من الطالبات الملتزمات بتعاليم هذه المدرسة العفيفة، ولكن قمر البغدادية التي عاشت في إشبيلية لم تعدّ ضمن هذه المدرسة؛ وذلك لسببين هما: إنّها وافدة على إشبيلية، وليست من أهلها الأصليين، وإنّها لا تمثل الحرائر، بل الجواري.

ومن قرطبة انضمّت الشاعرة عائشة بنت أحمد القرطبيّة إلى زميلاتها؛ لأنّها شاعرة قديرة عفّة تمثل إباء المرأة العربية وكبرياءها فلم تؤثر عليها الحضارة الجديدة، وتبعتها أمّ الهناء القرطبيّة، فكان شعرها بريء فيه حياء العذارى، واستحياء النساء العفيفات.

وفي غرناطة كانت حمدة بنت زياد، وأختها زينب العفيفتان اللتان تسكنان وادي(آش) البعيد قليلًا عن مركز غرناطة، بينما شواعر المركز كنزهون، وحفصة الركونيّة تبتعدان كلّ البعد عن الشعر العفيف.

٢/ الشعر الصريح:

وقد تزعمت هذه المدرسة أمّ الكرم بنت المعتصم بن صمادح؛ لأنّها تمتّعت بحرية أكبر سمحت لها بيئتها بأن تجاهر بحبّها، وتنظم الغزل الصريح،

وحفصة الركونيّة التي تعدّ طرازًا جديدًا من شواعر الأندلس في الجراة والصراحة، فهي العاشقة الولهانة.

٣/ الشعر الخليع الماجن:

وتترأس هذه المدرسة كلّ من ولّادة في هجائها المقذع البذيء، فقد سمحت لها الظروف التي عاشتها بقوله.

ونزهون الشاعرة المطبوعة التي أمتاز شعرها بالخلاعة والمجون، ومهجة بنت التياني التي عرف عنها البعد عن القيم والأخلاق الفاضلة، فكانت ماجنة في كلّ أشعارها، وهؤلاء الثلاثة نشأن وترعرعن في بيئات مختلفة من الناحية المعاشية، ولكنها متشابهة في الحرية الزائدة، وكان للجواري نصيب كبير في هذا النمط الشعري فقد أسهمن بتوطيد دعائم هذه المدرسة، ونشاطها من خلال مقطوعاتهن الشعرية.

٢٣. ابتعدت المرأة الأندلسيّة عن شعر الزهد والتصوف على الرغم من أنّها تثقفت ثقافة دينية، فكأن ملاذ الحياة قد أغرتها وهموم الزمان قد ألهتها.

٢٤. لم تنظم شعرًا فلسفيًا؛ لأنّه تأخر عن النمو والإطراد، كما أنّه لا يتفق وطبيعة المرأة الميّالة إلى السهولة والبساطة في كلّ شيء، فهي لا تحبّ التعقيد، ولا تريد الإطالة في التفكير.

٢٥. وابتعدت أيضًا عن شعر الهجاء السياسي، فلم تقف مباشرة في وجه الحكّام، ولم ترفض وتقاوم سخطهم، وتسلّطهم، وظلمهم، وتعسفهم، وإنّما حاولت أن تقف وراء الستار فترفض ما صنعوه بصورة غير مباشرة وهذا أمر يتوافق مع طبيعة المرأة، فهي لا تحبّ المواجهة.

٢٦. لم نلمس مدحة نبويّة واحدة، ولكننا وجدنا لها مقطوعة واحدة في (التبرك بالأثر) قالتها أمّ السعد بنت عصام الحميري، فقد ذكرت تمثال (نعل) الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم اعتزازًا وتقديرًا لهذا الأثر الجليل ولا أعلم ما الذي منعها عن نظم المدائح النبويّة؟!.

٢٧. لم نجد في شعرهن حنان الأمومة، ولا أغاني المهد لترقيص أطفالهن ما عدا تلك اللمحة العابرة والتي جاءت ضمن أغراض شعرية أخرى قالتها حمدة حين وصفت واديها بقولها:

حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وقد يرجع ذلك إلى أنّ أغلبهن عزفن عن الزواج فلم يتوفر لديهن الإحساس بالأمومة.

٢٨. لم نرَ لهن منظومات علمية كالتي وجدناها لدى ابن عبد ربّه الأندلسي في (التاريخ)، وأرجوزته في (علم العروض)، وألفية ابن مالك في النحو، قد يكون الضياع هو السبب في عدم وصولها إلينا.

٢٩. دلّت ألفاظها ومعانيها على التكوين الحيوي، والنفسي، والثقافي للمرأة الأندلسيّة؛ لذلك يتوجب على النقّاد الأخذ بالمعايير النقديّة الهامة التي اتّضحت في أشعارها.

٣٠. كانت حريتها في نظم مقطوعاتها، وقصائدها الشعرية أكبر بكثير من الحرية التي تمتّعت بها المشرقيّة فالظروف الاجتماعية لم تسمح للمرأة العراقيّة مثلًا ان تتجرأ وتنظم شعرًا في الغزل فيه مثل تلك الجرأة والصراحة التي تمتّعت بها المرأة الأندلسيّة.

الخاتمة ونتائج البحث

وفي ختام رحلتنا مع شواعر الأندلس الطويلة المضنية الممتدة إلى نهاية القرن السادس الهجري، ولكثرة عدد الشواعر، وقلّة المصادر لضياع العديد منها ولكون المدّة الزمنية طويلة لذا كانت الدراسة شاقة متعبة، ولكنّي أستطعت بالجهد والعمل الدؤوب أن أكتشف خباياها، وأعرف دروبها ومنعطفاتها، وبعد أن أنجزت ما أستطعت أن أنجزه بفضل الله وعونه أرى من المناسب هنا أن أقف عند النتائج المهمة في البحث علمًا أنّ هذه النتائج التي سأذكرها في هذه السطور ليست هي كلّ ما في البحث من جديد أو مقيّد، وإنّما هي ومضات من نور تسطع لتلفت أنظار الدارسين إليها.

ويمكن تلخيص النتائج بما يلي:

١. قلّة اهتمام المصادر القديمة بالنساء الشواعر، وتدوين أشعارهن؛ لأنّهم كانوا يرون الشاعرية صفة للرجل، وعلامة من علامات الفحولة التي تقتصر عليهم فقط، وكان من عادة المؤرخين القدماء أن يهتموا بتقديم المثير من شعر الشواعر، ويتركوا ما عداه.

٢. إنّ ما وصل إلينا يعدّ قليلًا، ولذلك أسبابه، ومن تلك الأسباب ظاهرة الضياع والتلف نتيجة الكوارث الطبيعية، أو الفتن والاضطرابات، أو ربّما لم نحفل بعد ببعض المخطوطات التي ما زالت على رفوف المكتبات العالمية.

٣. تبوّأت الأندلسيّة مكانة مرموقة في مجتمعها، فأعتلت المناصب السياسية العالية، وكانت فقيهة، وراوية حديث، وعملت ناسخة للكتب والمخطوطات، وكاتبة في قصور الخلفاء، وكانت طبيبة تطبب نساء الخلفاء وبناتهم بدلًا من الأطباء.

٤. عُني الأندلسيون كثيرًا بتثقيف بناتهم وتأديبهن وكأنّه عادة متّبعة، فكانت منهن الأديبة، والمؤدّبة، والعالمة، والمعلمة.

٥. ترجمنا لخمس وأربعين شاعرة، وكان عدد الحرائر منهن (٣٠) شاعرة، و (١٥) شاعرة من الجواري.

٦. إنّ ما نظمته الشاعرة الحرّة كان أكثر بكثير من الأشعار التي نظمتها الشاعرة الجارية.

٧. واكبت الشاعرة الأندلسيّة حركة تطور الشعر منذ عصر الإمارة وحتّى نهاية القرن السادس الهجري.

٨. وسارت على نهج الأقدمين، فأجادت في الأغراض التقليدية المعروفة: كالغزل، والمدح، والهجاء، والرثاء، والشكوى، والعتاب، وغير ذلك، وأبتكرت أنماطًا جديدة في الغزل، وفي الهجاء، وفي السخرية تفوقت بها على فحول الشعراء.

٩. خاضت غمار الفنون الموسعة كوصف الطبيعة، فبرعت منهن حمدة بنت زياد فهي بحق شاعرة الطبيعة الأولى.

١٠. نظمت الموشحات، وأغلبها فقدت فلم يصل إلينا سوى موشحة نزهون في الغزل، وجزء من الموشحة التي أتمتها قسمونة لأبيها.

١١. كتبت الأزجال على بطائق، وأرسلت بها إلى الأحبة بدلًا من النثر، وهذا لم يكن مطروقًا من ذي قبل.

١٢. كانت أكثر جرأة وصراحة من أختها المشرقيّة في التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها،فكانت تصرخ بأعلى صوتها تريد اللقاء بمن تهوى وترغب في الخلوة معه

١٣. تمتّعت بقسط وافر من الحرية أكثر من أختها المشرقيّة، فقد سمحت لها حريتها أن تكون عاشقة لا معشوقة، وراغبة لا مرغوبة، متلهفة لا مُتَلَهف عليها.

١٤. كما سمحت لها الظروف، والبيئة الأندلسيّة المتحضرة أن تخالط الرجال من خلفاء، ووزراء، وشعراء، وأدباء.

١٥. كان لها منتدى أدبي يتبارى فيه الشعراء والأدباء، وتعقد فيه الندوات الثقافية، وتزعمته ولّادة بنت المستكفي.

١٦. عارضت كبار الشعراء لتثبت جدارتها في نظم القصائد، وقد تميّزت الغسّانية البجانية التي عارضت الشاعر ابن درّاج القسطلي في ذلك.

١٧. ساجلت وناظرت الشعراء، فأتت بما هو جديد ومقنع من تلك المساجلات: المساجلة التي دارت بين مريم بنت أبي يعقوب وصاحب إشبيلية.

١٨. عثرنا على بعض المقطوعات الشعرية لــ (زينب المرية) ونكون بذلك قد حقّقنا أمنية كما تمنّاها (د.مصطفى الشكعة) وغيره من محبّي الأدب الأندلسي.

١٩. تميّز البعض منهن بعلم العروض فدرّسته لبنات الأسر الشريفة، وبعض علماء عصرها، وقد عرفت به إشراق السويداء.

٢٠. كان لانتشار مجالس اللهو والغناء دور في إزدهارالشعر وتطوره لاسيما ونحن نعلم مدى إسهام المرأة الأندلسيّة في إحياء تلك المجالس.

٢١. لقد وهبها الله من الجمال والكمال، والفطنة، والذكاء ما جعلها تصقل ثقافتها، فتكون حكيمة زمانها، بليغة عصرها وفصيحته.

٢٢. نقلت واقعها بكلّ صدق وصراحة، فزوّدتنا بمعلومات تاريخية لم يتطرق لها أغلب المؤرخين، ومنها جور بعض الحكّام، ورجال الضرائب.

٢٣. لقد تأنّقت الشاعرة الأندلسيّة في مظهرها، فكان البعض منهن قدوة لغيرها كولّادة بنت المستكفي.

٢٤. حرصت الأندلسيّة على التماسك العائلي، فكانت لها علاقات طيّبة مع ذويها كبثينة مع والديها، وقسمونة مع والدها، وخديجة مع أخيها الأكبر، تتسم تلك الأواصر بالاحترام المتبادل والمودّة.

٢٥. أثّرت فيها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فكانت مؤمنة بالله إيمانًا مطلقًا، راضية بقضائه وقدره، فلم تمنعها المسافة الطويلة عن أداء فريضة الحج، فمريم بنت يعقوب ذهبت إلى الحج، فكانت تسمّى الحاجّة.

٢٦. اتّخذت الأندلسيّة من مقدرتها الشعرية سلاحًا للدفاع عن حقوقها المسلوبة، واستطاعت أن تستردّها بكلّ فخر وإعتزاز، ومهارة شعرية فائقة، وهذا ما وجدناه لدى حسّانة التميمية، وأسماء العامرية، والشلبيّة، وصفية بنت عبد الله الربي.

٢٧. دلّت أغلب أشعارهن على الإنسانية، وأبتعدت عن الأنانية والفردية، وغير ذلك باستعمالهن لضمائر المخاطبين والغائبين مثل (أنت، أنتم، هو، والهاء، وواو الجماعة...الخ).

٢٨. إنّ القارىء لحياة المرأة الأندلسيّة يتبادر إلى ذهنه لأوّل وهلة بأنّها تعدت الحدود، مستهترة نبذت العادات والتقاليد الموروثة جانبًا، ولكن الحقيقة التي ستواجهه بعد تقصي الحقائق التاريخية: هو أنّ أغلب نساء الأندلس تميّزن بالعفة والشرف، وأنّ البعض منهن خرجن من أشرف البيوتات في الأندلس، أمثال بثينة بنت المعتمدن وحفصة بنت حمدون الحجارية، ومريم بنت أبي يعقوب، وأمة العزيز، وأمّ العلاء، وأسماء العامرية، وعائشة القرطبيّة، وأمّ الهناء وغيرهن.

٢٩. كان للجواري دور متميز في البيئة الأندلسيّة حتّى أنّ البعض منهن من أستطاعت أن تدخل قصور الخلفاء وتصبح أمًّا للأمراء بفطنتها ودهائها، كاعتماد الرميكيّة زوجة المعتمد والعبادية جارية المعتضد، ومرجان زوجة الناصر وغيرهن

٣٠. أمتهنت الجواري الغناء والموسيقى،وخصّصت لهن دار سمّيت بدار المدنيات ؛ لأنّ بعضهن وفدن من المدينة المنورة؛ وذلك في زمن عبد الرحمن الداخل.

٣١. أغلب الشواعر لم تحقق لها المكانة الأدبية اللائقة بها؛ وذلك لقلّة موروثها الشعري، وحتمًا لو سنحت الظروف لذلك الموروث، وظهر للوجود لتحققت تلك المكانة التي تصبو إليها.

٣٢. إنّ ما وصل إلينا من شعر الجواري أقلّ بكثير من شعر الحرائر، وربّما يعود السبب لإنشغالهن بالرقص والغناء ممّا حال بينهن وبين نظم الأشعار.

٣٣. لم نجد بين الشواعر من أستقلت بديوان أو مجموعة شعرية.

٣٤. إنّ من أقترن اسمها بشخصية لامعة من الرجال أشتهرت من خلال شهرته كولّادة وحفصة الركونيّة، واعتماد الرميكية، وبثينة، أمّا من لم تكن لها صلة بأحد من هؤلاء فلم تُشتهر ويذاع لها خبر، وهذا دليل على اهتمام المؤرخين القدماء بالرجال دون النساء.

٣٥. لم نعثر على مدائح نبويّة في شعرها سوى تلك الأبيات في تمثال نعل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لسعدونة.

٣٦. كما لم نجد لديهن حنان الأمومة، ولا أغاني المهد لترقيص الأطفال ما عدا تلك اللمحة العابرة التي قالتها حمدة بنت زياد حين وصفت واديها، وقد يرجع ذلك إلى أنّ أغلبهن عزفن عن الزواج فلم يتوفر لديهن هذا الإحساس، وقد يرجع إلى إغفاله من قبل المؤرخين، وضياعه كما ضاع غيره من التراث العربي في الأندلس فحتّى التي تزوّجت وأنجبت كاعتماد، ومرجان وغيرها لم نعثر على شيء من ذلك في أشعارهن.

٣٧. أتصفت المرأة الأندلسيّة برقّة إحساسها، وسرعة تأثرها فهي الراثية النائحة، وهي (أشجى الناس قلوبًا عند المصائب)، ولكن من الغريب أننا لا نجد لها

رصيدًا في الرثاء إلّا تلك الأبيات التي قالتها حفصة الركونيّة في رثاء أبي جعفر.

٣٨. كانت لها عزّة نفس، وإباء، وكبرياء، فطالما أفتخرت بنفسها، وبعلوّ همّتها، ورفضت أسود الرجال.

٣٩. أثبتت الشاعرة الأندلسيّة جدارة في النواحي الفنية لإظهار مقطوعاتها وقصائدها بالشكل اللائق والمقبول، فحرصت على بناء القصيدة العربية من جهة، وجدّدت في المعاني والأفكار، ورسمت الصور الشعرية الجميلة والمناسبة لأغراضها من جهة أخرى.

٤٠. أطلقت لخيالها العنان تعانقه عاطفتها الجيّاشة، فأتت بما عجز عنه كبار الشعراء.

٤١. لم نجد لديهن مطولات شعرية؛ لأنّ من طبع النساء سرعة الملل، وقلّة الصبر، وقِصر النفس، واحتمال أن تكون عند البعض منهن، ولكن أيدي الزمن الغادرة أخفتها عن أعيننا.

٤٢. لقد طرقت الأندلسيّة أبوابًا من الشعر لم تطرق من قبل، وحاولت أن تتناول بعض المعاني القديمة بروح جديدة مستوحاة من التراث العربي الإسلامي، متمسكة بلغتها العربية الفصيحة البسيطة البعيدة عن التكلف، فقد أبتعدت عن الخرجات الأعجميّة التي ألتزم بها أكثر الوشّاحين.

٤٣. وجدنا مقطوعتين شعرتين في مدح المرأة للمرأة، وهجاء المرأة للمرأة قالتها مهجة بنت التياني في أستاذتها ولّادة، ولم نألف ذلك من قبل.

٤٤. لم تكن الشاعرة الأندلسيّة على طول مسيرتها مقلّدة للمشرقيّة، فقد قلّدتها في بادىء الأمر، ثمّ تفاعلت مع الطبيعة الخلّابة، والبيئة الجديدة، فجدّدت، وأبتكرت في شعرها المنبثق عن شخصيتها الأندلسيّة المستقلة، فنحن لا نذهب مع من أنكر شخصية الأدب الأندلسي كالمستشرق الروسي كراتشكوفسكي في قوله: ((لا يختلف شاعر في الأندلس أو صقلية عن شاعر دمشق أو بغداد)) [١]، وكالدكتور عليّ الزبيدي[٢]، و د.شوقي ضيف[٣] الذين يرون تبعية الأدب الأندلسي شعرًا ونثرًا لشعر المشرق ونثره، فحقًّا إنّه تأثر بالأدب العربي، ولكنه سرعان ما بنى لنفسه شخصية مستقلة.

٤٥. لقد شكّلت المرأة الأندلسيّة الشاعرة مدرسة أدبية قائمة بحدّ ذاتها، ولكن هذه المدرسة لم تلقَ العناية الكافية من لدن الأدباء والمؤرخين على الرغم ممّا أمتازت به من صيغ ومفاهيم جديدة.

٤٦. وإنّ من دواعي سرورنا أن نجمع شملهن في هذه الدراسة، ونجعلها بمثابة (ديوان أشعار النساء الأندلسيات)، فقد دوّنا فيها كلّ ما عثرنا عليه من أشعارها الجيّدة، ودوّنا حتّى التي أتصفت بالتقريرية والتي كانت تفتقر إلى روح الشاعرية والفنية حرصًا منّا على موروثها الشعري، وكان مجموع ما

---

(١) الشعر العربي في الأندلس: ٢٤.

(٢) ينظر: شخصية الأدب الأندلسي، د.عليّ الزبيدي مجلة الجامعة المستنصرية، العدد ٢ لسنة ١٩٧١م.

(٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف: ٣٢١ ــ ٣٢٢.

أثبتناه في هذه الدراسة (٣٢٥) بيتًا مع موشحة (بخمسة أقفال)، وبهذا نكون قد أضفنا على محمّد منتصر الريسوني (١٠٤) بيتًا، فضلًا عن الموشحة التي ذكرناها، ونكون قد أضفنا على د. الشكعة (١٤٤) بيتًا من غير الموشحة.

٤٧. أحتل الرجز الصدارة ضمن البحور الشعرية التي نظمت بها الشاعرة الأندلسيّة لسهولته، ولخفته وانسجام تفعيلاته مع روحها الشاعرية الفكهة، وأشعارها الغنائية . أمّا البحر الطويل، فقد جاء في المرتبة الثانية بعد الرجز لتثبت جدارتها بأنّها تستطيع الخوض في البحور التي برع فيها كبار الشعراء.

٤٨. لقد ناقشنا بعض الآراء، وأثبتنا البعض الآخر منها معتمدين في ذلك على ثقافتنا المتواضعة، وخبرة السنين الخوالي.

ومن الله التوفيق. وآخر دعوانا أنْ الحمدُ لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١/ الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، منجد مصطفى بهجت (رسالة دكتوراه) مطبوعة على الآلة الكاتبة، القاهرة، جامعة الأزهر ١٩٨١م.

٢/ اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد ١٩٩٠م.

٣/ اتجاهات شعر الغزل في عهد المرابطين، د. إنقاذ عطا الله محسن العاني (رسالة ماجستير) كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨٦م.

٤/ الآثار الأندلسيّة الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمّد عبد الله عنان، طبعة مصر، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٥/ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمّد عبد الله عنان، طبعة القاهرة ١٩٧٤م، ومطبعة دار المعارف بمصر.

٦/ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها لمؤلّف مجهول، مطبعة مجريط سنة ١٩٦٧م، وطبعة إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م المكتبة الأندلسيّة.

٧/ أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، بطرس البستاني، دار صادر، ط٤، بيروت، وط٢ لسنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٨/ الأدب الأندلسي، أحمد بلا فريج، وعبد الجليل خليفة، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان، المغرب ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.

٩/ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط٤، ١٩٦٨م، وط ١٩٨٢م.

١٠/ الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت ١٩٧٥م.

١١/ الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥م.

١٢/ الأدب العربي في الأندلس تطور موضوعاته وأشهر أعلامه، د. عليّ محمّد سلامة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان ١٩٨٩م.

١٣/ أدب الفكاهة الأندلسي، د. حسين خريوش، منشورات جامعة اليرموك، شباط ١٩٨٢م.

١٤/ أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، محاضرات ألقاها الأستاذ محمّد رضا الشبيبي على طلبة الدراسات الأدبية واللغوية، مطبعة الرسالة، ١٩٦٠ - ١٩٦١م.

١٥/ الإسلام والشعر، د. سامي مكّي العاني، عالم المعرفة، مطبعة الرسالة، الكويت ١٩٨٣م.

١٦/ أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، مطبعة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة ١٩٦٤م.

١٧/ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت ١٩٧٩م.

١٨/ الإعلام بمن حلّ في مراكش وأغمات من الأعلام عبّاس إبراهيم المراكشي، طبعة فاس ١٩٣٦م.

١٩/ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٠٩هـ - ١٩٤٠م.

٢٠/ اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) تحقيق: ليفي بروفنسال، طبعة بيروت ١٩٥٦م.

٢١/ الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، ود. يونس السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٤م.

٢٢/ البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر ١٩٦٠م.

٢٣/ بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، أحمد الضبي (ت ٥٩٨هـ أو ٥٩٩هـ) تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت ١٩٨٩م. الجزء الثاني من المكتبة الأندلسيّة.

٢٤/ يغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) طبعة مصر ١٣٢٦هـ.

٢٥/ بلاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف، القاهرة ١٩٢٤م.

٢٦/ البلاغة والتطبيق،د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، مطابع دار الحكمة ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م

٢٧/ بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي، مراجعة عبد القادر القط.بصيغة بي دي أف.

٢٨/ البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تحقيق: كولان وليفي بروفنشال، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٤٨م.

٢٩/ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ط١، ١٣٢٩هـ- ١٩١١م، والجزء الثالث بتحقيق: محمد سعيد العريان، ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م.

٣٠/ تاريخ الأدب الأندلسي، د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٦٩م.

٣١/ تاريخ الأدب العباسي،نكلسن، ترجمة صفاء خلوصي،مطبعة أسعد، منشورات المكتبة الأهلية ١٩٦٧م.

٣٢/ تاريخ الأدب العربي، د.عمر فروخ، ج٤، الأدب في المغرب والأندلس إلى عصر ملوك الطوائف دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٨٤م.

٣٣/ تاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم أبو الخشب، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٦٦م.

٣٤/ تاريخ الأدب والنصوص الأدبية، محمّد الطيّب عبد النافع، وإبراهيم عبد الرحيم يوسف، مراجعة منير البعلبكي، منشورات الوحدة العربية، بيروت (د.ت).

٣٥/ تاريخ الإسلام السياسي والحضاري، حسن إبراهيم حسن، القاهرة ١٩٦٤.

٣٦/ تاريخ إفتتاح الأندلس، ابن قوطيّة (ت ٣٦٧هـ) تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٧/ تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، بيروت ١٩٥٤م.

٣٨/ تاريخ الفكر الأندلسي، أنخل جو نثالث بالنثيا، نرجمة: د. حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

٣٩/ تاريخ الموسيقى الأندلسيّة، د. عبد الرحمن الحجي، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.

٤٠/ تاريخ النقد الأدبي في الأندلسن محمّد رضوان الداية، ط١، لسنة ١٩٦٨م.

٤١/ التجديد في الأدب الأندلسي د. باقر سماكة، مطبعة الإيمان، ط١، بغداد ١٩٧١م.

٤٢/ تحفة القادم، ابن الأبّار القضاعي (ت ٦٥٨هـ)، تحقبق: د. احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

٤٣/ تحفة المجالس ونزهة المجالس، جلال الدين السيوطي، ط٢، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٩م.

٤٤/ التذكرة الفخرية، بهاء الدين الأربلي، طبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.

٤٥/ التربية الإسلامية وفلاسفتها، الأبراشي، ط٢، سنة ١٩٦٩م.

٤٦/ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ابن الكتاني الطبيب (ت حوالي ٤٢٠هـ) تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦م.

٤٧/ التكملة لكتاب الصلة، محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) نشره كوديرا المستشرق الأسباني بجزئين، مدريد ١٨٨٧م.

٤٨/ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦٩م.

٤٩/ جذوة المقتبس، الحميدي، تحقيق: إبراهيم الابياري، طبعة بيروت، ١٩٨٣م.

٥٠/ الحب العذري، نشأته وتطوره، د. أحمد عبد الستار الجواري، مؤسسة العربية للدراسات والنشر (ب.ت).

٥١/ الحب في الأندلس ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقيّة، د. جودت مدلج، منشورات يوسف خيّاط، ط١، بيروت ١٩٨٥م.

٥٢/ الحلّة السيراء، أبو عبد الله محمّد بن الأبّار القضاعي (ت ٦٥٨هـ) تحقيق: د. حسين مؤنس، بجزئين، القاهرة ١٩٦٣م.

٥٣/ الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيّة، الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

٥٤/ الحياة العلمية في مدينة بلنسيّة الإسلامية، كريم عجيل (رسالة ماجستير) جامعة بغداد لسنة ١٩٧٤م.

٥٥/ خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصبهاني، حقّقه ونشره: محمّد بهجت الأثري ١٩٧٣م.

٥٦/ دائرة المعارف، تأليف بطرس البستانين مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، ناصر خسرون، طهران، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٧/ دائرة معارف الشعب، عبد العزيز سالم، دار مطابع الشعب ١٩٦٠م.

٥٨/ دار الطراز في عمل الموشحات، القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، تحقيق: د. جودت الركابي، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٣٩٧هـ-١٩٧٣م.

٥٩/ دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د.سعد إسماعيل شلبي،دار النهضة، القاهرة مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٦٠/ دراسات أندلسيّة، سامي أحمد الموصلي، مطبعة الزمان، ط١، بغداد ١٩٧٠م.

٦١/ دراسات في الأدب العربين كاظم حطيط، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ط١، ١٩٧٧م.

٦٢/ الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، زينب فوّاز العاملي السورية مولدًا وموطنًا، والمصرية منشأ وسكنًا، ط١، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق ١٣١٢هـ.

٦٣/ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقبق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢ م.

٦٤/ ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام، ليلى محمّد ناظم (رسالة ماجستير) لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، بإشراف د. سامي مكّي العاني.

٦٥/ ديوان ابن درّاج القسطلي، تحقيق: د. محمود عليّ مكّي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ١٩٦١م.

٦٦/ ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: عليّ عبد العظيم، مصر ١٩٥٧م، وطبعة كامل الكيلاني، ومحمود خليفة ١٩٣٢م، وطبعة نديم مرعشلي، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، وطبعة صادر، بيروت ١٩٦٠م.

٦٧/ ديوان ابن عمّار الأندلسي، تحقيق: د. صلاح خالص، باريس ١٩٥٣م.

٦٨/ ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.

٦٩/ ديوان أبي نواس، طبعة اسكندر آصف ١٨٩٨م.

٧٠/ ديوان ديك الجن،تحقيق:أحمد مطلوب،وعبد الله المصري،وعبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٩٦٤م.

٧١/ديوان المعتمد بن عبّاد، د.صلاح خالص، القاهرة ١٩٥١م، مطبعة أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة ١٩٥١م، وبتحقيق: محمّد زهدي يكن، بيروت ١٩٥٧م.

٧٢/ ديوان الموشحات الأندلسيّة، تحقيق:السيّد غازي، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٩م.

٧٣/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: د. إحسان عبّاس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٧٤/ الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ)، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٦٥ م.

٧٥/ رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد نور الدين أبو الحسن الأندلسي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٩٦٤م، وتحقيق: د. النعمان عبد المتعال، القاهرة ١٩٧٣م.

٧٦/ الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م.

٧٧/ الروض المعطار في أخبار الأقطار، عبد المنعم السبتي الحميري، نشر وترجمة: ليفي بروفنسال، طبعة القاهرة ١٩٣٧م، وبتحقيق: د. إحسان عبّاس، لبنان ١٩٧٥م.

٧٨/ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباتة المصري (ت ٧٦٨هـ) تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٤م.

٧٩/ شاعرات العرب، جمع وتحقيق: عبد العزيز صقر، منشورات المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٨٠/ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المطبعة الوطنية، ط١، بيروت ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.

٨١/ شاعرات عربيات، روحية حسن القليني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

٨٢/ الشاعرة العربية المعاصرة، د. بنت الشاطىء عائشة عبد الرحمن، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م.

٨٣/ الشاعرة الغرناطيّة في عصر الموحدين (حفصة بنت الحاج) لويس دي جياكو، طبعة باريس، ١٩٤٩م.

٨٤/ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسيّة، ليفي بروفنسال دار الطباعة المغربية، ١٩٥١م.

٨٥/ الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، اميليو غارسيه غومس، ترجمة د. حسين مؤنس، ط٢، القاهرة ١٩٥٦م.

٨٦/ شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، عبد اللطيف يوسف عيسى (رسالة ماجستير) مقدّمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٨م.

٨٧/ الشعر العربي في الأندلس، المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ترجمة د. محمّد منير مرسي، تقديم د. أحمد هيكل، القاهرة ١٩٧١م.

٨٨/ الشعر العراقي في القرن الخامس الهجري، هاشمية حميد جعفر (رسالة ماجستير) مقدّمة إلى كلية الآداب الجامعة المستنصرية، شباط ١٩٨٧م.

٨٩/ الشعر في ظل دولة بني عبّاد، د. محمّد مجيد السعيد، مطبعة النعمان ط١، النجف الأشرف ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٩٠/ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د. محمّد مجيد السعيد، بغداد ١٩٨٠م.

٩١/ الشعر النسوي في الأندلس، محمّد المنتصر الريسوني، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨م.

٩٢/ الشعر النسوي في العراق، د. عليّ الخالدي (رسالة ماجستير) كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٨م.

٩٣/ الصلة، ابن بشكوال (ت٥٧٧هـ) تحقيق: عزت العطّار الحسيني، ١٩٥٥م، وبتحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، المكتبة الأندلسيّة.

٩٤/ الصورة البيانية في الشعر العربي قبل الإسلام وأثر البيئة فيها، ساهرة عبد الكريم (رسالة دكتوراه) كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٤م.

٩٥/ الصورة الفنية في المثل القرآني،د. محمّد حسين الصغير، دار الرشيد للطباعة، بغداد ١٩٨١م.

٩٦/ صور من الأدب الأندلسي، د. مصطفى الشكعة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م.

٩٧/ طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم الأندلسي، حقّقه وقدّم له: صلاح الدين القاسمي، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م.

٩٨/ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، عبد الرحمن ابن خلدون، ط٢، دار الكتاب اللبناني.

٩٩/ العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

١٠٠/ العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي، تحقيق: محمّد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، ط٢، القاهرة ١٩٥٣م.

١٠١/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٢، مصر ١٩٥٥م.

١٠٢/ عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري، ود. محمّد زغلول سلام، القاهرة ١٩٥٦م.

١٠٣/ الغربة والحنين في الشعر العربي الأندلسي، أحمد حاجم محمّد (رسالة دكتوراه) كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٣م.

١٠٤/ الغزل في شعر المرأة، الشيخ محمّد رجب البيومي، مجلة الرسالة، العدد ٧٥٢٤ لسنة ١٩٤٧م.

١٠٥/ فتاة الشرق في حضارة العرب، محمّد جميل بيهم، ط١، ١٩٥٢م.

١٠٦/ فجر الأندلس، د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٩م.

١٠٧/ فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة عليّ الأوسي، ط٥، بغداد ١٩٨٧م.

١٠٨/ فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، مطبعة المعارف، مصر ١٩٧١م.

١٠٩/ فضائل الأندلس وأهلها، ابن حزم وابن سعيد والشقندي، نشرها وقدّم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٨م.

١١٠/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٦، القاهرة.

١١١/ فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م.

١١٢/ فوات الوفيات والذيل عليها، محمّد بن شاكر الكتبي(ت ٧٦٤هـ) تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤م.

١١٣/ في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، دار المعارف، ط٢، القاهرة، مصر ١٩٧٠م.

١١٤/ في رياض الأندلس (احتفالات المواليد النبويّة في الأشعار الأندلسيّة والمغربيّة) د. محسن جمال الدين، مطبعة دار البصري، ط١، بغداد ١٩٦٧م.

١١٥/ في الشعر الأندلسي، د. عدنان صالح مصطفى، جامعة قطر، دار الثقافة، ط١، الدوحة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١٦/ في ظلال الأندلس، سلمى الحفار، مطابع ألف باء، دمشق ١٩٧١م.

١١٧/ قصّة الأدب في الأندلس، محمّد عبد المنعم خفاجي، مشورات مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٢م.

١١٨/ قضايا أندلسيّة، بدير متولي حميد، مطبعة المعرفة، ط١، ١٩٦٤م.

١١٩/ قلائد العقيان ومحاسن الأعيانن الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ) طبعة باريس، ومطبعة مصر ١٩٦٤م.

١٢٠/ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.

١٢١/ محمّد بن عمّار البلنسي، د. صلاح خالص، بغداد ١٩٥٧م.

١٢٢/ مختارات من الشعر الأندلسي، آ.ر. نيكل، أشرف على طبعه وقدّم له: عمر فرّوخ، مطبعة الكشاف، بيروت ١٩٤٩م.

١٢٣/ المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، د. محمّد غنيمي هلال، مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٨م.

١٢٤/ المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، د. عبد الله عفيفي، مطبعة الثقافة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.

١٢٥/ المرأة في الأدب العباسي، د. واجدة الأطرقجي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م.

١٢٦/ المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، محمّد جميل بيهم، دار النشر للجامعيين ١٩٦٢م.

١٢٧/ المرأة في الشعر الأندلسي - عصر الطوائف - سلمى سلمان عليّ (رسالة ماجستير) كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٦م، بإشراف د. سامي مكّي العاني.

١٢٨/ المرأة في الشعر الجاهلي، د. عليّ الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٠م

١٢٩/ المرأة هذا اللغز الأبدي، سامي الكيالي، طبعة سنة ١٩٧٤م.

١٣٠/ المرقّصات والمطربات، نور الدين عليّ بن الوزير أبو عمران (ت ٦٧٣هـ)، دار أحمد ومحيو، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

١٣١/ المستظرف من أخبار الجواري، السيوطي، تحقيق: صلاح الدين المنجّد، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت ١٩٦٣م.

١٣٢/ المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية (ت ٦٣٣هـ) تحقيق: إبراهيم الابياري، ود. حامد عبد المجيد، ود. أحمد أحمد بدوي راجعه د. طه حسين، دار العلم للجميع ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

١٣٣/ المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، يونس طركي سلّوم البجاري، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٨٨م.

١٣٤/ المعتمد بن عبّاد الأشبيلي د.صلاح خالص، بغداد ١٩٥٨م.

١٣٥/ المعتمد بن عبّاد، عليّ أدهم، المركز العربي للثقافة والعلوم، طبعة بيروت ضمن أعلام العرب (٤).

١٣٦/ المعتمد بن عبّاد وشعراء عصره، حقّقه وعلّق حواشيه: د. محمّد زهدي يكن، ويقدّم له: د. سامي نسيب مكارم، دار يكن للنشر، بيروت ١٩٧٥م.

١٣٧/ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ) تحقيق: محمّد سعيد العريان، القاهرة ١٩٤٧م.

١٣٨/ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وطبعة دار المأمون القاهرة.

١٣٩/ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ١٩٧٧م، وطبعة دار المأمون ١٩٣٨م.

١٤٠/ معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، إعداد عبد أ. مهنا، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

١٤١/ المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ) تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م.

١٤٢/ المقتبس، ابن حيّان، نشر شالميتا وآخرون، المعهد الأسباني العربي الثقافي في كلية الآداب بالرباط، مدريد ١٩٧٩م.

١٤٣/ المقتضب من نحفة القادم، ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ) تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، المكتبة الأندلسيّة (المجلد ١٧).

١٤٤/ مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: المستشرق كاتر مير، طبعة باريس ١٨٥٨م.

١٤٥/ ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي (دراسة نقديّة) إنقاذ عطا الله العاني (رسالة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية الآداب ١٩٩٠م، بإشراف داود سلّوم.

١٤٦/ ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق، بيروت ١٩٧٥م.

١٤٧/ المناظرات في أدب الجاحظ، هادي حميد البياتي (رسالة ماجستير)، ١٩٨٠م.

١٤٨/ المنهل في الأدب العربي ــ العصر العباسي والأندلسي ــ د. عليّ جواد الطاهر، وعبد الرضا صادق، وعبد الغفّار الحبوبي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٢م.

١٤٩/ الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، بيروت ١٩٨٧م.

١٥٠/ النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني، ط٣، بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٥١/ النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، د. عبد الحكيم بلبع، لجنة البيان العربي، ط٢، القاهرة ١٩٦٩م.

١٥٢/ نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة.

١٥٣/ نساء شهيرات من تاريخنا، أحمد سويد، ط١، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٥٤/ النساء العربيات، كرم البستاني، دار صادر، بيروت ١٩٦٤م.

١٥٥/ نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، د. عليّ إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٣م.

١٥٦/ نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد ١٩٨٧م.

١٥٧/ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، محمّد بن محمّد المقري التلمساني، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٨/نقط العروس، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) برواية الحميدي، نشر د. شوقي ضيف، مجلة الآداب، جامعة فؤاد الأوّل.

١٥٩/ الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن ايبك بن خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ) الأجزاء الستّة الأولى.

١٦٠/ وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، بغداد ١٩٧٤م.

١٦١/ وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار النهضة، ط١، القاهرة، وطبعة الثقافة، بيروت، بنحقيق: د. إحسان عبّاس.

١٦٢/ ولّادة وابن زيدون، حسن الكافلي، ط١، النجف الأشرف ١٩٦٣م.

١٦٣/ ولّادة وأثرها في حياة ابن زيدون، عبد الرزاق الهلالي، دار المعارف، بغداد ١٩٧٦م.

١٦٤/ يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، طبعة مصر ١٣٧٥هـ.

الدوريات:

١/ مجلة الأبحاث، العدد ١٦ لسنة ١٩٦٣م يصدرها مركز الدراسات العربية.

٢/ مجلة آداب الرافدين، العدد العاشر، آذار ١٩٧٩م.

٣/ مجلة الجامعة المستنصرية، تصدرها رئاسة الجامعة المستنصرية، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد.

٤/ مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ٢ لسنة ١٣٨٨هـ.

٥/ مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأوّل.

٦/ مجلة علوم إسلامية، مجلد رقم واحد لسنة ١٩٧٥م.

٧/ مجلة الكتاب، هلال ناجي لسنة ١٩٧٥م.

٨/ مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١١ لسنة ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م، مطبعة الحكومة، بغداد.

٩/ مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأوّل، المجلد ١٣ لسنة ١٩٥١م، القاهرة.

١٠/ مجلة المشرق، السنة الحادية والأربعون، ١٩٤٧م، الفريد البستاني، ج٤، ت١، ك١.

١١/ مجلة المورد، المجلد ٩، العدد الأوّل لسنة ١٩٩٠م.